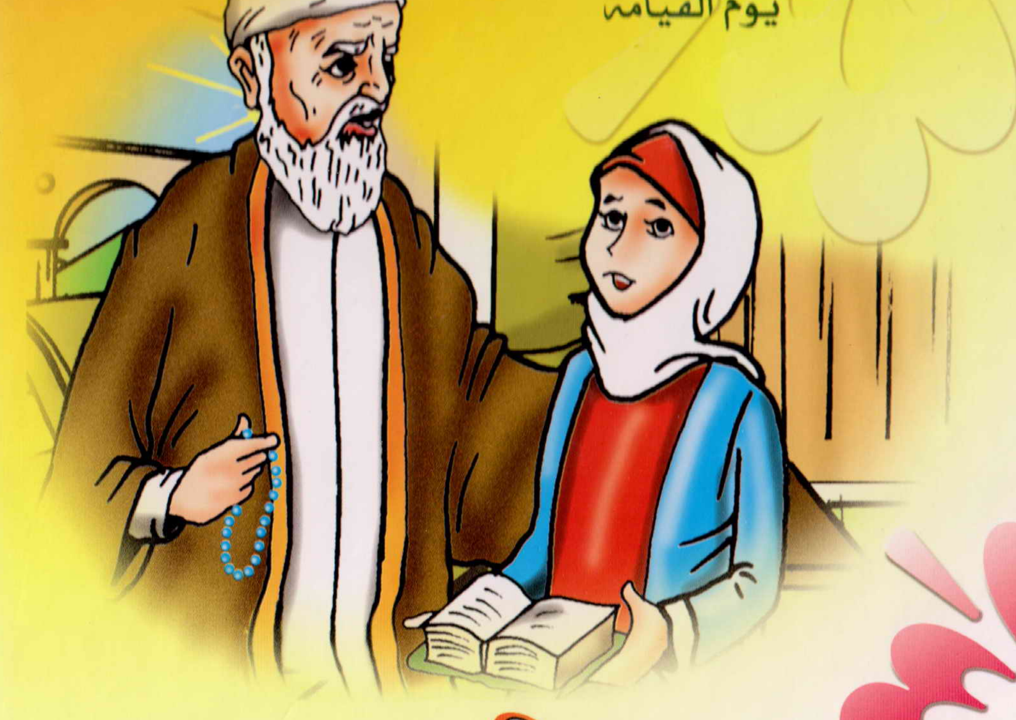
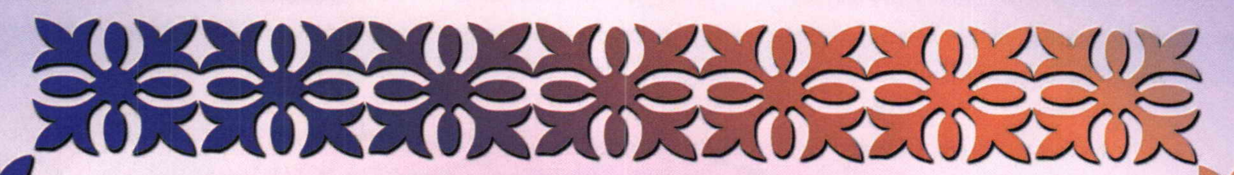


قال رسول الله ﷺ
من حفظ من امتي أربعين حديثاً
من السنة كنت له شفيعاً
يوم القيامة






شرح الأربعون حديثاً للناشئة
قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من حفظ من امتي أربعين حديثاً
من السنة كنت له شفيعاً
يوم القيامة
شبكة الفكر
alfeker.net



الطبعة الاولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



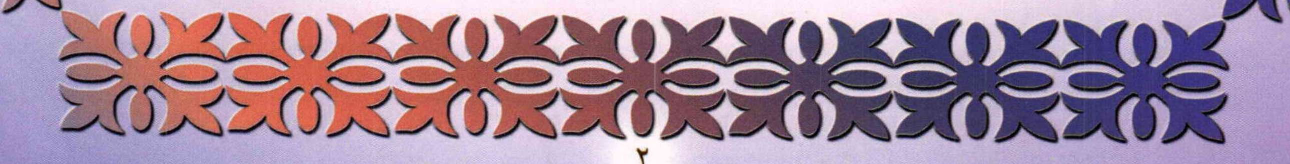
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت ـ طريق المطار قرب سنتر زعرور ـ هاتف:٠١/٤٥٠٤٢٦ فاكس٤٥٠٤٢٧

PUBLISHED BY AALAMI.Est

BIERUT AIR PORT ST TELFAX::01/450427 P.O.BOX:7120

E-mail:alaalami@yahoo.com



شرح الأربعون حديثاً للناشئة

إعداد وشرح: أمل طنانة

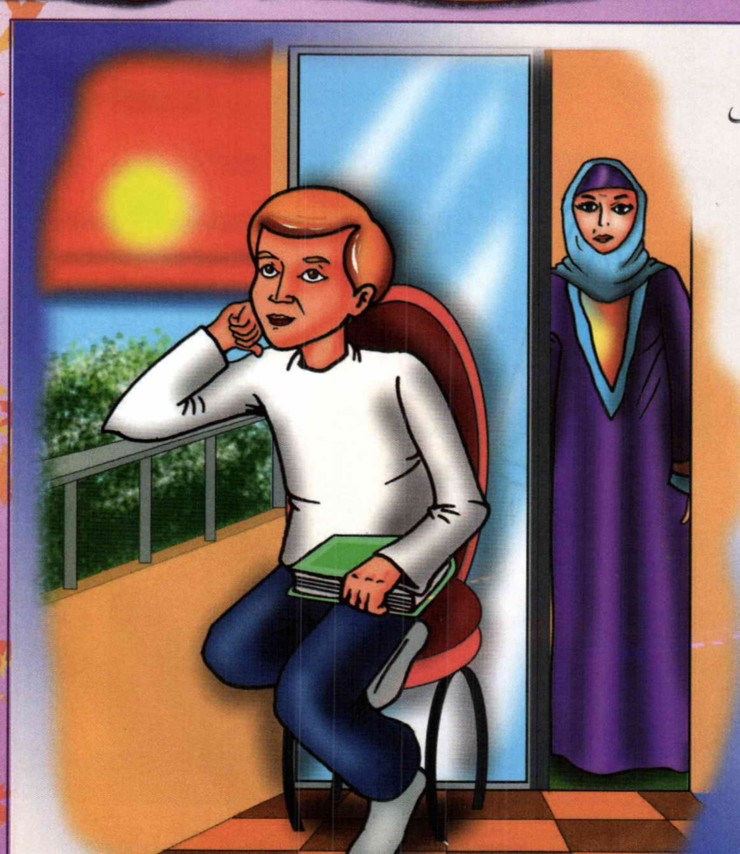
رسوم: محمد نور الدين

إخراج فني: يمنى رضا

الناشر



بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً،
فَلَمّا رَجَعوا، قالَ: مَرْحَباً بِقَومٍ قَضَوا الجِهادَ الأصْغَرَ وَبَقِيَ عَلَيْهِمُ الجِهادُ الأكْبَرُ.
قيلَ لَهُ: يا رَسولَ اللهِ! وَما الجِهادُ الأكْبَرُ؟ .
قال: ﷺ جِهادُ النَّفْسِ!



إنَّها ساعَةُ الأصيلِ. وَهِيَ مِنْ أَحَبِّ أوقاتِ النَّهارِ على قَلْبِ أَحْمَدَ.لكِنَّهُ في خاتِمَةِ هذا النَّهارِ يَشْعُرُ بِشَيءٍ مُخْتَلِفٍ عنْ غَيْرِهِ مِنَ الأيّامِ.

إنّهُ واجِمٌ يُفَكِّرُ، والأفكارُ تنهالُ على ذاكِرَتِهِ بكَثيرٍ منَ الهُمومِ. أَقْبَلَتْ أُمُّهُ تَسْأَلُهُ: مابِكَ يابُنَيَّ وَكَأَنَّ هُمومَ الكَونِ كُلِّهِ مُنهالَةٌ على رأْسِكَ الصَّغيرِ؟.

قالَ أَحْمَدُ: لَسْتُ أَدْري ما بي يا أُمّي. أرى كُلَّ ما حَوْلي مُزْعِجاً وَمُحْبِطاً!.

تَعَجَّبَتْ أُمُّ أَحْمَدَ مِمّا تَسْمَعُ، وَحارَتْ في السَّبَبِ الّذي يَجْعَلُ وَلَدَها يَعيشُ هذهِ المَشاعِرَ الغَريبَةَ.



قالَتْ أُمُّ أَحْمَدَ: ما الّذي يُزْعِجُكَ يا حَبيبي.

قال أَحْمَدُ: إنَّها الواجِباتُ يا أُمّي! ضِقْتُ ذَرْعاً بِكَثْرَةِ الواجِباتِ. فُروضي الّتي لاتَنْتَهي. أَعْبائي الّتي لا تُحصى. أَشْعُرُ أَنَّني أَعْمَلُ طَوالَ الوَقْتِ، وَكُلُّ دَقيقَةٍ إضافِيَّةٍ منَ الرّاحَةِ تَعني التَّقصيرَ في واجِبٍ مَفروضٍ..

أَحْمَدُ مُتَضايِقٌ لأَنَّ امتِحاناتِهِ على الأبوابِ، وهُوَ يَخشى مِنْ أَنْ لا يَسْتَطيعَ إتْمامَ كُلِّ واجِباتِهِ قَبْلَ الوَقْتِ المُهَيَّأِ للامتِحانِ.

ابتَسَمَتْ أُمُّ أَحْمَدَ وَقالَتْ: إنّهُ يا وَلَدي شُعورٌ طَبيعيٌّ لِكُلِّ التّلاميذِ وَهُمْ على أَبوابِ الامتِحاناتِ. لَقَدْ ذَكَّرْتَني بِهذا الشُّعورِ عِندَما كُنتُ في مِثْلِ عُمْرِكَ وَفي مِثْلِ ظُروفِكَ..



قالَ أَحْمَدُ: لا أَظُنُّ يا أُمّي أنَّكِ شَعَرْتِ بِمِثْلِ الضّيقِ الّذي أَشْعُرُ بِهِ الآنَ. أَبَداً..

قالَتْ أُمُّ أَحْمَدَ: بلى يا صَغيري، وَلكِنَّني فيما بَعْدُ تَخَلَّصْتُ مِنْ هذا الشُّعورِ عِندَما عَلِمْتُ بِأَنَّ امتحانيَ المَدْرَسِيَّ لَيسَ إلا جِهاديَ الأَصْغَرَ!..

هَتَفَ أَحْمَدُ: جِهادٌ أَصْغَرُ؟.

قالَتِ الأمُّ: بالطَّبعِ يابُنَيَّ. لأَنَّهُ فَتْرَةٌ مَحْدودَةٌ منَ العَمَلِ وَالتَّعَبِ وَالكِفاحِ..

سَأَلَ أَحْمَدُ: هَلْ هُناكَ امتِحانٌ آخَرُ أَكْثَرُ صُعوبَةً من ذلكَ؟.

قالَتِ الأمُّ: هُناكَ امتِحاناتٌ، ولكن يُمكِنُكَ أنْ تُحَوِّلَ صُعوبَةَ مُواجَهَةِ الامتِحانِ إلى فَرَحٍ وَسَعادَةٍ. إذا عَرَفْتَ مَفاتيحَ النَّجاحِ..

بَرَمَ أَحْمَدُ شَفَتَيهِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ.

فَقالَتْ لَهُ أُمُّهُ: يا بُنَيَّ. لَعَلَّ امتِحانَكَ المَدْرَسِيَّ أَكْثَرُ سُهولَةً مِنَ الامتِحانِ اليَوميِّ الّذي يَعيشُهُ المُؤْمِنُ. فامتِحانُ المَدْرَسَةِ امتِحانٌ مَحْدودٌ يَتَعَلَّقُ بمادَّةٍ دِراسِيَّةٍ مَحْدودةٍ في مَنْهَجِهاالمَطْلوبِ.

أمّا الامتِحانُ اليَوميُّ فَهُوَ جِهادُنا الأَكْبَرُ الّذي يَرْتَبِطُ بِكُلِّ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ نَقولُهُ أَوْ نَفْعَلُهُ، وَ كُلِّ جارِحَةٍ من جَوارِحِنا..

أَحسَّ أَحْمَدُ بِأَنَّ ما قالَتْهُ أُمُّهُ يَزيدُ مِنْ أَزْمَتِهِ، فقالَ:" وما مفاتيحُ النَّجاحِ في هذا الامتِحانِ يا أمّي؟".

أَجابَتْ:" إنَّها تَكْمُنُ في الانتِباهِ إلى كُلِّ أَفْعالِكَ وأَقوالِكَ، وَحينَ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ فِعْلَيْنِ في أَحَدِهِما رِضى اللّهِ سُبحانَهُ، وَفي الآخَرِ غَضَبُهُ وَمَعْصِيَتُهُ، عَلَيْكَ أنْ تَلْتَزِمَ بالعَمَلِ الّذي يُرضي اللّهَ، وَتَنهى نَفْسَكَ عَمّا فيهِ مَعْصِيَتُهِ، مَهما كانَتْ رَغْبَتُكَ بِهِ كَبيرَةً".

سَأَلَ أَحْمَدُ:" أَيُساعِدُني ذلكَ يا أُمّي على تَخَطّي صُعوباتِ امتِحاناتي المَدْرَسِيَّةِ؟".

قالَتِ الأمُّ:" طَبْعاً يابُنَيَّ،فَتَحصيلُ العِلْمِ واجِبٌ دينيٌّ، تَقومُ بِهِ كَيْ تَنالَ رِضا اللّهِ سُبحانَهُ، وَهُوَ لَنْ يَنسى لِعَبْدٍ مِنْ عِبادِهِ مِثْقالَ ذَرَّةٍ، ولا بُدَّ مِنْ أَنْ يُكافِئَكَ وَيُجازيكَ".

قالَ أَحْمَدُ: الآنَ فَهِمْتُ يا أُمّي أَنَّ الإنسانَ يَعيشُ دائِماً في جِهادٍ يُغالِبُ فيهِ أَهواءَهُ وَرَغَباتِهِ، مِنْ أَجلِ أَنْ يُطيعَ اللّهَ سُبحانَهُ وَيُرضِيَهُ، وَفي رِضا اللّهِ تَهونُ الصِّعابُ وَتَسْهُلُ كُلُّ الامتِحاناتِ..

سُرَّتْ أُمُّ أَحْمَدَ مِنْ فَهْمِ وَلَدِها لِمَعْنى الجِهادِ، ثُمَّ تَرَكَتْهُ يُكْمِلُ تَحضيرَ نَفْسِهِ للامتِحانِ المَدْرَسِيِّ.



اعتادَتْ سَناءُ على أَنْ تَرى ذلكَ الرَّجُلَ المِسْكينَ ذا المَلابِسِ البالِيَةِ على بابِ المَدْرَسَةِ عِنْدَ ظَهيرَةِ كُلِّ يَوْمٍ، وَلَمْ تَكُنْ تُعيرُهُ أيَّ انتباهٍ أوِ اهتِمامٍ، فَهِيَ لاتَعْرِفُهُ ولا يَعنيها أَمْرُهُ في أيِّ شَيْءٍ. وَلكِنَّها في صَبيحَةِ هذا اليَومِ فَكَّرَتْ بالرَّجُلِ بِشَكْلٍ مُخْتَلِفٍ عَن ذي قَبْلٍ، وَلِهذِهِ الأفكارِ الّتي جالَتْ في رَأْسِها أَسْبابٌ كَثيرَةٌ:

أوّلاً: إنَّ مُعَلِّمَةَ التَّرْبِيَةِ الإسْلامِيَّةِ تَحَدَّثَتْ هذا الصَّباحَ عَنْ مَعنى العَطاءِ وَفَضْلِ الصَّدَقَةِ.

ثانِياً: لأنَّها أَشْفَقَتْ على الرَّجُلِ المِسْكينِ الّذي رَأَتْ أَنَّهُ فِعلاً يَحتاجُ إلى مُساعَدَةِ النّاسِ وَعَطْفِهِم.

ثالِثاً: لأنَّ صَديقاتِها تَتَّهِمْنَها بالبُخْلِ، وَتُريدُ أَنْ تُثْبِتَ لَهُنَّ أنَّ هذِهِ الصِّفَةَ بَعيدَةٌ عَنها كُلِّياً، ولا يُمْكِنُها أَنْ تَفْعَلَ ذلكَ إلاّ على مَرْأىً مِنْهُنَّ جَميعاً. رابِعاً: لأنَّ المِسْكينَ يَقِفُ على بابِ المَدْرَسَةِ، فَإنْ دَفَعَتْ لَهُ صَدَقَةً فَسَتَراها صَّديقاتُ،وَرُبَّما غَيَّرْنَ نَظْرَتَهُنَّ إلَيْها، وَسَوفَ تَراها المُعَلِّمَةُ فَيَسُرُّها عَمَلُها.

خامِساً: لأنَّ الصَّدَقَةَ عَمَلٌ صالِحٌ يُرْضي اللّهَ سُبْحانَهُ وَيُثيبُ عَلَيْهِ العَبْدَ المُؤْمِنَ.



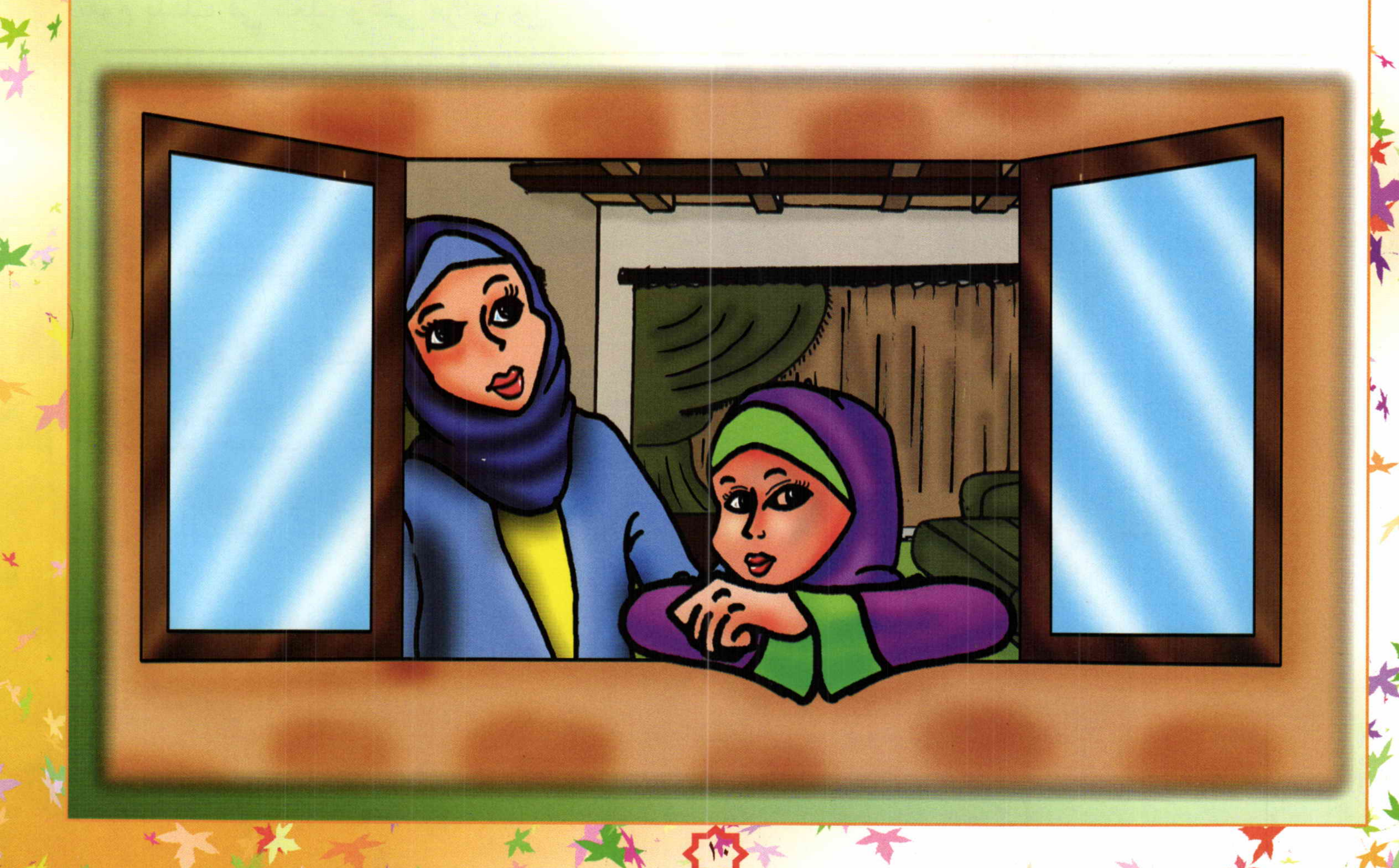
ما أنْ قُرِعَ جَرَسُ المَدْرَسَةِ في نِهايَةِ اليَومِ المَدْرَسِيِّ حتّى أَسْرَعَتْ سَناءُ إلى بَوّابَةِ المَدْرَسَةِ تَنْتَظِرُ وُصولَ المِسْكينِ، وَحينَ رَأَتْهُ أَغْمَدَتْ يَدَها في جَيْبِها تُمْسِكُ بِقِطْعَةِ النُّقودِ في انتِظارِ أَنْ تَمُرَّ الصَّديقاتُ، وَتَمُرَّ مُعَلِّمَةُ التَّرْبِيَةِ الدّينِيَّةِ.

وَصادَفَ أَنْ تَأَخَّرَ خُروجُ الصَّديقاتِ، فَمَضى الرَّجُلُ إلى حالِ سَبيلِهِ وَسَناءُ في الانتِظارِ فَلَم تُعطِهِ الصَّدَقَةَ، على أَنْ تَقومَ بِذلكَ في الغَدِ، وَعَلى مَرْأىً مِنَ الْجَميعِ!!!

في البَيْتِ أَخْبَرَتْ سَناءُ أُمَّها بِما حَدَثَ مَعَها، وَكانَ في اعتِقادِها أَنَّ أُمَّها سَتُشَجِّعُها على فِعْلِها، وَلكِنَّها فوجِئَتْ بِرَدِّ فِعلٍ مُخْتَلِفٍ، إذ قالَتْ لَها أُمُّها: «لَقَدْ أَخْطَأْتِ يا بِنْتي ، وَلَمْ تُثابي على عَمَلِكِ هذا أَبَداً، بَلْ إنَّكِ ارتَكَبْتِ إثْماً بِأَنْ وَضَعْتِ نَفْسَكِ في زُمْرَةِ المُرائينَ!.».

وَقَدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: إنَّ المَلَكَ لَيَصْعَدُ بِعَمَلِ العَبْدِ مُبْتَهِجاً بِهِ، فَإذا صَعِدَ بِحَسَناتِهِ، يَقولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اجْعَلوها في سِجّينَ(النّار)، إنَّهُ لَيْسَ إيّايَ أَرادَ بِها..

فَهِمَتْ سَناءُ ما قَصَدَتْهُ والِدَتُها مِنْ حَديثِها، فَخَجِلَتْ مِنْ عَمَلِها، وَقَرَّرَتْ مُنْذُ ذلِكَ اليَوْمِ أَنْ تَلْتَفِتَ إلى أَفْعالِها الّتي تَقومُ بِها تَقَرُّباً مِنَ اللّهِ سُبحانَهُ، فلا تَنْتَظِرُ مِنَ النّاسِ أَنْ يَشْهَدوا عَلى شَيْءٍ مِنْها طالَما أَنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ دائِماً يَسْمَعُ وَيَرى.



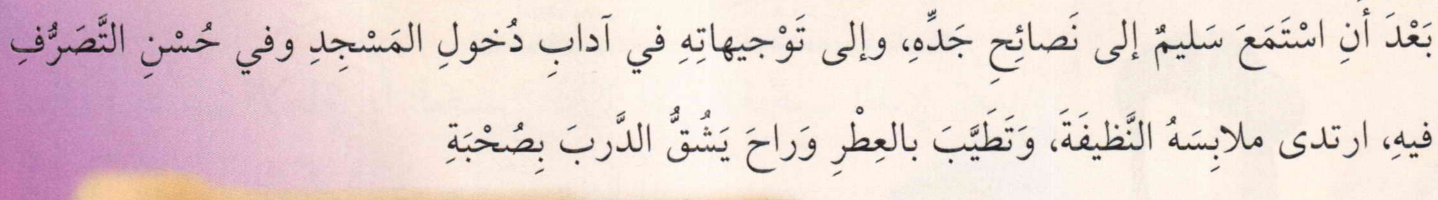


الحَديثُ الثّالِثُ: العُجْبُ

سَأَلَ أَحَدُهُمُ الإمامَ أبا الحَسَنِ عليه السلام عَنِ الْعُجْبِ الّذي يُفْسِدُ الْعَمَلَ فَقالَ: العُجْبُ دَرَجاتٌ، مِنها أَنْ يُزَيَّنَ لِلْعَبدِ سوءُ عَمَلِهِ فَيَراهُ حَسَناً فَيُعْجِبُهُ وَيَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنعاً، وَمِنها أنْ يُؤْمِنَ العَبْدُ بِرَبِّهِ فَيَمُنَّ على اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ

لَمْ يَكُنْ هذا اليَومُ يوماً عادِيّاً في حَياةِ سَليم. إنَّهُ سَيَذْهَبُ إلى المَسْجِدِ لِلْمَرَّةِ الأولى بَعْدَ أَنْ حَدَّثَهُ جَدُّهُ عَنْ أَهَمِّيَّةِ الصَّلاةِ في المَسْجِدِ، وَما يَنالُهُ المُؤْمِنُ عَلَيْها مِنْ أَجْرٍ وَثَوابٍ.

في المَسْجِدِ سَيَتَعَلَّمُ الوُضوءَ وَيَتَعَلَّمُ الصَّلاةَ، وَسَيَقْرَأُ بَعضاً مِنَ الأدْعِيَةِ وبَعضاً مِنْ آياتِ القُرْآنِ، وَهكَذا سَيَبْدَأُ حياةً جَديدَةً في الالتِزامِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلى سِنِّ التَّكْليفِ الّتي تُصبِحُ فيها الفَرائِضُ الدّينِيَّةُ واجِبَةً عَلَيْهِ.



بَعْدَ أَنِ اسْتَمَعَ سَليمٌ إلى نَصائِحِ جَدِّهِ، وإلى تَوْجيهاتِهِ في آدابِ دُخولِ المَسْجِدِ وفي حُسْنِ التَّصَرُّفِ فيهِ، ارتدى ملابِسَهُ النَّظيفَةَ، وَتَطَيَّبَ بالعِطْرِ وَراحَ يَشُقُّ الدَّربَ بِصُحْبَةِ جَدِّهِ فَرِحاً سَعيداً.

بَعدَ ساعَةٍ وَنِصْفٍ عادَ سَليمٌ إلى البَيْتِ، ولكِنَّهُ عادَ سَليماً آخَرَ! أَوَّلُ شَيْءٍ فَعَلَهُ سَليمٌ حينَ عادَ إلى البَيْتِ أَنَّهُ تَشاجَرَ مَعَ أَخيهِ الأَصْغَرِ كَمالٍ وَضَرَبَهُ!

أَسْرَعَتْ أُمُّ سَليمٍ تَسْأَلُ وَلَدَها عَنِ السَّبَبِ، فَقالَ لَها:

إنَّ على أَخي كَمالٍ واجِبَ طاعَتي، فَأَنا أَخوهُ الأَكْبَرُ، وَأَنا الآنَ أُصَلّي!..

قالَتِ الأمُّ: أنْتَ يا وَلَدي تَظُنُّ بِأَنَّ صَلاتَكَ في هذا الوَقْتِ اليَسيرِ فَتَحَتْ لَكَ أَبْوابَ الجَنَّةِ على مِصارِيعِها، وَهذا يَعني أَنَّكَ أُعْجِبْتَ بِنَفْسِكَ واستَكْثَرْتَ عَمَلَكَ، أمّا ذَنْبُكَ الّذي ظَنَنْتَ أنَّ اللّهَ سُبحانَهُ سَيَغْفِرُهُ لَكَ حتّى دونَ أَنْ تَسْأَلَهُ المَغْفِرَةَ، فَقَدْ صَغُرَ في عَيْنِكَ رَغْمَ أَنَّكَ ظَلَمْتَ أَخاكَ، وَضَرَبْتَهُ بِدونِ حقٍّ.

يابُنَيَّ لَقَدْ سَأَلَ موسى بنُ عِمْرانَ عليه السلام الشَّيطانَ: أَخبِرْني بالذَّنْبِ الّذي إذا ارتَكَبَهُ ابنُ آدَمَ استَحْوَذْتَ عَلَيْهِ.. قالَ: إذا أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، وَاستَكْثَرَ عَمَلَهُ، وَصَغُرَ في عَيْنِهِ ذَنْبُهُ!..

فَهَلْ رَأَيْتَ يابُنَيَّ كَيْفَ يُمْكِنُ للشَّيطانِ أَنْ يَسْتَحْوِذَ على ابنِ آدَمَ وَيُرْدِيَهُ، وَيُضِلَّهُ؟.

في تِلكَ اللّحظَةِ فَتَحَ سَليمٌ لِنَفْسِهِ باباً جديداً على النَّجاةِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيطانِ، وَزَيَّنَ صلاتَهُ بِطَلَبِ المَغْفِرَةِ مِنَ اللّهِ سُبحانَهُ، والتَّوبَةِ عنِ العُجْبِ واستِصْغارِ الذُّنوبِ.



سُئِلَ أبو عَبْدِ اللّهِ عليه السلام عَنْ أَدْنى الإلحادِ، فَقالَ : الكِبْرُ أدناهُ.

ماكانَ أَشَدَّ فَرَحَ سَلْمى وَهِيَ تُصْغي إلى الآنِسَةِ صفاءَ وَهِيَ تُعْلِنُ نَتائِجَ المُسابَقَةِ الأخيرَةِ في مادَّةِ الرِّياضِيّاتِ.

مِنْ عادَةِ سَلْمى أَنْ تَكونَ مُمَيَّزَةً في دروسِها، ولكِنَّها لَمْ تَكُنْ مِنْ بَيْنِ المَراتِبِ الثّلاثِ الأولى في النَّجاحِ، لأنَّ صَديقاتِها سَمَرَ وَهَيفاءَ وَفاطِمَةَ كُنَّ يَسْبِقْنَها إلى نَيْلِها. في هذِهِ المَرَّةِ لَمْ تَكُنْ سَلْمى الثّالِثَةَ ولا الثّانِيَةَ، بَلْ كانَتِ الأولى في الصَّفِّ بِنَيْلِها علامَةً مُتَقَدِّمَةً على جَميعِ الفَتَياتِ.

والآنَ، ها هِيَ في مَقْعَدِها وَقَدْ تَمَلَّكَ مِنْها الفَرَحُ، إلى دَرَجَةِ أَنَّها لَمْ تَعُدْ قادِرَةً على التَّرْكيزِ في أَيِّ دَرْسٍ آخَرَ.

أَمّا زَيْنَبُ صَديقَةُ سَلْمى المُقَرَّبَةُ مِنها، فَكانَتْ أَسْرَعَ الصَّديقاتِ إلى تَهْنِئَتِها بالفَوزِ والتَّقَدُّمِ، فَفاجَأَتْها سَلْمى بِجَفاءٍ لَمْ تَكُنْ تَتَوَقَّعُهُ.

تَساءَلَتْ زَيْنَبُ في نَفْسِها عَنْ سِرِّ هذا الجَفاءِ، فَلَمْ تَصِلْ إلى جَوابٍ مُقْنِعٍ، فَظَنَّتْ أَنَّها قَدْ تَكونُ أَخْطَأَتْ في حَقِّ صَديقَتِها في قَولٍ أَوْ فِعْلٍ دونَ أَنْ تَنْتَبِهَ إلى نَفْسِها، وَلِذا انتَظَرَتْ وَقْتَ حُلولِ الفُرْصَةِ الأولى لِتَسْأَلَ صَديقَتَها المُفَضَّلَةَ عَنْ سَبَبِ هذا الجَفاءِ.

وَجاءَ جَوابُ سَلْمى غَريباً وَمُفاجِئاً، حينَ أَجابَتْ صَديقَتَها بِقَولِها: إِنَّني الآنَ في عِدادِ المُتَفَوِّقاتِ، ولا يَجوزُ أَنْ تَراني صَديقاتي بِرِفْقَةِ مَنْ هِيَ أَقَلُّ اجْتِهاداً مِنّي!.



وَقَعَ جَوابُ سَلْمى على صَديقَتِها زَينَبَ وُقوعَ الصّاعِقَةِ، فَأَجْهَشَتْ بِالبُكاءِ في صَمْتٍ، فيما أَكْمَلَتْ سَلْمى سَيْرَها في مَلْعَبِ المَدْرَسَةِ وَكَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَحْدُثْ.

كانَتْ ناظِرَةُ المَلْعَبِ الآنِسَةُ رُقَيَّةُ قَريبَةً مِنَ الفَتاتَيْنِ، واستَطاعَتْ أَنْ تَفْهَمَ ما دارَ بَيْنَهُما، فاسْتَدْعَتْ سَلْمى إلى مَكْتَبِها وَعاتَبَتْها على صَنيعِها، وقالَتْ: أَتَذْكُرينَ يا ابنَتي سورَةَ لُقْمانَ في القُرْآنِ الكَريمِ وَوَصاياهُ لِوَلَدِهِ؟.

قالَتْ سَلْمى: نَعَم يا آنِسَةُ! لَقَدْ أَوصاهُ بِوالِدَيْهِ وَبِرِّهِما!.

قالَتِ الآنِسَةُ رُقَيَّةُ: وَبِماذا بَعْدُ؟.

حَكَّتْ سَلْمى رَأْسَها، ثُمَّ هَتَفَتْ: وَبِأَنْ لا يُصَعِّرَ خَدَّهُ لِلنّاسِ، وَلا يَمْشي في الأَرْضِ مَرَحاً..

قالَتِ الآنِسَةُ: وَهَلْ تَعْرِفينَ مَعْنى هذا القَولِ؟.



هَزَّتْ سَلْمى رَأْسَها نَفياً، فَهِيَ لا تَفْهَمُ مَعْنى هذهِ الآيَةِ فِعلاً!

قالَتِ الآنِسَةُ رُقَيَّةُ: أَرَأَيْتِ؟ إذاً أَنْتِ تَفَوَّقْتِ في مُسابَقَةٍ وَتَراجَعْتِ في أُخْرى..

صَمَتَتْ سَلْمى في انتِظارِ أَنْ تَشْرَحَ لَها الآنِسَةُ رُقَيَّةُ ما تُريدُ قَوْلَهُ.

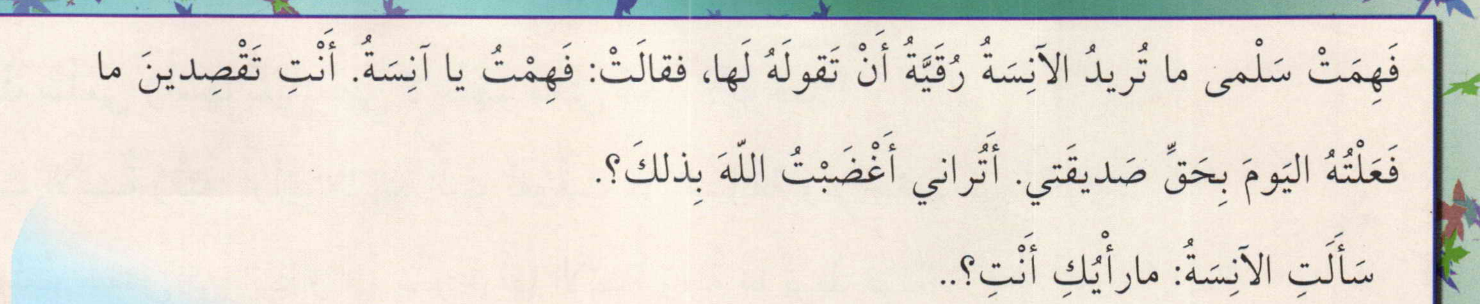
فقالَتِ الآنِسَةُ: لَقَدْ نَهانا اللّهُ سُبْحانَهُ يا بِنَتي عَنِ التَّكَبُّرِ على النّاسِ والتّعالي عَلَيْهِمْ، وَأَوْصانا على لِسانِ لُقْمانَ الحَكيمِ: (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاسِ وَلا تَمْشِ في الأَرْضِ مَرَحاً، إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخورٍ) . فاللّهُ يُريدُنا أَنْ نُعامِلَ النّاسَ باحْتِرامٍ وَمَوَدَّةٍ، ولا نُقَرِّرَ إنْ كانَتْ مَنْزِلَتُنا أَعلى أَوْ أَدنى مِنْهُم، حَسَبَ المالِ أَوِ العِلْمِ اَوِ الجَمالِ أَوْ غَيْرِ ذلِكَ مِنَ المَقاييسِ. فاللّهُ سُبحانَهُ يَرى أَنَّ أَكْرَمَنا عِندَهُ هُوَ أَتْقانا، والتَّقْوى لايُمْكِنُ لَنا نَحْنُ أَنْ نُحَدِّدَها عِنْدَ الآخَرينَ، لأَنَّ اللّهَ سُبحانَهُ هُوَ الّذي يَعْلَمُ بِما في قُلوبِ النّاسِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ..

فَهِمَتْ سَلْمى ما تُريدُ الآنِسَةُ رُقَيَّةُ أَنْ تَقولَهُ لَها، فقالَتْ: فَهِمْتُ يا آنِسَةُ. أَنْتِ تَقْصِدينَ ما فَعَلْتُهُ اليَومَ بِحَقِّ صَديقَتي. أَتُراني أَغْضَبْتُ اللّهَ بِذلكَ؟.

سَأَلَتِ الآنِسَةُ: مارأْيُكِ أَنْتِ؟..

طأْطَأَتْ سَلْمى رَأْسَها خَجَلاً، وَلَم تَقُلْ شَيْئاً. فَقالَتْ لَها الآنِسَةُ رُقَيَّةُ: عَلَيْكِ أَنْ تُصَحِّحي خَطَأَكِ ياسَلْمى، وَأَنْتِ تَعْرِفينَ كَيْفَ يكونُ ذلكَ..

فَهِمَتْ سَلْمى أَنَّ المُعَلِّمَةَ تَدْعوها إلى الاعْتِذارِ مِنْ صَديقَتِها، وَكانَتْ تُريدُ أَنْ يَغْفِرَ لَها اللّهُ مافَعَلَتْهُ، فَأَسْرَعَتْ إلى زَيْنَبَ تَسْأَلُها أَنْ تُسامِحَها على ما ارتَكَبَتْهُ، وَعادَتا صَديقَتَينِ!



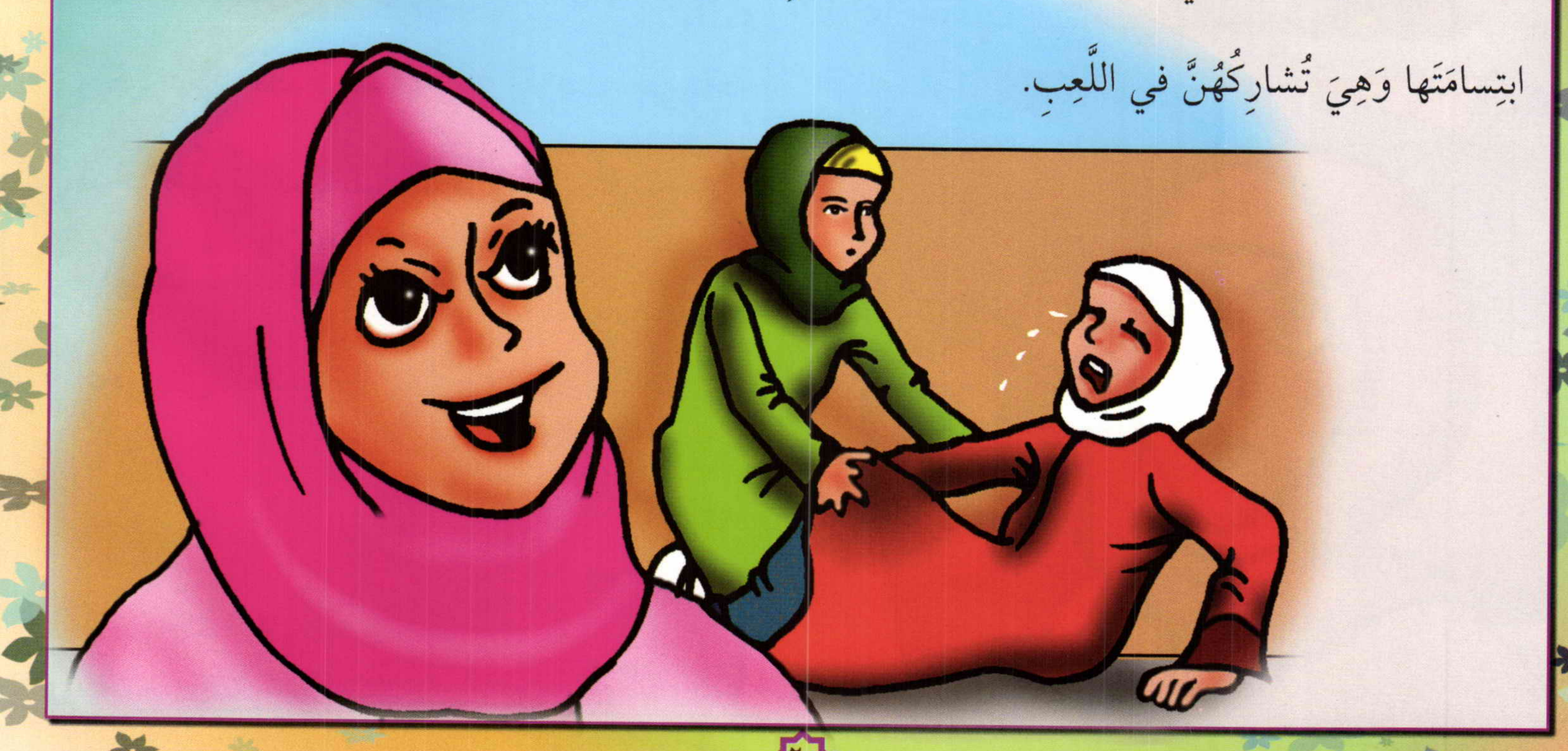
الحَديثُ الخامِسُ: الحَسَدُ

قالَ رَسولُ اللّهِ ﷺ قالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِموسى بنِ عِمرانَ:
يابنَ عِمرانَ! لا تَحْسُدَنَّ النّاسَ على ما آتَيْتُهُم مِنْ فَضْلي،
وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ذلِكَ، وَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ، فَإنَّ الحاسِدَ
ساخِطٌ لِنِعَمي، صادٌّ لِقِسْمي الّذي قَسَمْتُ بَيْنَ عِبادي.
وَمَنْ يَكُ كَذلكَ فَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ مِنّي..

لِماذا لَمْ تَشْتَرِ لي أُمّي في العيدِ ثَوباً مِثْلَ ثَوْبِ صَديقَتي زَهراءَ؟.
هذا ماكانَ يَجولُ في بالِ سُمَيَّةَ حينَ أَقْبَلَتْ إلى باحَةِ العيدِ
وَرَأَتْ صَديقَتَها زَهراءَ تَخْتالُ بِثَوْبِها الأحْمَرِ الجَديدِ،
وَبَعْدَ ذلكَ قَضَتْ ساعَةً مِنَ الوَقْتِ مُنْزَعِجَةً،
مُتَحَسِّرَةً، تُراقِبُ صَديقَتَها وَهِيَ تَلْعَبُ،
وَعَيناها تُحَدِّقانِ في ثَوْبِها
الحَريرِيِّ الجَميلِ.

تَضاعَفَ أَلَمُ سَمَيَّةَ عِنْدَما رَأَتِ الفَتَياتِ يُشِرْنَ إلى زَهراءَ بِعُيونِ الإعجابِ بِذلكَ الثَّوبِ الّذي تَمَيَّزَتْ بِهِ في صَبيحَةِ العيدِ. دونَ أَنْ تدريَ سُمَيَّةُ، تَمَنَّتْ في أَعْماقِها أَنْ يَتَمَزَّقَ ثَوْبُ صَديقَتِها، أَوْ يَتَّسِخَ، أَوْ يَحْدُثَ لَهُ أَيُّ شَيْءٍ بِحَيْثُ تَتَخَلَّصُ مِنْ غَيْرَةٍ بَدَأَتْ تُعَذِّبُها، وَتُشْعِرُها بِأَنَّ أَشْياءَ كَثيرَةً تَنْقُصُها كَيْ تَشْعُرَ بِالفَرَحِ كَحالِ صَديقاتِها في ذلِكَ اليَومِ.

وَلَمْ تَلْبَثْ تِلْكَ الأَمْنِيَّةُ أَنْ تَحقَّقَتْ، وَسَقَطَتْ زَهراءُ على الأرضِ مُتَعَثِّرَةً بِحَجَرٍ صَغيرٍ، وَتَمَزَّقَ ثَوْبُها، لَيْسَ هذا فَحَسْبُ،بَلْ إنَّها أُصيبَتْ بِجُرْحٍ في ساقِها، وأَسْرَعَتْ مَعَ إحدى الصَّديقاتِ إلى البَيْتِ، وَدُموعُها على خَدِّها. في تِلْكَ اللّحْظَةِ فَقَطْ، عادَتْ إِلى سُمَيَّةَ فَرْحَتُها المَفْقودَةُ، ورأَتْ صَديقاتُها ابتِسامَتَها وَهِيَ تُشارِكُهُنَّ في اللَّعِبِ.



عِنْدَ المَساءِ، جَلَسَتْ سُمَيَّةُ كَعادَتِها تَتْلو آياتٍ مِنَ القُرْآنِ الكَريمِ على مَسامِعِ جَدِّها الّذي بَدَأَ مُنْذُ فَتْرَةٍ يُساعِدُها على حِفْظِ آياتٍ مِنَ القُرْآنِ الكَريمِ.

إنَّها سورةُ الفَلَقِ، وَهِيَ السّورَةُ الّتي تَحْكي عَنْ شَرِّ الحاسِدينَ، وَعَنْ الاسْتِعاذَةِ باللّهِ سُبْحانَهُ فيما إذا تَعَرَّضَ الإنْسانُ لِلْحَسَدِ.

سُمَيَّةُ لا تَعْرِفُ ما مَعْنى الحَسَدِ، لِذا سَأَلَتْ جَدَّها عَنْ مَعْناهُ،

فَقالَ لَها: الحَسَدُ يابْنَتي يَعْني أَنْ نَشْعُرَ بالحُزْنِ إذا رَأَينا النِّعْمَةَ على غَيْرِنا مِنَ النّاسِ، وَأَنْ نَتَمَنّى هذِهِ النِّعْمَةَ لأنْفُسِنا، وَنَرْجو زَوالَها عَمَّنْ أَنْعَمَ اللّهُ سُبْحانَهُ بِها عَلَيْهِم، ثُمَّ نُسَرَّ إذا زالَتْ عَنْهُمْ.

تَوَقَّفَتْ سُمَيَّةُ عِنْدَ ماسَمِعَتْهُ مِنْ جَدِّها، وَتَأَمَّلَتْهُ مَلِيّاً.

أيُمْكِنُ أَنْ يَكونَ هذا هُوَ ماشَعَرَتْ بِهِ نَحْوَ صَديقَتِها حينَ رَأَتْها تَخْطُرُ فَرِحَةً بِثَوْبِها الأحْمَرِ الجَميلِ؟

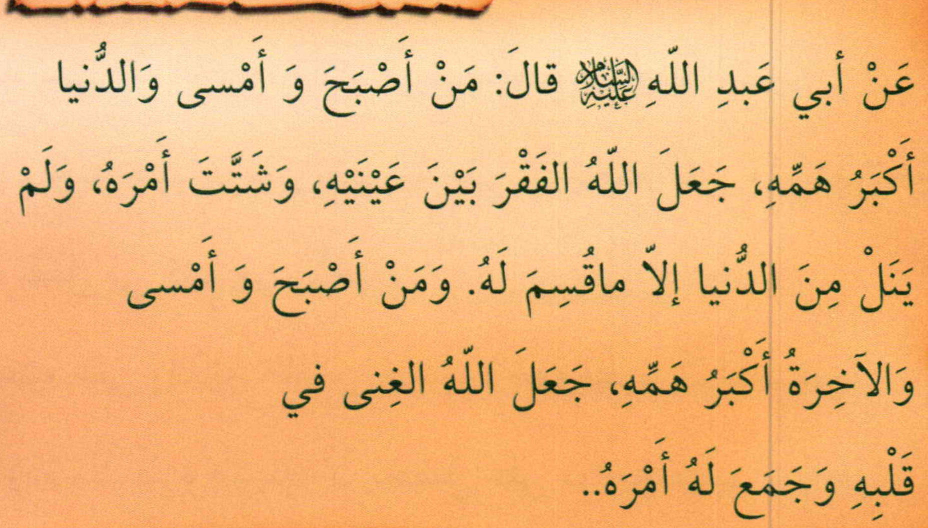


نَعَمْ ، إنَّهُ شُعورُها تَماماً،وَهِيَ تَذْكُرُ أَنَّها فَرِحَتْ أَشَدَّ الفَرَحِ حينَ تَمَزَّقَ ثَوْبُ صَديقَتِها وَعادَتْ إلى البَيْتِ حَزينَةً باكِيَةً.

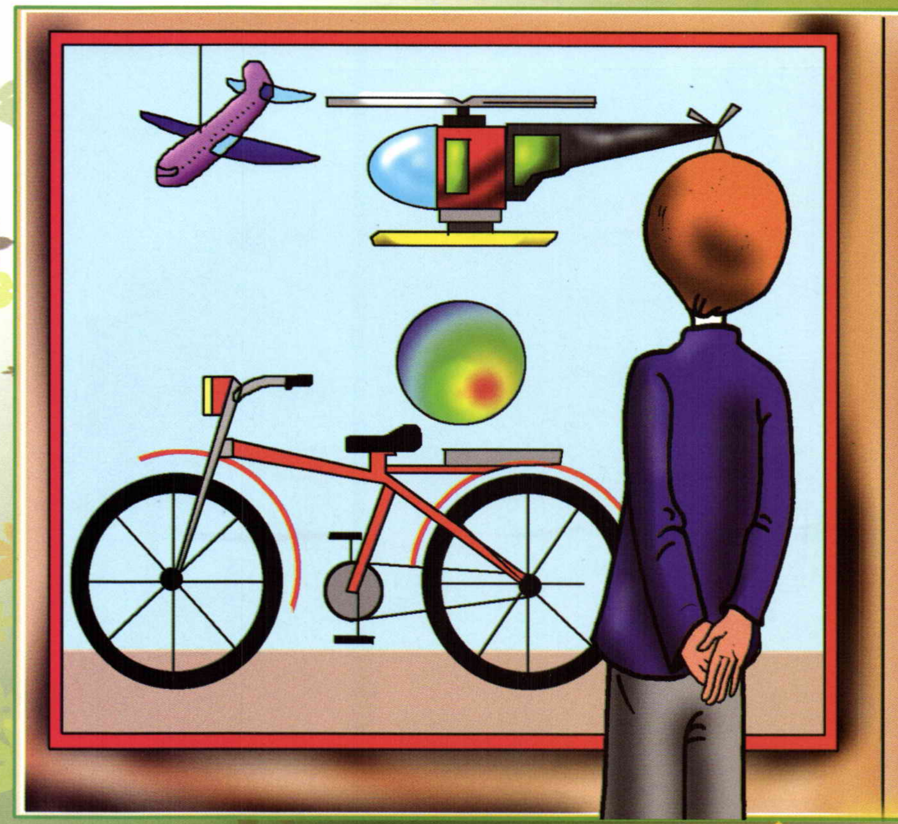
شَعَرَتْ سُمَيَّةُ بالأَسَفِ الشَّديدِ، وَأَخْبَرَتْ جَدَّها بالحِكايَةِ كُلِّها، فَهَدَّأَ مِنْ رَوْعِها، وَقالَ لَها:

لاتَحْزَني ياصَغيرَتي أَبَداً، مادُمْتِ نَدِمْتِ على عَمَلِكِ، اسْتَغْفِري اللّهَ، وَتوبي إِلَيْهِ، ولا تَتَمَنّي بَعْدَ اليَوْمِ للنّاسِ مِنْ حَوْلِكِ إلاّ ماتَتَمَنّينَ لِنَفْسِكَ، وَبِذلكَ يَرْضى اللّهُ عَنْكِ، وَيَغْفِرُ ذَنْبَكِ، إنْ شاءَ تَعالى.. عادَتْ إلى سُمَيَّةَ فَرْحَتُها بَعْدَ ذلكَ، عِنْدَما ذَهَبَتْ إلى صَديقَتِها تَزورُها، وَتَطْمَئِنُّ عَلَيْها، وَبَعْدَ ذلِكَ اليَوْمِ صارَتْ لا تَتَمَنّى لِلنّاسِ مِنْ حَوْلِها إلاّ الخَيْرَ والسَّعادَةَ.

الحَديثُ السّادِسُ: حُبُّ الدُّنيا



عَنْ أبي عَبدِ اللّهِ عليه السلام قالَ: مَنْ أَصْبَحَ وَ أَمْسى وَالدُّنيا أَكْبَرُ هَمِّهِ، جَعَلَ اللّهُ الفَقْرَ بيْنَ عَيْنَيْهِ، وَشَتَّتَ أَمْرَهُ، وَلَمْ يَنَلْ مِنَ الدُّنيا إلاّ ماقُسِمَ لَهُ. وَمَنْ أَصْبَحَ وَ أَمْسى وَالآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّهِ، جَعَلَ اللّهُ الغِنى في قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ أَمْرَهُ..



وَقَفَ عَدْنانُ يَتَأَمَّلُ حُلْمَهُ الجَميلَ أَمامَ واجِهَةِ مَحَلِ الألْعابِ .

إنَّها دَرّاجَةٌ بُرْتُقالِيَّةُ اللّونِ رآها مُنْذُ شَهْرٍ مَضى، وَتَمَنّى على والِدِهِ أَنْ يَشْتَرِيَها لَهُ، لكِنَّ والِدَهُ لَمْ يَفْعَلْ !

فَسِعْرُ الدَّرّاجَةِ مُرْتَفِعٌ، وَوالِداهُ غَيْرُ قادِرَيْنِ على شِرائِها في هذا العامِ، بِسَبَبِ تَوْفيرِ ما أَمْكَنَ مِنْ مَدْخولِهِما الشَّهْرِيِّ، لِعَزْمِهِما قَصْدَ بَيتِ اللّهِ الحَرامِ، وَأَداءَ فَريضَةِ الحَجِّ في هذِهِ السَّنَةِ.

تَذَكَّرَ عَدْنانُ ذلِكَ وابتَلَعَ حَسْرَتَهُ، ولكِنَّهُ جَدَّدَ عَزْمَهُ وَتَصْميمَهُ على أَنْ يَجْمَعَ ثَمَنَ هذِهِ الدَّرّاجَةِ مِنْ مَصْروفِهِ اليَوْمِيِّ كَما اعْتادَ أَنْ يَفْعَلَ في كَثيرٍ مِنَ الأَحْيانِ.

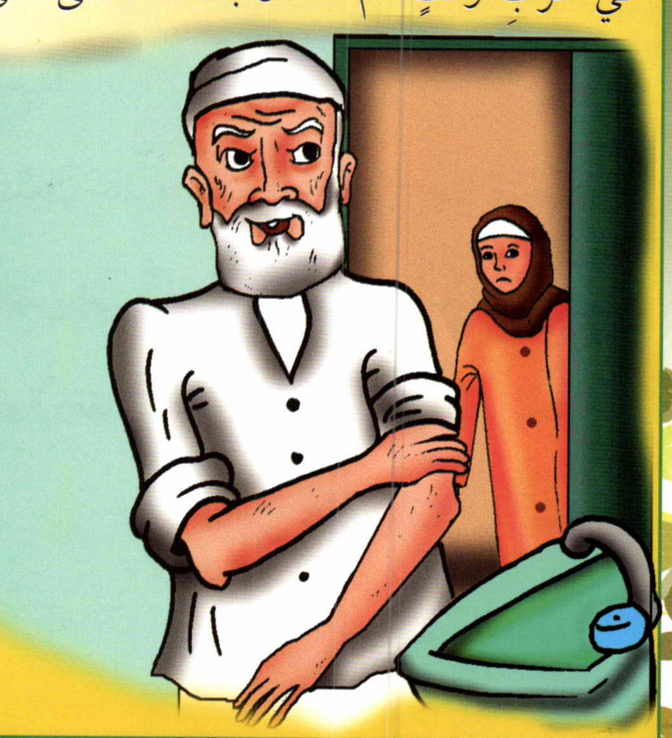
عادَ عَدْنانُ إلى البَيْتِ وَقَدِ ازدادَ عَتَبُهُ على والِدَيْهِ، اللّذَيْنِ حَسَبَ وُجْهَةِ نَظَرِهِ آثَرا نَفْسَيْهِما عَلَيْهِ، وَحَرَماهُ مِنْ تَحْقيقِ حُلْمٍ راوَدَهُ مُنْذُ فَتْرَةٍ طَويلَةٍ: أَنْ يَحْصُلَ على درّاجَةٍ كَهذِهِ الدَّرّاجَةِ الجَميلَةِ، وَيجولَ بِها في الحَديقَةِ يُباهي بِها الأَقارِبَ وَالأَصْدِقاءَ.

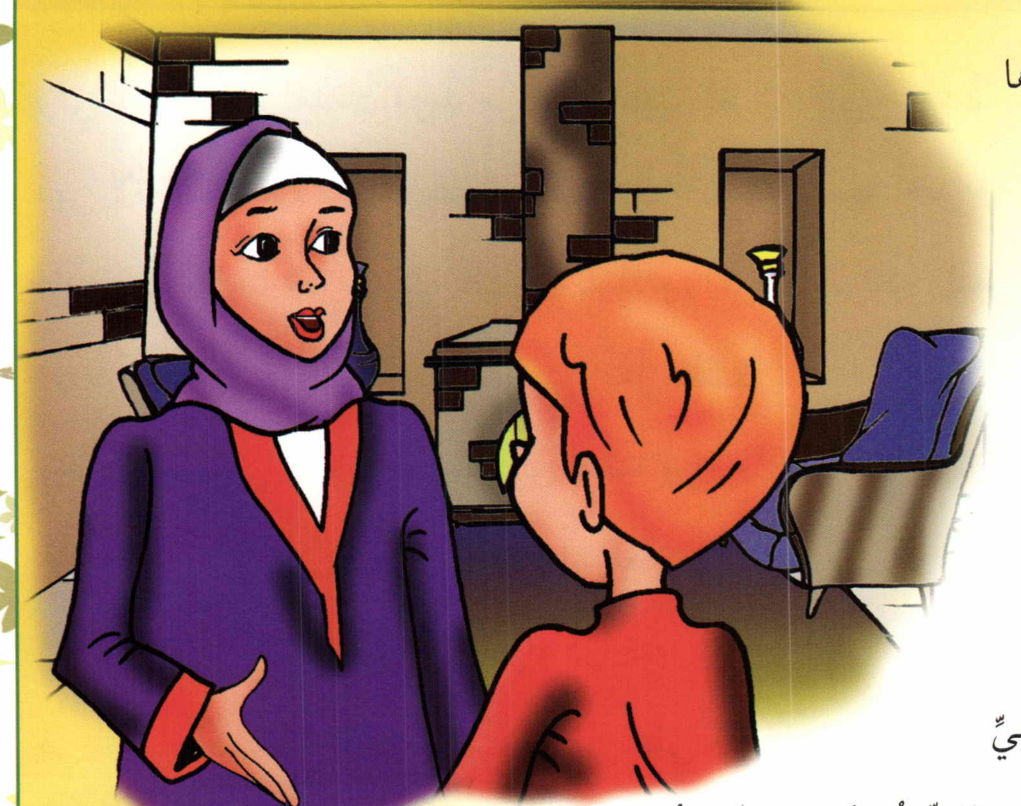
وفي البَيْتِ، كانَ لِعَدْنانَ مَزيدٌ مِنَ التَّصَرُّفاتِ الغَريبَةِ الّتي فوجِئَتْ أُمُّهُ بِها في الآوِنَةِ الأخيرَةِ!

فَهِيَ لاتَكادُ تَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَقومَ بِعَمَلٍ دونَ أَنْ يَطْلُبَ مِنها أَجْراً مالِيّاً عَلَيْهِ!

فَإنْ قالَتْ لَهُ: أَنا خارِجَةٌ إلى السّوقِ ياوَلَدي. اعْتَنِ بِأَخَوَيْكَ رَيْثَما أَعودُ.. قالَ لَها: أَعْطِيني أَلْفَ ليرَةٍ كَيْ أَفْعَلَ ذلكَ!.

وَإنْ أَرْسَلَتْهُ إلى السّوقِ كَيْ يَشْتَرِيَ بَعضاً مِنَ الأغْراضِ، طَلَبَ أَنْ يَقْتَطِعَ مِنْ ثَمَنِها مَبْلَغاً يَدَّخِرُهُ لِنَفْسِهِ كَيْ يَتَمَكَّنَ مِنْ شِراءِ دَرّاجَتِهِ في أَقْرَبِ وَقْتٍ! أُمُّ عَدْنانَ باتَتْ تَخشى على وَلَدِها مِنْ أَنْ يَعتادَ على أَنْ يَكونَ هَمُّهُ مُقْتَصِراً على جَمْعِ المالِ لَيسَ إلاّ.وَقَدْ أَثْبَتَ لَها ذلِكَ عِنْدَما طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَخْرُجَ مَعَ جَدِّهِ إلى المَسْجِدِ لأداءِ فَريضَةِ الصّلاةِ في يَومِ الجُمُعَةِ، فَامْتَنَعَ عَدْنانُ عَنِ القِيامِ بِذلِكَ، إلاّ إنْ أَعْطَتْهُ أُمُّهُ الألْفَ ليرَةٍ الّتي اعتادَ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْها، كُلَّما قامَ بِعَمَلٍ مِنَ الأعْمالِ الّتي تَطْلُبُها مِنْهُ!!





هـنا قَرَّرَتْ أُمُّ عَدْنانَ أَنْ تُنَبِّهَ وَلَدَها

إلى خَطَأٍ ما يَفْعَلُهُ، وَقالَتْ لَهُ:

لَقَدْ وَقَعْتَ يا وَلَدي في خَصْلَةٍ

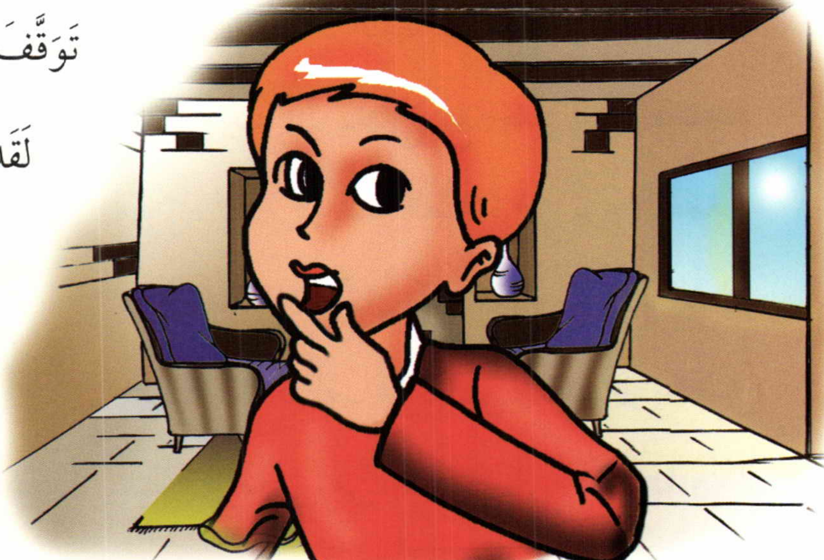
سَيِّئَةٍ بتُّ أَخْشى مِنْها عَلَيْكَ.

إنَّني أَرى أَنَّ الدُّنيا باتَتْ أَكْبَرَ

هَمِّكَ، إلى دَرَجَةِ أَنَّكَ لَمْ تَعُدْ

تُفَكِّرُ حَتّى في الأَجْرِ والثَّوابِ الإلهيِّ

الّذي يُجْزيكَ بِهِ اللّهُ على صَلاتِكَ، وَتُفَضِّلُ عَلَيْهِ المالَ والنُّقودَا!.



تَوَقَّفَ عَدْنانُ عِنْدَ ما قالَتْهُ أُمُّهُ حائِراً: هذا صَحيحٌ،

لَقَدْ فَطِنَ إِلى أَنَّهُ إِنْ اشْتَرَطَ على أُمِّهِ أَنْ تُعْطِيَهُ

المالَ مُقابِلَ أَدائِهِ الصَّلاةَ، فَإِنَّهُ بِذلكَ يَخْسَرُ

الأَجْرَ الإلهِيَّ الّذي وَعَدَ اللّهُ تَعالى

بِهِ عِبادَهُ المُصَلّينَ.



وَراحَ يَسْتَرْجِعُ في ذاكِرَتِهِ كَمْ مَرَّةً سَمِعَ كَلامَ أُمِّهُ مُقابِلَ المالِ، وكَم مَرَّةً دَرَسَ دُروسَهُ مُقابِلَ المالِ، وَكَم مَرَّةً شَرِبَ الحَليبَ وخَلَدَ إلى النَّومِ باكِراً وَاعتَنى بِأَخَوَيهِ في غِيابِ أُمِّهِ مُقابِلَ المالِ!.

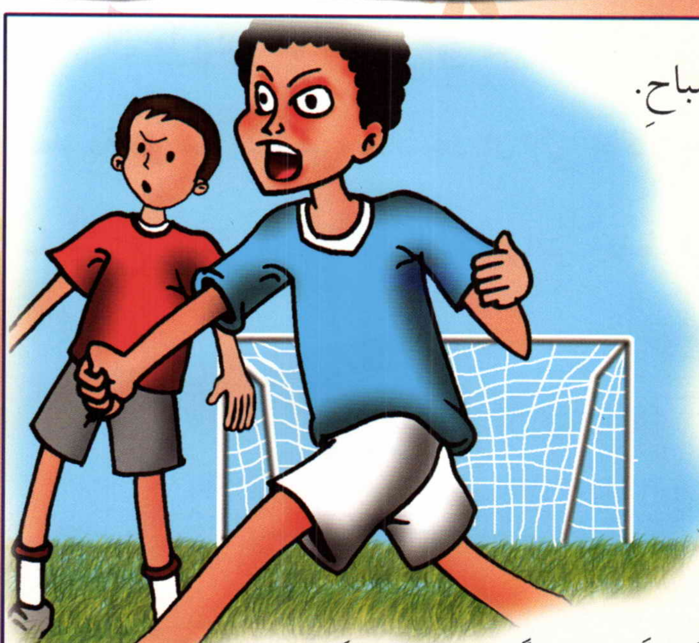
وَرَأى عَدنانُ أَنَّهُ أَخْطَأَ في أَنَّهُ فَضَّلَ تِلكَ الدَّرّاجَةَ الجَميلَةَ على رِضا اللّهِ سُبحانَهُ وَعلى ثَوابِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ما عِنْدَ اللّهِ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مافي الدُّنيا مِنْ نِعَمٍ لا تُعَدُّ وَلا تُحصى.

بَعدَ دَقائِقَ مِنَ التَّفْكيرِ، عادَ عَدْنانُ إلى ماكانَ عَلَيْهِ، ودعا اللّهَ سُبحانَهُ أَنْ لا يَجْعَلَ الدُّنيا أَكْبَرَ هَمِّهِ، ثُمَّ أَسْرَعَ يَلْبَسُ مَلابِسَهُ النَّظيفَةَ لِيُرافِقَ جَدَّهُ إلى المَسْجِدِ.

الحَديثُ السّابِعُ: الغَضَبُ

قالَ أبو عَبْدِ اللّهِ (عليه السلام):

الغَضَبُ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ..



هذا هُوَ عَبّاسٌ، إِنَّهُ يَلْعَبُ مَعَ أَصْدِقائِهِ بالكُرَةِ مُنْذُ الصَّباحِ. أُمُّهُ تَتأَمَّلُهُ وَهُوَ في الحَديقَةِ يَتَصَبَّبُ عَرَقاً وَتَدعو لَهُ بِأَنْ يَهْدِيَهُ اللّهُ سُبْحانَهُ وَيُخَلِّصَهُ مِنْ طَبْعِهِ النَّزِقِ.

فَصُراخُهُ لايَتَوَقَّفُ طالَما هُوَ يَلْعَبُ، وَطالَما هُوَ في رِفْقَةِ الأَصْحابِ. وَالمُشْكِلَةُ الأَكْبَرُ مِنْ ذلِكَ أَنَّهُ خَسِرَ الكَثيرَ مِنْ أَصْحابِهِ بِسَبَبِ طَبْعِهِ وَسُرْعَةِ غَضَبِهِ، وإساءَتِهِ الدّائِمَةِ لَهُمْ في كُلِّ مُناسَبَةٍ، مَعَ أَنَّهُ دائِماً يَعْتَذِرُ، وَدائِماً يَعِدُ بِأَنْ لايَعودَ إِلى ما كانَ عَلَيْهِ سابِقاً، ولكِنْ دونَ جَدوى!.

غابَتْ أُمُّ عَبّاسٍ قَليلاً عَنْ مُراقَبَةِ وَلَدِها لِعَمَلٍ تَقومُ بِهِ في البَيْتِ، وَإِذا بِها تَسْمَعُ صِياحَهُ مِنْ جَديدٍ. ولكِنْ في هذِهِ المَرَّةِ جاءَ صِياحُهُ بِما يُشْبِهُ الشِّجارَ، فَأَسْرَعَتْ إِلى الشُّرْفَةِ لِتَجِدَ وَلَدَها يَتَعارَكُ مَعَ ابنِ الجيرانِ سامِرٍ وَيَتَشابَكانِ بالأَيْدي.





جُنَّ جُنونُ أُمِّ عَبّاسٍ، وَأَسْرَعَتْ كَيْ تَفُضَّ الشِّجارَ بَيْنَ الوَلَدَيْنِ، وَما أنْ وَصلَتْ إلى الحَديقَةِ حتَّى وَجدَتْ جارَتَها أُمَّ سامِرٍ تُمْسِكُ بابْنِها عَبّاسٍ، وَتَضْرِبُهُ على يَديْه، بَعْدَ أنْ أدّى شِجارُهُ مَعَ وَلَدِها سامِرٍ إلى إصابَتِهِ بِرُعافٍ في أنْفِهِ.

وَتَطَوَّرَ الشِّجارُ بَيْنَ الوَلَدَيْنِ إلى خِلافٍ بَيْنَ الوالِدَتَيْن.

فَأُمُّ عَبّاسٍ لَمْ تَقْبَلْ بِأَنْ تَضْرِبَ جارَتُها وَلَدَها.

وَأُمُّ سامِرٍ لَمْ تَرْضَ بِأَنْ يَتَعَرَّضَ وَلَدُها لِلأَذى دونَ أَنْ تَهُبَّ لِنَجْدَتِهِ.



هكذا انتهتْ فَتْرَةُ لَعِبِ الصِّغارِ بِخِلافٍ بَيْنَ الجارَتَيْنِ، كانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَتَطَوَّرَ إلى خِلافٍ بَيْنَ الوالِدَيْنِ لَوْ لَمْ يَتَصَرَّفْ أَبو عَبّاسٍ بِحِكْمَةٍ وَتَعَقُّلٍ.

إذْ إِنَّهُ بَدَأَ بِوَلَدِهِ، فَأَنَّبَهُ وَحَذَّرَهُ مِمّا يُمْكِنُ أَنْ تَجُرَّهُ سُرْعَةُ غَضَبِهِ مِنْ مَشاكِلَ بَيْنَ الجيرانِ، وأَمَرَ زَوْجَتَهُ بِأَنْ تُسَوِّيَ الأَمْرَ مَعَ جارَتِها، فلا يَجوزُ أَنْ يَتَعادى الجيرانُ مِنْ أَجْلِ خِلافاتِ الأَطْفالِ.

أَمّا عَبّاسٌ، فَقَدْ بَدَأَ صَفْحَةً جَديدَةً مِنْ حَياتِهِ بَعْدَ أَنْ رَأى ما يُمْكِنُ أَنْ تَجُرَّهُ أَفْعالُهُ الطّائِشَةُ مِنْ خِلافاتٍ كانَ يُمْكِنُ أَنْ تَزْدادَ تَبِعاتُها لَوْلا حِكْمَةُ والِدِهِ وَحُسْنُ تَصَرُّفِهِ.

الحَديثُ الثّامِنُ: العَصَبِيَّةُ

قالَ رَسولُ اللّه ﷺ: مَنْ كانَ في قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصَبِيَّةٍ، بَعَثَهُ اللّهُ يَومَ القِيامَةِ مَعَ أَعْرابِ الجاهِلِيَّةِ..

جَلَسَتِ الجَدَّةُ في يَوْمٍ عاصِفٍ تَرْوي لأَحْفادِها قِصَّةَ آدَمَ عليه السلام. الأَطْفالُ يَعْرِفونَ القِصَّةَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ، وَمَعَ ذلِكَ فَهُمْ في كُلِّ مَرَّةٍ يَطْلُبونَ مِنْ جَدَّتِهِم أَنْ تَرويَ لَهُمُ الحِكايَةَ ذاتَها لِما فيها مِنْ حِكَمٍ وَعِبَرٍ لا يَنْبَغي لَنا في أيِّ يَوْمٍ مِنَ الأيّامِ أَنْ نَنْساها أَوْ نَغْفَلَ عَنْها.



كَعادَةِ الجَدَّةِ أُمِّ صالِحٍ، بَعْدَ أَنْ وَصَلَتْ في رِوايَةِ القِصَّةِ إِلى يَوْمِ أَمَرَ اللّهُ سُبْحانَهُ المَلائِكَةَ أَنْ يَسْجُدوا لآدَمَ عليه السلام، طَلَبَتْ مِنْ أَحْفادِها أَنْ يُصَلّوا على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَعلى آلِهِ الأَطْهارِ الكِرامِ.

فَهَتَفوا جَميعاً: اللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعلى آلِ مُحَمَّدٍ. .

ثُمَّ قالَتْ لَهُمْ: لَقَدْ كانَ إِبْليسُ يَعيشُ بَيْنَ المَلائِكَةِ إِلى دَرَجَةِ أَنَّهُم كانوا يَظُنّونَ أَنَّهُ مِنْهُم، وَكانَ يَعْبُدُ اللّهَ سُبْحانَهُ، لكِنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الملائِكَةِ، إلى أَنْ أَمَرَهُمُ اللّهُ سُبْحانَهُ جَميعاً بِأَنْ يَسْجُدوا لآدَم عليه السلام، فَلبّى جَميعُ الملائِكَةِ الأَمْرَ الإلهيَّ دونَ أيِّ تَرَدُّدٍ، أَمّا إِبْليسُ اللّعينُ، فَقَدْ رَفَضَ السُّجودَ، وقالَ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: خَلَقْتَني مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ..

وَبِهذا ظَهَرَ إِبْليسُ على حَقيقَتِهِ، وَعَلِمَ المَلائِكَةُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَيْنِهِم، لأَنَّهُ لا يُمْكِنُ لِلْملائِكَةِ أَنْ يَكونوا مُتَعَصِّبين مُسْتَكْبِرينَ على أَمْرِ اللّهِ سُبحانَهُ..

صَمَتَتِ الجَدَّةُ قَليلاً، فَقالَ عِصامٌ: أَنا أَعْرِفُ ياجَدَّتي أَنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ غَضِبَ على إِبْليسَ اللّعينِ بَعدَ ذلكَ، وَطَرَدَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَحَقَدَ إِبْليسُ على بَني البَشَرِ جَميعاً، وَعَزَمَ على أَنْ يُضِلَّهُم وَيُرْدِيَهُمْ..

قالَتِ الجَدَّةُ: لَيْسَ هذا فَحَسْبُ يابُنَيَّ، بَلْ إِنَّ إِبْليسَ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَدْخُلَ النّارَ وَحْدَهُ، بَلْ أَرادَ أَنْ يَدْخُلَ النّاسُ مَعَهُ، وَلِذا راحَ يُزَيِّنُ لَهُمُ الخَطَأَ وَالفَواحِشَ..

قالَتْ رَبابُ: وَالعَصَبِيَّةُ هِيَ أَوَّلُ هذِهِ الآثامِ، الّتي تَجُرُّ النّاسَ إلى الاستِكْبارِ وَالتّعالي على غَيْرِهِمْ مِنَ البَشَرِ..



قالَتِ الجَدَّةُ:" أَحْسَنْتِ ياابنَتي، هذا صَحيحٌ. إنَّ صِفَةَ العَصَبِيَّةِ مِنْ صِفاتِ الشَّيطانِ، وَهِيَ مِنْ صِفاتِ المُشرِكينَ الّذينَ حارَبوا النَّبيَّ ﷺ في بِدايَةِ الدّعْوَةِ إلى الإسلامِ، إذْ لَمْ يَتَحَمَّلِ الأعْرابُ في الجاهِلِيَّةِ أَنْ يَروا النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ يُجالِسُ سَلْمانَ الفارِسِيَّ أَوْ بِلالاً الحَبَشِيَّ أَوْ عماراً بْنَ ياسِرٍ أَوْ غَيْرَهم مِنَ الغُرَباءِ عَنْ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ،

أَوِ الفُقَراءِ المُسْتَضْعَفينَ.".

قالَ فَيْصَلٌ:" لَقَدْ كانَ مِنْ عادَةِ

العَرَبِ أَنْ يُدافِعوا عَنْ أَقْربائِهِمْ

وَلَوْ كانوا على خَطَأٍ، وَلكنَّ النَّبِيَّ ﷺ

عَلَّمَهُمْ أَنْ يَكونوا عادِلينَ في ذلكَ، وَأَنْ

لا تَأْخُذَهُم في اللّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَجَعَلَ

عَمَّهُ أَبا لَهَبٍ مَثَلاً على ذلِكَ، إذْ جَعَلَهُ

اللّهُ سُبْحانَهُ في زُمْرَةِ الكافِرينَ المُشْرِكينَ،

رَغْمَ قَرابَتِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ.".قالَتِ الجَدَّةُ:" إذنْ تَعالوا ياأَحِبَّتي نَدْعُو اللّهَ سُبْحانَهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلوبَنا مِنَ العَصَبِيَّةِ وَالاستِكْبارِ كَي نَنالَ مَحَبَّتَهُ وَرِضاهُ، وَأَنْ نُحِبَّ وَنَحْتَرِمَ جَميعَ النّاسِ وَفْقاً لِما يَحْمِلونَهُ مِنْ تَقْوىً وَصَلاحٍ وَقُرْباً مِنَ اللّهِ سُبحانَهُ مَهْما كانَتْ أَجْنَاسُهُمْ أَوْ أَلْوانُهُم..

الحديث التّاسع: النّفاق



عن أبي عبدِ اللهِ الصّادق عليه السلام، قالَ: مَنْ لَقِيَ المُسلِمينَ بِوَجْهَيْنِ وَلِسانَيْنِ جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ وَلَهُ لِسانانِ مِنْ نارٍ..

لَيْسَ مِنْ عادَةِ فَيْصَلٍ أَنْ يُجامِلَ الآخَرينَ وَيُكْثِرَ مِنَ المَديحِ، وَقَدْ قَرَّرَ بَدْءاً مِنْ هذا الصَّباحِ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ على المُجامَلاتِ! إِنَّهُ قَرارٌ غَيْرُ مُتَوَقَّعٍ مِنْكَ، ولكن لا تُبالِغْ في ذلِكَ كَي لا تَقَعَ في مَعْصِيَةِ النِّفاقِ!. قالَ لَهُ والِدُهُ وَهُوَ يَسْتَمِعُ إلى شَكْواهُ مِنْ قِلَّةِ الأَصْدِقاءِ، وَابْتِعادِهِمْ عَنْهُ بِسَبَبِ صَراحَتِهِ في انْتِقادِهِم، وَفَظاظَتِهِ في الكَلامِ مَعَهُمْ!



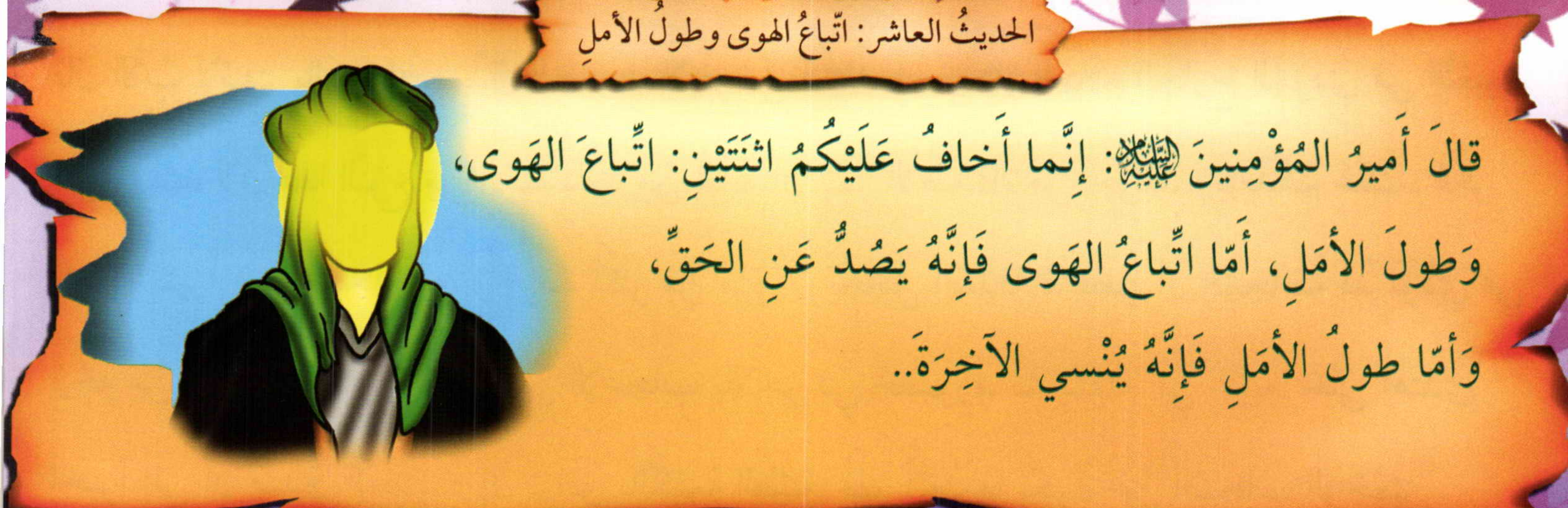
لَقَدْ خَسِرَ صَديقَهُ أُسامَةَ لأنَّهُ انتَقَدَ جُبْنَهُ أثْنَاءَ مُشَارَكَتِهِ في الحِراسَةِ اللّيْلِيَّةِ حينَ اجْتَمَعا في فِرْقَةٍ كَشْفِيَّةٍ واحِدَةٍ أَيّامَ المُخَيَّمِ الصَّيْفِيِّ، كَما خَسِرَ صَديقَهُ إبراهيمَ الّذي شارَكَ في مَعْرِضِ الرَّسْمِ بِلَوْحَةٍ لَمْ تَنَلْ أَلْوانُها إِعْجابَهُ، أَمّا ابنُ خالَتِهِ علاءُ فَقَدْ خَسِرَ صَداقَتَهُ عِنْدَما طَلَبَ مِنْهُ رَأْياً في البَحْثِ الّذي قضى أَيّاماً في إِعْدادِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِهِ إلى مُعَلِّمَةِ العُلوم، فَقالَ لَهُ: إِنَّهُ أَسْوَأُ بَحْثٍ عِلْمِيٍّ رَأَيْتُهُ في حَياتي، ولايَدُلُّ إلاّ على ضَعْفِ صاحِبِهِ في المادَّةِ العِلْمِيَّةِ!.

طَبْعاً أَعْلَمَ فَيْصَلٌ والِدَهُ بِكُلِّ تِلكَ المَواقِفِ، فَلامَهُ على طَبْعِهِ الفَظِّ في التَّعامُلِ مَعَ الأَصْدِقاءِ، لأنَّهُ بِذلِكَ سَيَخْسَرُهُمْ واحِداً تِلْوَ الآخَرِ.

ولكنَّ فَيْصَلاً ظَلَّ مُصِرّاً على صَراحَتِهِ في التَّعبيرِ عَنْ رَأْيِهِ لأَنَّهُ كَما قالَ لأَبيهِ لايُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَكونَ صاحِبَ وَجْهَينِ وَلِسانَيْنِ، فَيَنالَ بِذلِكَ غَضَبَ اللّهِ سُبْحانَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ مِنَ المَعاصي الَّتي تُدْخِلُ النّارَ، وَهِيَ مَعصِيَةُ النِّفاقِ الّتي ذَكَرَها القُرْآنُ الكَريمُ وَنَهى عَنْها.

قالَ الأبُ لابْنِهِ: يابُنَيَّ! إنَّ صِدْقَ الحَديثِ لايَفْرِضُ عَلَيْكَ أَنْ تَخْتارَ الكَلامَ الجارِحَ المُؤذيَ في التَّعْبيرِ عَنْ رَأْيِكَ، لأَنَّ هذا النَّوْعَ مِنَ الانتِقاداتِ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُنَفِّرَ الأَصْدِقاءَ مِنْ حَوْلِكَ،وَيُبْعِدَهُم عَنْكَ.. فَكَّرَ فَيْصَلٌ كَثيراً في نَصيحَةِ أَبيهِ، وَجَرَّبَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أَنْ يُجامِلَ أَصْدِقاءَهُ، فَظَنَّ أَنَّ المُجامَلَةَ قَدْ تُؤَدّي في وَجْهٍ مِنْ وُجوهِها، إلى أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ الإعجابِ بالآخَرِ في حُضورِهِ، ثُمَّ يَنْتَقِدُهُ في غِيابِهِ! حَتّى اهتدى أَخيراً إلى أَنَّ صِدْقَ الحَديثِ إنْ تَرافَقَ بِالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، فَهُوَ أَبْعَدُ ما يَكونُ عَنْ أَصْحابِ الوَجْهَيْنِ واللِّسانَيْنِ وَأَصْحابِ النِّفاقِ. وَما مَرَّ بَعْدَ ذلكَ سِوى وَقْتٍ قَصيرٍ حَتّى عادَ الأَصْدِقاءُ إلى صُحْبَةِ فَيْصَلٍ





قالَ أَميرُ المُؤْمِنينَ عليه السلام: إِنَّما أَخافُ عَلَيْكُمُ اثنَتَيْنِ: اتِّباعَ الهَوى، وَطولَ الأَمَلِ، أَمّا اتِّباعُ الهَوى فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الحَقِّ، وَأمّا طولُ الأمَلِ فَإِنَّهُ يُنْسي الآخِرَةَ..

حانَ وَقْتُ الصَّلاةِ، وارتَفَعَ صَوْتُ المُؤَذِّنِ مُنْذُ بَعْضِ الوَقْتِ يُعْلِنُ الدُّخولَ في وقتِ صَلاةِ الظُّهْرِ المَفْروضَةِ.

أَسْرَعَتْ أُمُّ سَليمٍ تُنَبِّهُ أَوْلادَها إلى وُجوبِ القِيامِ إلى الصَّلاةِ، فَهَرَعَ الجَميعُ، ما عدا رُبى.

لَمْ تَكُنْ رُبيتَحتَ سِنِّ التَّكْليفِ، بَلْ إِنَّها مُكَلَّفَةٌ، وقَدْ تَجاوَزَتِ العاشِرَةَ مِنْ عُمْرِها مُنْذُ شُهورٍ.

إذاًلِماذا لَمْ تَقُم إلى صَلاتِها كَما فَعَلَ إِخْوَتُها؟



كانَتْ رُبى مَشْغولَةً بِعَمَلٍ. إنَّها تَجْلسُ إلى طاوِلَةِ الكمبيوتر تَلْعَبُ لُعْبَةً شَيِّقَةً مُمْتِعَةً، ولا تَجِدُ نَفْسَها راغِبَةً فِي القِيامِ مِنْ مكانِها قَبْلَ أَنْ تَصِلَ في لُعْبَتِها تِلْكَ إلى النِّهايَةِ.طالَ الوقْتُ، وَمَضَتْ أَكْثَرُ مِنْ ساعَةٍ على حُلولِ مَوْعِدِ الصَّلاةِ، دونَ أَنْ تَجِدَ رُبى نَفْسَها مُقْبِلَةً على صَلاتِها، وَظَلَّتْ تَلْعَبُ وَتَلْعَبُ، وَكُلَّما ذَكَّرَتْها أُمُّها بِأَنَّ مَوْعِدَ الصَّلاةِ كادَ يَفوتُ، تَعَلَّلَتْ بِقَوْلِها:

دقيقَةً واحِدَةً.. أرجوكِ يا أُمّي..وَأَخيراً خَرَجَتْ أُمُّ رُبى مِنَ البَيْتِ لِزِيارَةِ أُخْتِها المَريضَةِ، خَرَجَتْ وَهِيَ تُوصي ابنَتَها بِأَنْ تَتَوَقَّفَ عَنِ تَضييعِ وَقْتِها في اللّعِبِ، وَتَقومَ إِلى صَلاتِها.

وَمَضَتْ دَقائِقُ وَساعَاتٌ دونَ أَنْ تَتَحَرَّكَ رُبى مِنْ مَكانِها إلى أَنْ فاتَ وَقْتُ الصَّلاةِ، وَتَضاءَلَ نورُ الشَّمْسِ في



فِي ذلِكَ الوَقْتِ طَرَقَتْ أُمُّ رُبى بابَ البَيْتِ، وَقَدْ عادَتْ تَوّاً مِنْ زِيارَتِها،

وَكانَ أَوَّلُ ما سَأَلَتِ ابْنَتَها عَنْهُ هُوَ صَلاتَها.

وَقَفَتْ رُبى أَمامَ أُمِّها مُطَأْطِئَةَ الرَّأْسِ.

فَهِيَ لا تَذْكُرُ أَنَّها قَصَّرَتْ يَوْماً

في الصَّلاةِ، أَوْ تَخَلَّفَتْ عَنْها،

فَما الَّذي حَدَثَ لَها اليَوْمَ؟

إِنَّها لا تَسْتَطيعُ أَنْ تُفَسِّرَ

عَمَلَها إلاّ بِأَنَّها استَجابَتْ

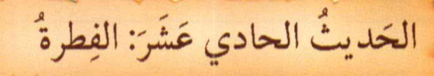
لِهَواها وَنَفْسِها بَعْدَ أَنْ

وَسْوَسَ لَها

الشَّيْطانُ بِذلِكَ.



قالَتْ لَها أُمُّها: إنَّ ما وَقَعْتِ فيهِ ياابنَتي ماهُوَ إلاّ اتِّباعٌ لِلْهَوى، وَطولُ الأمَلِ..
فاتِّباعُ الهَوى يَعْني أَنْ نَنْصاعَ إلى شَهَواتِ أَنْفُسِنا وَإغْراءاتِها لَنا،
وَمِنْ هذهِ الإغراءاتِ: اللّعِبُ في وَقْتِ الصَّلاةِ حَتّى تَضيعَ
وَيَنْقَضيَ وَقْتُها، وهذا ما يَصُدُّنا عَنِ الحَقِّ.
أَمّا طولُ الأمَلِ فَهُوَ أَنْ نَظُنَّ أَنَّ الوَقْتَ
مَفْتوحٌ أَمامَنا لإنْجازِ العَمَلِ، وهذا ما
يُنْسينا الآخِرَةَ، فالوَقْتُ سُرْعانَ ما
يَنْقَضي لِيَجِدَ الإنْسانُ نَفْسَهُ في
خاتِمَةِ المَطافِ أَمامَ اللّهِ جَلَّ
وَعلا مَسْؤولاً عَنْ كُلِّ أَعْمالِهِ..
في ذلِكَ اليَوْمِ اسْتَغْفَرَتْ رُبى
اللّهَ سُبْحانَهُ، وَعاهَدَتْهُ على
أَنْ لا تَسْمَحَ لِلشَّيْطانِ بِأَنْ
يُلْهِيَها عَنْ صَلاتِها، أَوْ
يَصْرِفَها عَنْ واجِباتِها أَبَداً.





سُئِلَ أَبو عَبْدِ اللّهِ الحُسَيْنُ عليه السلام. عَنْ قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (فِطْرَةُ اللّهِ الَّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها). قالَ: فَطَرَهُم جَميعاً على التَّوحيدِ..

لَمْ يَكُنْ يَشْغَلُ بالَ سامِرٍ وَهُوَ يَقْرَأُ ذلِكَ الكِتابَ الّذي وَقَعَ فيَ يَدِهِ في ذلِكَ المَساءِ إلاّ شَيْءٌ واحِدٌ.

إنَّها قِصَّةٌ تَحْكي عَنْ أبي ذرٍّ الغِفاريِّ صاحِبِ رَسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم الّذي عَرَفَ الإسلامَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ الرَّسولُ صلى الله عليه وآله وسلم نَبِيّاً.

فالقِصَّةُ تَقولُ إنَّ أبا ذرٍّ (رض) كانَ يُصَلّي دونَ أَنْ تكونَ لَهُ قِبْلَةٌ، بَعْدَ أَنْ عَبَدَ الأَصْنامَ طَويلاً، وَكانَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ لِهذا الكَونِ خالِقاً واحِداً.

فَمِنْ أَيْنَ لأبي ذرٍّ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ هذا دونَ أَنْ يَكونَ لِلنّاسِ نَبِيٌّ يُرْشِدُهُم وَيُعَلِّمُهُم؟



إنَّها حِكايَةٌ غَريبَةٌ فِعلاً، حِكايَةٌ شَغَلَتْ بالَ سامِرٍ، فَأَسْرَعَ إلى والِدِهِ يَطْرَحُ عَلَيْهِ سُؤالَهُ

المُؤَرِّقَ الّذي لَمْ يَعْثُرْ لَهُ على إِجابَةٍ.

فَقالَ لَهُ أَبوهُ: إنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ أَنْعَمَ عَلى عِبادِهِ جَميعاً بِأَنْ فَطَرَهُم على

التَّوْحيدِ يابُنَيَّ. إنَّها فِطْرَةُ اللّهِ..اشْتَدَّ عَجَبُ سامِرٍ أَكْثَرَ.

أبوهُ يَقولُ لَهُ: فِطْرَةٌ. أَتُراهُ يَقْصِدُ بِها فِطْرَةَ العيدِ الّتي تَقومُ أُمُّهُ بِتَأْدِيَتِها

قَبْلَ عيدِ الفِطْرِ السَّعيدِ إِلى الفُقَراءِ

والمُحتاجينَ؟ ما علاقَةُ

أَبي ذرٍّ (رض) بالفِطْرَةِ؟

تَرَدَّدَ سامِرٌ بَعْضَ الشَّيْءِ قَبْلَ

أَنْ يَطْرَحَ على والِدِهِ سُؤالاً

آخَرَ: ما مَعْنى الفِطْرَةِ

يا أبي؟.

سُرَّ أَبو سامِرٍ مِنْ إِصرارِ وَلَدِهِ على فَهْمِ جَوابِهِ فَهْماً جَيِّداً.

فَقالَ: إِسْمَعْ يابُنَيَّ! إنَّ فِطْرَةَ اللّهِ سُبْحانَهُ هِيَ الحالُ وَالكَيْفِيَّةُ الّتي خُلِقَ عَلَيْها النّاسُ واتَّصفوا بِها مُنْذُ اللّحْظَةِ الّتي كَوَّنَهُمُ اللّهُ تعالى فِيها.

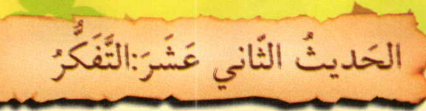
وكانَ أَوَّلُ النّاسِ آدَمَ عليه السلام، إِذْ إِنَّهُ حالَما نَفَخَ اللّهُ تَعالى الرّوحَ فيهِ، عَطَسَ، فَقالَ: الحَمْدُ لِلّهِ.. لَقَدْ حَمَدَ اللّهَ سُبْحانَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَمَيَّزَ عَيناهُ النّورَ مِنَ الظُّلْمَةِ، وكَذلِكَ فَعَلَ نَبِيُّ اللّهِ إِبراهيمُ الخَليلُ عليه السلام الّذي تَوَجَّهَ بِصَلاتِهِ إلى اللّهِ سُبْحانَهُ مِنْ دونِ أَنْ يُعَلِّمَهُ أَحَدٌ، وَقالَ بَعْدَ أَنْ فَكَّرَ بِعَقْلِهِ حتّى اهتَدى:(إِنّي وَجَّهْتُ وَجْهي لِلَّذي فَطَرَ السّمواتِ والأَرضَ).

هكَذا يا وَلَدي يُمْكِنُ لِلنّاسِ أَنْ يَهْتَدوا بِما وَهَبَهُمُ اللّهُ سُبْحانَهُ مِنْ نورِهِ الإلهيِّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يولَدوا حَتّى..



أَخيراً استَطاعَ سامِرٌ أَنْ يَفْهَمَ ما الّذي جَعَلَ الصَّحابِيَّ العَظيمَ أبا ذرٍّ الغِفاريَّ يُؤْمِنُ باللّهِ تعالى ويَهْتَدي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلْتَقِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، بَلْ إِنَّهُ راحَ يَبْحَثُ عَنْهُ إلى أَنْ وَجَدهُ والْتَقاهُ، فَكانَ مِنْ أَكْثَرِ النّاسِ تَضْحِيَةً وَصَبْراً في سَبيلِ إِعلاءِ رايَةِ الإِسْلامِ والمُسْلِمينَ.





عَنْ أَبي عَبْدِ اللّه (عليه السلام) قالَ: كانَ أَميرُ المُؤْمِنينَ (عليه السلام) يَقولُ: نَبِّهْ بِالتَّفَكُّرِ قَلْبَكَ، وَجافِ عَنِ اللّيْلِ جَنْبَكَ، واتَّقِ اللّهَ رَبَّكَ..

استَيْقَظَتْ سارَةُ مِنْ رُقادِها في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ اللّيلِ، إنَّها الرّابِعَةُ قُبَيْلَ الفَجْرِ.

كانَتْ سارَةُ تَشْعُرُ بالعَطَشِ فَأَسْرَعَتْ إلى المَطْبَخِ كَيْ تَشْرَب، وَخِلالَ مُرورِها لَفَتَ انتِباهَها نورٌ مُنْبَعِثٌ مِنْ غُرْفَةِ جَدِّها!

إذاً جَدّي مُسْتَيقِظٌ في هذا الوَقْتِ مِنَ اللّيلِ! ما القِصَّةُ يا تُرى؟.

هذا ما قالَتْهُ سارَةُ في نَفْسِها، قَبْلَ أَنْ يُداهِمَها قَلَقٌ مُفاجِئٌ. أَيُمْكِنُ أَنْ يَكونَ جَدّي مَريضاً؟

ما الّذي يَحْدُثُ؟

عَلَيَّ أَنْ أَدْخُلَ غُرْفَتَهُ لِلاطْمِئنانِ عَلَيْهِ.



أَسْرَعَتْ سارَةُ تَطْرُقُ بابَ غُرْفَةِ جَدِّها، فجاءَها صَوْتُهُ يَأْذَنُ لَها بِالدُّخولِ

وَكانَتِ المُفاجَأَةُ! إنَّ جَدَّها يَبْكي والدُّموعُ تَتَرَقْرَقُ في عَيْنَيْهِ!

- جَدّي!. هَتَفَتْ سارَةُ بِحُزْنٍ ثُمَّ أَلْقَتْ بِنَفْسِها في

حِضْنِ جَدِّها، وَراحَتْ تَمْسَحُ دُموعَهُ بِأَصابِعِها

الصَّغيرَةِ. وَقالَتْ: أَرْجوكَ ياجَدّي، أَخْبِرْني. ما

الّذي يُحْزِنُكَ؟ما الّذي يُؤْلِمُكَ؟ ما الّذي

يُبْكيكَ؟ . ابتَسَمَ الجَدُّ ابْتِسامَةً مُطْمَئِنَةً،

ثُمَّ قالَ لِحَفيدَتِهِ الصَّغيرَةِ: لا عَلَيْكِ

يابنَتي. كُنْتُ أَتَفَكَّرُ في خَلْقِ

اللّهِ فَحَسْبُ..



تتَفَكَّرُ؟. تساءَلَتْ سارَةُ والدَّهْشَةُ تَحْتَلُّ صَفْحَةَ وَجْهِها المُوَرَّدِ.

ثُمَّ قالَتْ: وَلِماذا تَبْكي ياجَدّي؟.

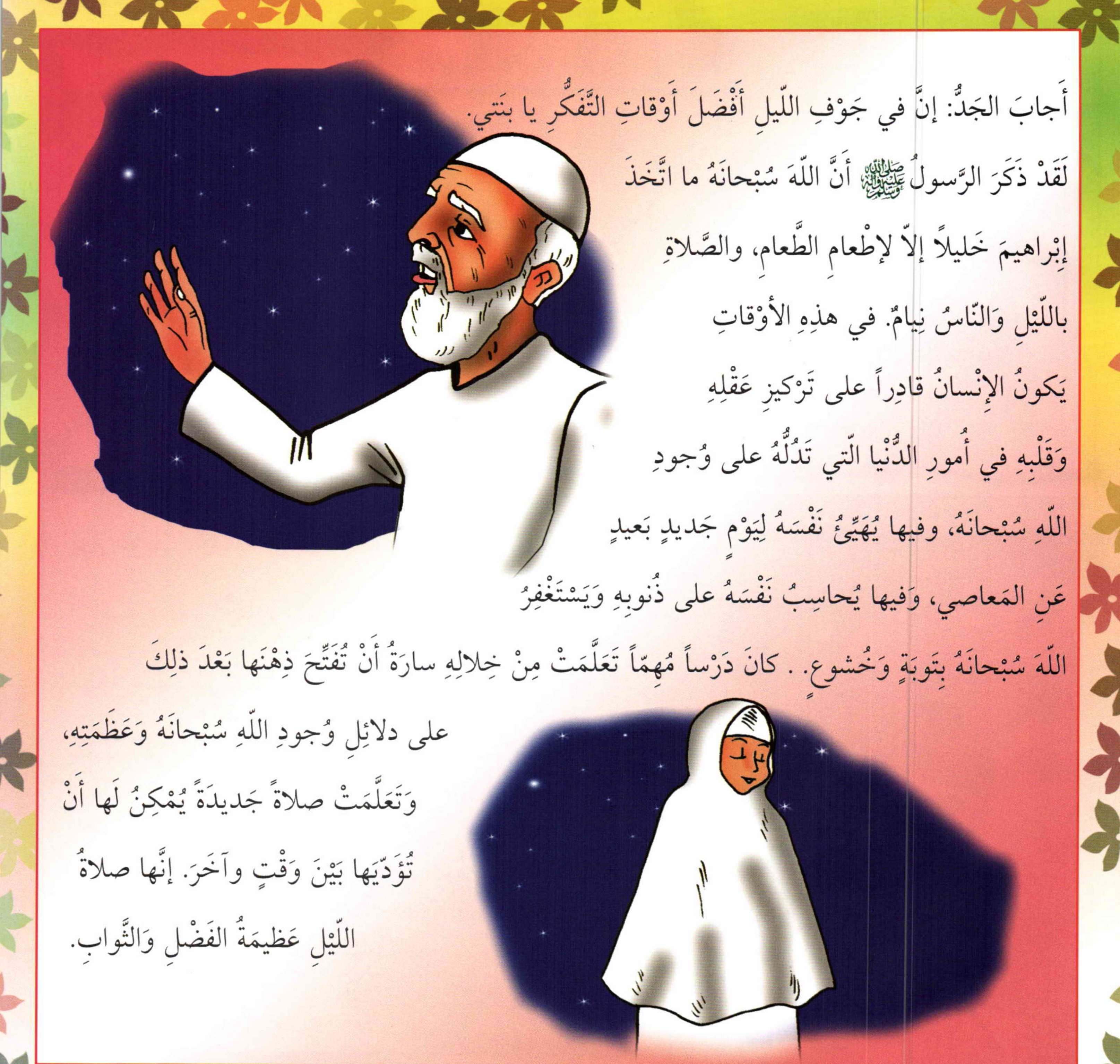
أَجابَ الجَدُّ: لَيْسَ الحُزْنُ هُوَ السَّبَبَ الوَحيدَ لِلْبُكاءِ ياصَغيرَتي، فَقَدْ يَكونُ الحُبُّ وَالإيمانُ سَبَبينِ مِنْ أَسْبابِ الدُّموعِ أَيْضاً..

قالَتْ سارَةُ مُتَعَجِّبَةً: وَكَيْفَ يَكونُ الحُبُّ وَالإيمانُ مِنْ أَسْبابِ الدُّموعِ ياجَدّي؟.

أَجابَ جَدُّها: حينَ يَتَفَكَّرُ المُؤْمِنُ يَشْعُرُ بِأَنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ قَريبٌ مِنْهُ، يَسْمَعُ صَوْتَهُ وَدُعاءَهُ؛ حينَها لا يُمْكِنُ لَهُ إلاّ أَنْ يَشْعُرَ بِالحُبِّ يَمْلأُ قَلْبَهُ، والإيمانِ يَحْتَلُّ كُلَّ جَوارِحِهِ..

هَتَفَتْ سارَةُ: ولكِنْ ما الّذي أَيْقَظَكَ في هذا الوَقْتِ مِنَ اللّيلِ ياجَدّي كَيْ تَتَفَكَّرَ وَتَبْكيَ مِنَ الحُبِّ وَالإيمانِ،

أَلا يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَفَكَّرَ في النَّهارِ ياجَدّي؟.



أَجابَ الجَدُّ: إنَّ في جَوْفِ اللّيلِ أَفْضَلَ أَوْقاتِ التَّفَكُّرِ يا بنَتي.

لَقَدْ ذَكَرَ الرَّسولُ ﷺ أَنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ ما اتَّخذَ إبْراهيمَ خَليلاً إلاّ لإطْعامِ الطَّعامِ، والصَّلاةِ باللّيْلِ وَالنّاسُ نِيامٌ. في هذهِ الأَوْقاتِ يَكونُ الإنْسانُ قادِراً على تَرْكيزِ عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ في أُمورِ الدُّنْيا التي تَدُلُّهُ على وُجودِ اللّهِ سُبْحانَهُ، وفيها يُهَيِّئُ نَفْسَهُ لِيَوْمٍ جَديدٍ بَعيدٍ عَنِ المَعاصي، وَفيها يُحاسِبُ نَفْسَهُ على ذُنوبِهِ وَيَسْتَغْفِرُ اللّهَ سُبْحانَهُ بِتَوبَةٍ وَخُشوعٍ. . كانَ دَرْساً مُهِمّاً تَعَلَّمَتْ مِنْ خِلالِهِ سارَةُ أَنْ تُفَتِّحَ ذِهْنَها بَعْدَ ذلِكَ على دلائِلِ وُجودِ اللّهِ سُبْحانَهُ وَعَظَمَتِهِ، وَتَعَلَّمَتْ صلاةً جَديدَةً يُمْكِنُ لَها أَنْ تُؤَدِّيَها بَيْنَ وَقْتٍ وآخَرَ. إنَّها صلاةُ اللّيْلِ عَظيمَةُ الفَضْلِ وَالثَّوابِ.



الحَديثُ الثّالِثَ عَشَر: التَّوَكُّل

سُئِلَ أَبو الحَسَنِ الأوَّلُ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

(وَمنْ يَتَوَكَّلْ على اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ).

فَقالَ: التَّوَكُّلُ على اللّهِ دَرَجاتٌ، مِنْها أَنْ تَتَوَكَّلَ على اللّهِ في أُمورِكَ فَما فَعَلَ بِكَ كُنْتَ عَنْهُ راضِياً تَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَأْلوكَ خَيْراً وَفَضْلاً، وَتَعْلَمُ أَنَّ الحُكْمَ في ذلِكَ لَهُ. فَتَوَكَّلْ على اللّهِ بِتَفْويضِ ذلِكَ إِلَيْهِ، وَثِقْ بِهِ فيها وَفي غَيْرِها..

يَوْمٌ غَريبٌ بِأَعْبائِهِ وَمَسْؤولِيّاتِهِ المُلْقاةِ على عاتِقِ عَبْدِ الرَّحْمنِ، فَقَدِ اخْتارَهُ الأُسْتاذُ أَحْمَدُ لِيُمَثِّلَ صَفَّهُ في مَهَمَّةٍ صَعْبَةٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ قامَ بِها. لَقَدْ قَرَّرَتْ بَلَدِيَّةُ القَرْيَةِ أَنْ تُجْرِيَ مُباراةً في ذِكْرى وِلادَةِ أَميرِ المُؤْمِنينَ (عليه السلام) بَيْنَ التَّلاميذِ الّذينَ يُحْسِنونَ الإلْقاءَ وَلَدَيْهِمْ مَوْهِبَةٌ في الخَطابَةِ.

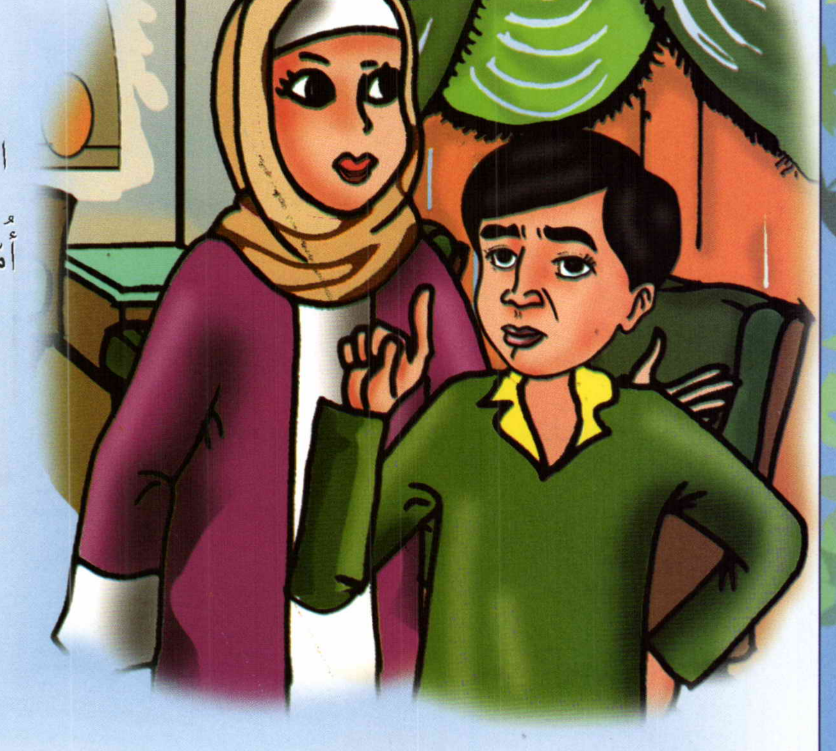
فِي هذِهِ المُباراةِ يَقومُ أولئِكَ الأولادُ بِحِفْظِ نُصوصٍ مِنْ خُطَبِ وَكلامِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام الوارِدِ في كِتابِ نَهْجِ البَلاغَةِ، ثُمَّ يُلْقونَها في مَرْكَزِ المُباراةِ بِحُضورِ المُشْرِفينَ على المُباراةِ وَ المَدْعُوّينَ لاخْتِيارِ أَفْضَلِ الخُطَباءِ.

المُباراةُ سَتَجْري غَداً، وَمازالَ أَمامَ عَبْدِ الرّحْمنِ الكَثيرُ مِمّا يَجِبُ عَمَلُهُ، فَهُوَ لَمْ يُنْهِ حِفْظَ جَميعِ الخُطَبِ المَطْلوبَةِ، كَما أَنَّهُ لَمْ يَتَدَرَّبْ على إلْقائِها بَعْدُ. لِذا قَرَّرَ أَنْ يُغْلِقَ بابَ غُرْفَتِهِ، وَيَتَفَرَّغَ لِهذِهِ المَهمَةِ الصَّعْبَةِ لِيَكونَ أَفْضَلَ مَنْ يُمَثِّلُ صَفَّهُ ،وَيحوزَ على رِضا مُعَلِّميهِ وَأَصْدِقائِهِ. ساعاتٌ مَرَّتْ وَالفَتى في غُرْفَتِهِ يَتَحَضَّرُ لِلْمُباراةِ دونَ كَلَلٍ وَلا مَلَلٍ، وَكُلَّما مَرَّتْ ساعَةٌ إضافِيَّةٌ ازدادَ قَلَقُهُ مِمَّا يُمْكِنُ أنْ يَنْتَظِرَهُ في المُسابَقَةِ تِلْكَ. لَمْ يَسْتَرِحْ عَبْدُ الرّحْمنِ مِنْ عَمَلِهِ الّا عِنْدَمَا حانَ مَوْعِدُ صَلاةِ المَغْرِبِ والعِشاءِ، إذْ إنَّهُ أَسْرَعَ بَعْدَها لِمُتابَعَةِ التَّدَرُّبِ والحِفْظِ. أَمَّا وَجْبَةِ العِشاءِ فَلَمْ يَتَناوَلْها لانَّهُ لَمْ يَجِدْ لَدَيْهِ رَغْبَةً

في الطَّعامِ وَلا الشَّرابِ. أَخيراً نَبَّهَتْهُ أُمُّهُ إِلى أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَأْوِيَ إِلى فِراشِهِ، وَيُؤَمِّنَ لِجَسَدِهِ قِسْطاً مِنَ الرّاحَةِ كَيْ يَتَمَكَّنَ في الغَدِ مِنَ القِيامِ بِواجِبِهِ في تَمْثيلِ صَفِّهِ في تِلْكَ المُباراةِ.

عِنْدَ الصَّباحِ الباكِرِ فَتَحَ عَبْدُ الرّحمنِ عَيْنَيْهِ،وَحينَ تَذَكَّرَ ماهُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ، ازدادَتْ سُرْعَةُ دَقّاتِ قَلْبِهِ، فَأَسْرَعَ إِلى أَوْراقِهِ يُراجِعُ ما وَرَدَ فيها مِنْ نُصوصٍ. كانَتْ أُمُّ عَبْدِ الرّحمنِ تَشْعُرُ بِقَلَقٍ كَبيرٍ على وَلَدِها وَهِيَ تَراهُ مُضْطَرِباً كُلَّ هذا الاضْطِرابِ لِمُباراةِ اليَوْمِ، فَأَحَبَّتْ أَنْ تُخَفِّفَ عَنْهُ قَليلاً.

قالَتْ لَهُ: كَيْفَ وَجَدْتَ اسْتِعْدادَكَ لِلْمُباراةِ اليَوْمَ يا بُنَيَّ؟.أجابَ عَبْدُ الرّحمنِ: إِنَّني خائِفٌ يا أُمّي مِنْ أَن أَخْذُلَ أَصْدِقائي وَالأَسْتاذَ أَحْمَدَ الّذي اختارَني لِتَمْثيلِ صَفّي. قالَتْ أُمُّ عَبْدِ الرّحَمَنِ: لا عَلَيْكَ يا وَلَدي.التَّوَكُّلُ يَحُلُّ لَكَ المُشْكِلَةَ وَيُبَدِّدُ كُلَّ مَخاوِفِكَ.هتفَعَبْدُالرّحمنِ مُتَسائِلاً: التَّوَكُّلُ؟ ماذاتَقْصِدينَ بالتَّوَكُّلِ يا أُمّي؟



قالَتِ الأمُّ: ثِقْ باللّهِ يا عَزيزي، لَقَدْ قُمْتَ بِواجِبكَ خَيْرَ قِيامٍ، وَلَمْ تُضَيِّعْ وَقْتَكَ في اللَّهْوِ، والآنَ عَلَيْكَ أَنْ تُوكِلَ أُمورَكَ إلى اللّهِ سُبْحانَهُ كَيْ يَصْنَعَ لَكَ مافيهِ الخَيْرُ، فَإِنْ فُزْتَ فيما أَنْتَ مُقْدِمٌ عَلَيْهِ، وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَحْمَدَ اللّهَ وَتَشْكُرَهُ، وَإِنْ لَمْ تُحْرِزِ الفَوْزَ كذلِكَ عَلَيْكَ أَنْ تَشْكُرَ اللّهَ سُبْحانَهُ، فَلَعَلَّ الّذي أَبْطَأَ عَنْكَ هُوَ خَيْرٌ لَكَ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِذلِكَ مِنّا. لَمْ يَكُنْ عَبْدُ الرّحمنِ بِحاجَةٍ إلى أَكْثَرَ مِنْ هذا الكَلامِ كَيْ تَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ، وَيَرْتاحَ بالُهُ. بَعْدَ ذلِكَ انْطَلَقَ إلى مَرْكَزِ المُباراةِ، فَكانَ لِتَوَكُّلِهِ على اللّهِ سُبْحانَهُ وَثِقَتِهِ بِهِ نَتيجةٌ رائِعةٌ:لَقَدْ فازَ في المُباراةِ بالمَرْتَبَةِ الثّانِيَةِ، وَكانَ أَوَّلُ عَمَلٍ قامَ بِهِ بَعْدَ عَوْدَتِهِ إلى البَيْتِ: أَداءَهُ صَلاةَ رَكْعَتَيْنِ شُكْراً لِلّهِ سُبْحانَهُ، بَعْدَ أَبَيَّضَ وَجْهَهُ عِنْدَ مُعَلِّميهِ وَأَصْدِقائِهِ، وَتَعَلَّمَ أَنَّ التَّوَكُّلَ على اللّهِ سُبْحانَهُ في كُلِّ الأُمورِ يُؤدّي إلى الرِّضا بِقَضاءِ اللّهِ سُبْحانَهُ، وَتَسْليمِ الأمورِ كُلِّها إِلَيْهِ.

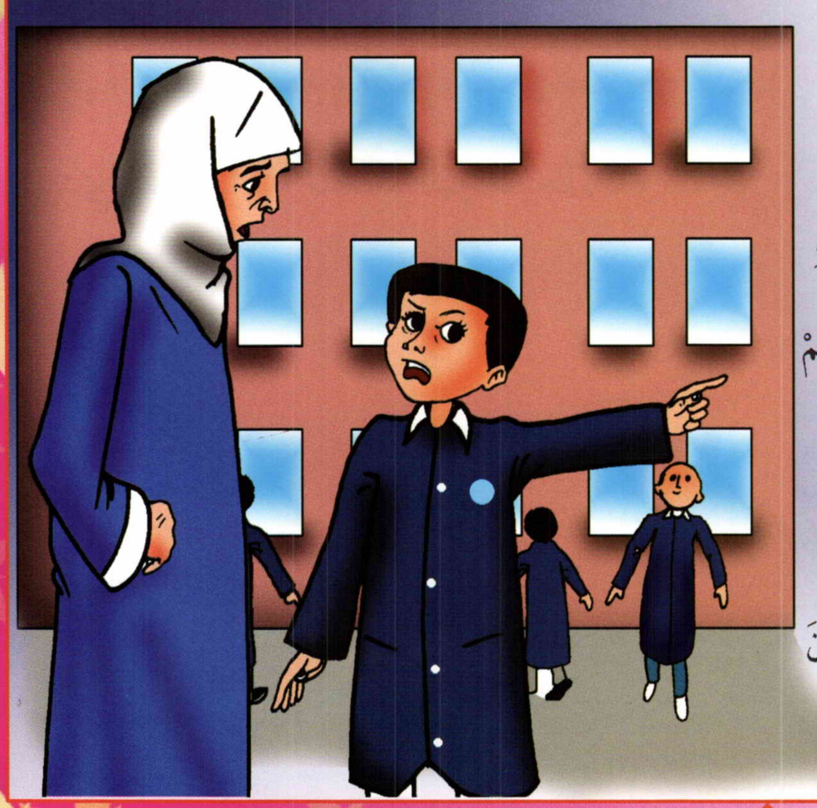
سُئِلَ أَبو عَبْدِ اللّهِ عليه السلام: ما كانَ في وَصِيَّةِ لُقْمانَ؟

قالَ: كانَ فيها الأعاجيبُ، وَكانَ أَعْجَبَ ما فيها أَنْ قالَ لابْنِهِ:

خَفِ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ خيفَةً لَوْ جِئْتَهُ بِبِرِّ الثَّقَلَيْنِ لَعَذَّبَكَ، وارْجُ اللّهَ رَجاءً لَوْ جِئْتَهُ بِذُنوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَحِمَكَ.

ثُمَّ قالَ أَبوعَبْدِ اللّهِ عليه السلام: كانَ أَبي يَقولُ:

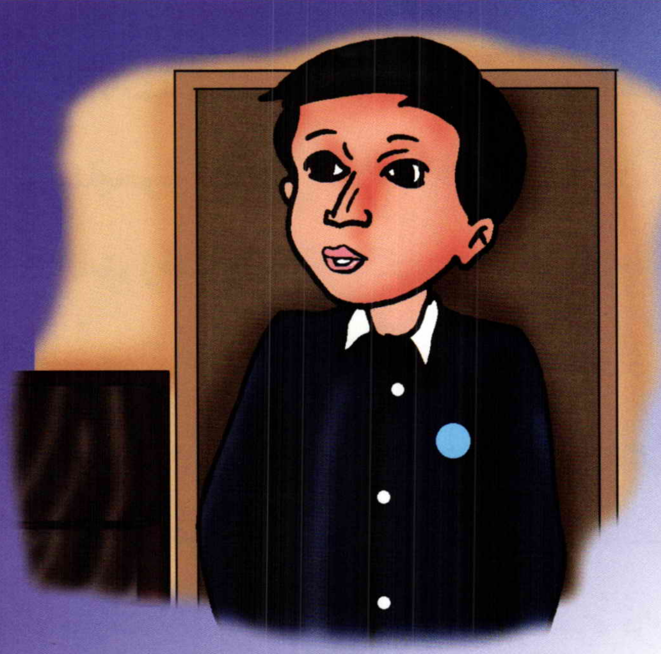
إنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إلاّ وَفي قَلْبِهِ نورانِ نورُ خيفَةٍ وَنورُ رَجاءٍ، لَوْ وُزِنَ هذا لَمْ يَزِدْ عَلى هذا وَلَوْ وُزِنَ هذا لَمْ يَزِدْ عَلى هذا.



غَريبٌ أَمْرُ جَمالٍ، إنَّ لِهذا الوَلَدِ طَبْعاً عَجيباً لا عَهْدَ لِمُعَلِّمَتِهِ سَناءُ بِمَثيلٍ لَهُ مِنْ قَبْلُ!

فَقَلَّما يَمُرُّ نَهارٌ دونَ أَنْ يَشْكُوَهُ عَدَدٌ مِنْ رُفَقائِهِ الّذينَ تَعَرَّضوا لِسوءِ سُلوكِهِ! فَإمّا يَتَطاوَلُ عَلَيْهِمْ بالكَلامِ، أَوْ يَعْتَدي عَلَيْهِمْ بِالضَّرْبِ، أَوْ يُؤْذيهِمْ بِعَمَلٍ طائِشٍ فَلا يَجِدُ الكثيرونَ مِنْهُمْ إلاّ البُكاءَ وَالشَّكْوى. لِلْمُعَلِّمَةِ، وفي كُلِّ مَرَّةٍ كانوا يَلْجأونَ إلَيْها بِشَكْوىً،

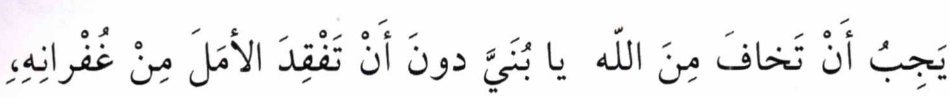
كانَتِ الآنِسَةُ سَناءُ تَسْتَدْعيهِ إِلى مَكْتَبِها، فَيَعْتَذِرُ وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ
أَنْ يُسامِحوهُ، لِيَعودَفي اليَوْمِ التّالي إِلى ما كانَ عَلَيْهِ مِنْ
تَصَرُّفاتٍ رَعْناءَ طائِشَةٍ!. ولكن، في هذا اليَوْمِ، قَرَّرَتِ
الآنِسَةُ سَناءُ أَنْ تَتَّخِذَ مَوْقِفاً مُخْتَلِفاً مِنْ سُلوكِ جَمالٍ،
فَلَمْ يَعُدْ مَقْبولاً عَلى الإِطْلاقِ هذا الأذى اليَوْمِيُّ
لِلْأَصْحابِ، غَيْرَ ما كانَ يَفْعَلُهُ مِنْ تَخْريبٍ لأَثاثِ
صَفِّهِ، وَمُمْتَلَكاتِ المَدْرَسَةِ كُلِّها. هذِهِ المرَّةَ قَرَّرَتِ
الآنِسَةُ سَناءُ أَنْ تُلَقِّنَ جَمالاً دَرْساً، وَقَدْ أَقْبَلَ إِلى
مَكْتَبِها حائِراً لا يَدْري ما الّذي يَنْتَظِرُهُ وَهُوَ على
أَمَلِ أَنْ تُسامِحَهُ بَعْدَ أَنْ يَعْتَذِرَ كَما يَفْعَلُ في كُلِّ
مَرَّةٍ يُؤذي أَصْحابَهُ فيها. وَقَفَ جَمالٌ غَيْرَ خائِفٍ،
وَحَدَّقَ في وَجْهِ المُعَلِّمَةِ، فقَرَأَ فيهِ غَضَباً كَبيراً، لِذا
ساوَرَ القَلَقُ نَفْسَهُ، وخافَ.سَأَلَتِ الآنِسَةُ سَناءُ جَمالاً:
أَخْبِرْني يا جَمالُ. أَتَظُنُّ أَنَّ هذا الأَذَى الّذي تُلْحِقُهُ
بِرُفَقائِكَ وَمَدْرَسَتِكَ بِشَكْلٍ يَوْمِيٍّ تَقْريباً، يُرْضي اللّهَ عَنْكَ؟
خَفَضَ جَمالٌ رَأْسَهُ إِلى الأَرْضِ وَقالَ: لا يا آنِسَتي. أَنا أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ سُبْحانَه



لا يَرْضى عَنْ عَمَلي القَبيحِ! قالَتِ الآنِسَةُ سَناءُ بِدَهْشَةٍ: إذا كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ لا يَرْضى عَنْ عَمَلِكَ القَبيحِ، فَكَيْفَ تَتَجرَّأُ على فِعْلِهِ إذاً؟ قالَ جَمالٌ: وَلكِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ وَعَدَ النّاسَ بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ كُلَّ ذُنوبِهِمْ إنِ استَغْفَروهُ، وَأَنا دائِماً أَسْتَغْفِرُاللّهَ عَنْ أَعْمالي المُؤذِيَةِ! تَعَجَّبَتِ الآنِسَةُ سَناءُ مِمّا سَمِعَتْهُ مِنْ جَمالٍ، فَطَلَبَتْ مِنْهُ



الجُلوسَ على الكُرْسِيِّ المُقابِلِ، ثُمَّ قالَتْ لَهُ باهْتِمامٍ: إِسْمَعْ يا بُنَيَّ! إنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ يَصْفَحُ عَنّا وَيُسامِحُنا، وَقَدْ فَتَحَ لَنا بابَ الرَّحْمَةِ على مِصْراعَيْهِ، ولكنَّ الصَّفْحَ يكونُ لِلذُّنوبِ الّتي نَرْتَكِبُها عَنْ جَهْلٍ، أَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ، أَوْ نِسْيانٍ، أَوْ نكونُ مُكْرَهينَ عَلى ارتِكابِها، أَمّا الذّنوبُ الّتي نَتَعَمَّدُ ارتِكابَها فَإنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ يُعاقِبُنا عَلَيْها لإصْرارِنا عَلَيْها، خاصَّةً بَعْدَ أَنْ تُبْنا عَنْها ثُمَّ عُدْنا إِلَيْها.



قالَ جَمالٌ: لَقَدْ أَخَفْتِني يا آنِسَةُ سَناءُ.قالَتِ الآنِسَةُ سَناءُ: يَجِبُ أَنْ تَخافَ مِنَ اللّه يا بُنَيَّ دونَ أَنْ تَفْقِدَ الأَمَلَ مِنْ غُفْرانِهِ،



وَهكَذا تُصْلِحُ سُلوكَكَ بِنَفْسِكَ وَأَنْتَ عالِمٌ بِأَنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ يُحْصي ذُنوبَكَ كُلَّها، وَسَيُعاقِبُكَ عَلَيْها، لِذا تتَجَنَّبُ العِقابَ، وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ تَثِقُ باللّهِ سُبْحانَهُ وَتَرْجو مِنْهُ المَغْفِرَةَ لِكُلِّ خَطَأٍ أَوْ ذَنْبٍ اقْتَرَفْتَهُ دونَ قَصْدٍ، فَنَحْنُ بَشَرٌ يا عَزيزي، وَلا بُدَّ لَنا مِنَ الوُقوعِ في الخَطَأِ غَيْرِ المَقْصودِ. تَعَلَّمَ جَمالٌ سُلوكاً جَديداً أَضافَهُ إِلى طِباعِهِ، فَتَغَيَّرَ كَثيراً، وصارَ مَحبوباً مِنْ أَصْدِقائِهِ وَمُعَلِّميهِ، لأَنَّهُ باتَ دائِماً يَخافُ مِنَ اللّهِ سُبْحانَهُ، فَصَرَفَ نَفْسَهُ عَنِ الأَعْمالِ المُؤذِيَةِ، كَما صارَ يَثِقُ باللّهِ سُبحانَهُ وَيَرْجوهُ دائِماً أَنْ يُسامِحَهُ على ذُنوبٍ ارتَكَبَها دونَ أَنْ يَقْصِدَ.

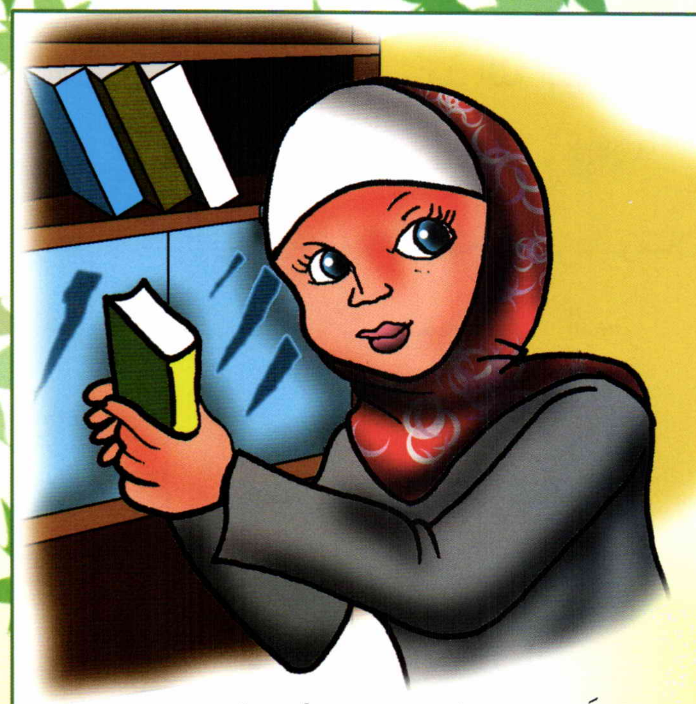
الحديث الخامس عشر: البَلاءُ

عَنْ أَبي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام قالَ: إنَّ في كِتابِ عَلِيٍّ عليه السلام:

إنَّ أَشَدَّ النّاسِ بلاءً النَّبِيّونَ، ثُمَّ الوَصِيّونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ، وَإِنَّما يُبْتَلى المُؤْمِنُ على قَدْرِأَعْمالِهِ الحَسَنَةِ، فَمَنْ صَحَّ دينُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، اشْتَدَّ بَلاؤُهُ وَذلِكَ أَنَّ اللّهَ تَعالى لَمْ يَجْعَلِ الدُّنيا ثَواباً لِمُؤْمِنٍ ولا عُقوبَةً لِكافِرٍ، وَمَنْ سَخُفَ دينُهُ وَضَعُفَ عَقْلُهُ، قَلَّ بَلاؤُهُ، وَإِنَّ البَلاءَ أَسْرَعُ إِلى المُؤْمِنِ التَّقِيِّ مِنَ المَطَرِ إِلى الأَرْضِ.

إنَّها قِصَّةٌ عَجيبَةٌ بِحقٍّ! قِصَّةُ النَّبِيِّ أَيّوبَ عليه السلام.

جَلَسَتْ وِدادُ تَقْرَؤُها باهتِمامٍ كَبيرٍ، فيما راحَتِ الدُّموعُ تَتَرَقْرَقُ في عَيْنَيْها، وَكانَتْ أُمُّها في ذلِكَ الوَقْتِ تُراقِبُها وَهِيَ تَفْهَمُ سَبَبَ ما تَشْعُرُ بِهِ ابْنَتُها مِنْ حُزنٍ وَأَسىً.



مَرَّتْ ساعَةٌ وَوِدادُ عَلى حالِها مِنَ الانشِغالِ بِتِلْكَ القِصَّةِ. طَوَتْ بَعْدَها الكِتابَ الصَّغيرَ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ مَلامِحُها، وَبَدا عَلَيْها الفَرَحُ والاطمِئنانُ. قالَتْ أُمُّ وِدادَ لابْنَتِها: أَرَأَيْتِ يابْنَتي، إنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ نَظَرَ إِلى النَّبيِّ أَيّوبَ عليه السلام بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ، واستَجابَ دُعاءَهُ، فَكَشَفَ غَمَّهُ وَيَسَّرَ أَمْرَهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ ضِعْفَ ما كانَ قَدْ



أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ. قالَت وِدادُ: هذا صَحيحٌ يا أُمّي. نَعَمْ، وَلكِنْ في بالي سُؤالٌ لَمْ أَعْثُرْ لَهُ عَلى جَوابٍ. قالَتْ أُمُّ وِدادَ: أَخْبِريني يا صَغيرَتي، ماذا لَديْكِ؟ قالَتْ وِدادُ: إنَّ مُعْظَمَ أَنْبياءِ اللّهِ تَعالى عانَوْا كَثيراً مِنَ البلاءِ وَتَعَذَّبوا، مَعَ أَنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ كانَ دائِماً مَعَهُمْ، وَكانَ راضِياً عَنْهُم، وَبِما أَنَّهُ قادِرٌ عَلى كُلِّ شَيْءٍ، فَلِماذا تَرَكَهُمْ في العَذابِ يا أُمّي؟ وَلِماذا لَمْ يُنْقِذْهُمْ؟

قالَتْ أُمُّ وِدادَ: وَكَيْفَ لَمْ يُنْقِذِ اللّهُ سُبْحانَهُ أَنْبياءَهُ يا بنَتي؟ أَلَمْ تَسْمَعي عَنْ سَفينَةِ نوحٍ عليه السلام؟ وَعنِ النّارِ الّتي جَعَلَها اللّهُ سُبْحانَهُ بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهيمَ عليه السلام؟ أَلَمْ تَسْمَعي عَنِ البَحْرِ الّذي فُلِقَ لِموسى عليه السلام؟ وَعَنْ عيسى بنِ مَريَمَ عليهما السلام إِذْ رَفَعَهُ اللّهُ سُبْحانَهُ إِلَيْهِ؟

قالَتْ وِدادُ: ولكنَّ ذلِكَ لَمْ يَحْدُثْ إلاّ بَعْدَ أَنْ قاسَوْا الكَثيرَ، وَتَعَذّبوا فَتْرَةً مِنَ



الزَّمانِ، أَلَيْسَ كذلِكَ يا أُمّي؟ قالَتْ أُمُّ وِدادَ: اِسْمَعي يا حَبيبَتي! إِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ يَبْتَلي أَوْلِياءَهُ، كُلاًّ حَسَبَ إيمانِهِ، لِيَرى صُنْعَ المُؤْمِنينَ في الشَّدائِدِ، فَيَمْتَحِنُ إيمانَهُمْ، وَيَخْتَبِرُ مدى ثِقَتِهِمْ بِهِ، وَلِذا نَرى أَنَّ أَكْثَرَ النّاسِ بَلاءً هُمْ أَقْرَبُهُمْ مِنْهُ، فالأَنْبِياءُ أَشَدُّ بَلاءً، وَبَعْدَهُمُ الأوصِياءُ، فالمُؤْمِنونَ حَسَبَ دَرَجَةِ إيمانِ كُلٍّ مِنْهُمْ.

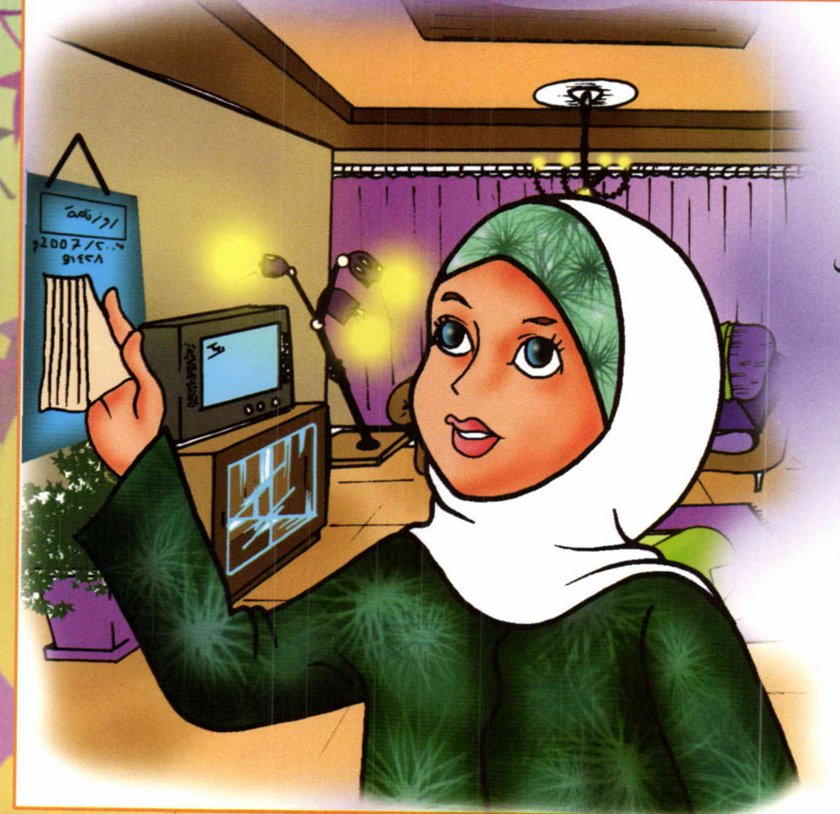


وَمِنَ المُؤْمِنينَ مَنْ يَكْشِفُ اللّهُ سُبْحانَهُ عَنْهُ البَلاءَ في الدُّنْيا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَموتُ مَظْلوماً شَهيداً لِيَعيشَ في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ خالِداً مُخَلَّداً. قالَتْ وِدادُ: الآنَ فَهِمْتُ يا ماما لِماذا جَعَلَ اللّهُ سُبْحانَهُ الإمامَيْنِ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ. قالَتْ أُمُّ وِدادَ: قَدِ ابتَلى اللّهُ سُبْحانَهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَآلَهُ في الحَياةِ الدُّنيا لِيُكْرِمَهُمْ في الآخِرَةِ، وَقَدْ كانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله يَقولُ لِلزَّهْراءِ عليها السلام: تَجرَّعي يا فاطِمَةُ مَرارَةَ الدُّنيا لِحَلاوَةِ الآخِرَةِ. وَنَحْنُ دائِماً نَدْعو اللّهَ سُبْحانَهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنا بِشَفاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله،

وَإِنِ ابتلانا بِما يَصْعُبُ عَلَيْناأَنْ تَحَمُّلُهُ، نَصْبِرُ وَنَقولُ: الحَمْدُ لِلّهِ أَنْ جَعَلَنا مِنْ عِبادِهِ المُؤْمِنينَ.

الحديث السّادسَ عَشَرَ: الصَّبْرُ

قالَ أَبو عَبْدِ اللّهِ الحُسَيْنُ عليه السلام: إنَّ الحُرَّ حُرٌّ عليجميعِ أَحْوالِهِ، إنْ نابَتْهُ نائِبَةٌ صَبَرَ لَها، وَإِنْ تَداكَّتْ عَلَيْهِ المَصائِبُ لَمْ تَكْسِرْهُ، وَإِنْ أُسِرَ وَقُهِرَ واسْتُبْدِلَ بِاليُسْرِ عُسْراً، كَما كانَ يوسُفُ الصِّدّيقُ الأَمينُ لَمْ يُضْرِرْ حُرِّيَّتَهُ أَنِ اسْتُعْبِدَ وَقُهِرَ وَأُسِرَ، وَلَم تُضْرِرْهُ ظُلْمَةُ الجُبِّ وَوَحْشَتُهُ، وَما نالَهُ أَنْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَ الجَبّارَ العاتِيَ لَهُ عَبْداً بَعْدَ أَنْ كانَ لَهُ مالِكاً، فَأَرْسَلَهُ وَرَحِمَ بِهِ أُمَّةً، وَكَذلِكَ الصَّبْرُ يُعْقِبُ خَيْراً فاصْبِروا وَوَطِّنوا أَنْفُسَكُمْ على الصَّبْرِ تُؤْجَروا.



تذَكَّرَتْ صَفاءُ أَنَّ ذِكْرى عاشوراءَ باتَتْ قَريبَةً، وَأَنَّ مَجالِسَ العَزاءِ سَتُقامُ قَريباً في كُلِّ ناحِيَةٍ، وَأَنَّها سَتَبْكي كُلَّما اسْتَمَعَتْ إِلى ما جَرى عَلى الإمامِ الحُسَيْنِ عليه السلام وَآلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم. لَقَدْ باتَتْ تَعْلَمُ أَنَّ البَلاءَ عَلامَةٌ مِنْ علاماتِ الإيمانِ، وَأَنَّنا كُلَّما ازدَدْنا إيماناً ازدادَ احتِمالُ وُقوعِنا في البَلاءِ.



ولكِنْ كَيْفَ يُواجِهُ المُؤْمِنُ البَلاءَ؟ هَلْ تُرانا نَقْدِرُ عَلى مُواجَهَتِهِ؟ كَيْفَ؟ سَأَلَتْ صَفاءُ أُمَّها، فَقالَتْ لَها: لا تُكثِري مِنَ الأسْئِلَةِ اليَوْمَ، فَسَوْفَ تَعْلَمينَ في عاشوراءَ كَيْفَ واجَهَ الإمامُ الحُسَيْنُ (عليه السلام) البَلاءَ، وَكَيْفَ واجَهَتِ العَقيلَةُ زَيْنَبُ قَتْلَ أَخيها الإمامِ (عليه السلام) وَقَتْلَ مَنْ تَبقّى مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسَبْيِ نِسائِهِ، وَتَعْذيبِ أَطْفالِهِمْ.

في الواقِعِ، كانَ ما ذَكَرَتْهُ أُمُّ صَفاءَ صَحيحاً، فَفي عاشوراءَ تَكْمُنُ الحَقيقَةُ، وَما مَرَّتْ أَيّامٌ حَتّى أَدْرَكَتْ صَفاءُ ما كانَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ: إذاً إِنَّهُ الصَّبْرُ! الصَّبْرُ هُوَ مِفْتاحُ الوُصولِ إِلى الفَرَجِ، والخَلاصِ، والصَّبْرُ لا يَأْتي إلاّ مِنْ ثِقَةِ العَبْدِ باللّهِ سُبْحانَهُ، وَبِأَنَّ الدُّنْيا لَيْسَتْ إِلاّ مَمَرّاً إِلى الدّارِ الآخِرَةِ الّتي يُجازَى فيها كُلُّ إِنْسانٍ عليعَمَلِهِ، وَأَنَّ أَكْثَرَ النّاسِ رِبْحاً في الآخِرَةِ هُمُ المُؤْمِنونَ الصّابِرونَ الرّاضونَ بِمَشيئَةِ اللّهِ سُبْحانَهُ.



كانَ قارِئُ الْعَزاءِ يَرْوي بَعْضَ ما حَفِلَتْ بِهِ كُتُبُ التّاريخ عَنْ أَيّامِ عاشوراءَ الْحَزينَةِ..

وَكانَ مِمّا قالَهُ: عَلِمَ الإِمامُ الْحُسَيْنُ (عليه السلام) بِأَنَّهُ سَيُلاقي الشَّهادَةَ، وَيَلْتَقِي بِجَدِّهِ رَسولِ اللّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) في الْفِرْدَوْسِ الأَعْلى.. وَلكِنَّهُ كانَ مُشْفِقاً عَلى عِيالِهِ وَأَطْفالِهِ، وَعَوائِلِ أَنْصارِهِ الشُّهَداءِ، لِما سَيَحِلُّ بِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ عَلى أَيْدي الظّالِمينَ. لِذا أَقْبَلَ عَلى عِيالِهِ يَزْرَعُ في قُلوبِهِمْ ما يَحْتاجونَ إِلَيْهِ مِنْ صَبْرٍ عَلى الأَهْوالِ الّتي تَنْتَظِرُهُمْ، ويَمْلأُ نُفوسَهُمْ رِضاً بِقَضاءِ اللّهِ تَعالى. وَفي لَيْلَةِ عاشوراءَ، سَمِعَ (عليه السلام) نَحيبَ النِّساءِ، وَسَمِعَ أُخْتَهُ أُمَّ كُلْثوم تُنادي: وا ضَيْعَتَنا بَعْدَكَ يا أَبا عَبْدِ اللّهِ! فَاقْتَرَبَ (عليه السلام) مِنْها، مُواسِياً وَمُعَزِّياً.

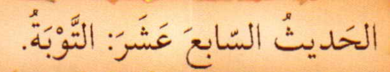
وَقالَ لَها: يا أُخْتاهُ! تَعَزَّيْ بِعَزاءِ اللّهِ، فَإِنَّ سُكّانَ السَّمواتِ يَفْنونَ، وَأَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ يَموتونَ، وَجَميعُ الْبَرِيَّةِ كُلُّهُمْ يَهْلَكونَ.



ثُمَّ قالَ مُنادِياً بَقِيَّةَ النِّساءِ: يا أُخْتاهُ! يا أُمَّ كُلْثوم! وَأَنْتِ يا زَيْنَبُ! وَأَنْتِ يا فاطِمَةُ(ابْنَته)! وَأَنْتِ يا رَبابُ (زوجته)!.. انْظُرْنَ إِذا أَنا قُتِلْتُ..فَلا تَشْقُقْنَ عَلَيَّ جَيْباً، وَلا تَخْمِشْنَ عَلَيَّ وَجْهاً،وَلا تَقُلْنَ هُجْراً. فَالإِمامُ عليه السلام لا يُريدُ لآلِ بَيْتِهِ أَنْ يَجْزَعوا، وَيَقْنَطوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ تَعالى، وَقَدْ بَشَّرَالصّابِرينَ بِالْفَوْزِ الْعَظيمِ. كَما قالَ وَهُوَ يُوَدِّعُ عِيالَهُ ثانِيَةً: اسْتَعِدّوا لِلْبَلاءِ، وَاعْلَموا أَنَّ اللّهَ تَعالى حاميكُمْ وَحافِظُكُمْ، وَسَيُنَجّيكُمْ مِنْ شَرِّ الأَعْداءِ، وَيَجْعَلُ عاقِبَةَ أَمْرِكُمْ إِلى خَيْرٍ،وَيُعَذِّبُ عَدُوَّكُمْ بِأَنْواعِ الْعَذابِ، وَيُعَوِّضُكُمْ عَنْ هذهِ الْبَلِيَّةِ بِأَنْواعِ النِّعَمِ وَالْكَرامَةِ. فَلا تَشْكوا وَلا تَقُولُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ ما يُنْقِصُ مِنْ قَدْرِكُمْ.

هذِهِ هِيَ عاشوراءُ أَعْظَمُ مَدارِسِ الصَّبْرِ في الدُّنْيا، فَمَنْ أَرادَ أَنْ يَعْرِفَ مَعْنى الصَّبْرِ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ عاشوراءَ.

نَعَمْ هكَذا قابَلَ الأَنْبِياءُ بَلاءاتِهِمْ، وَهكذا كانَ الأَئِمَّةُ عليهم السلام، وَهكَذا سَتَكونُ صَفاءُ في حَياتِها إِنْ شاءَ اللّهُ.





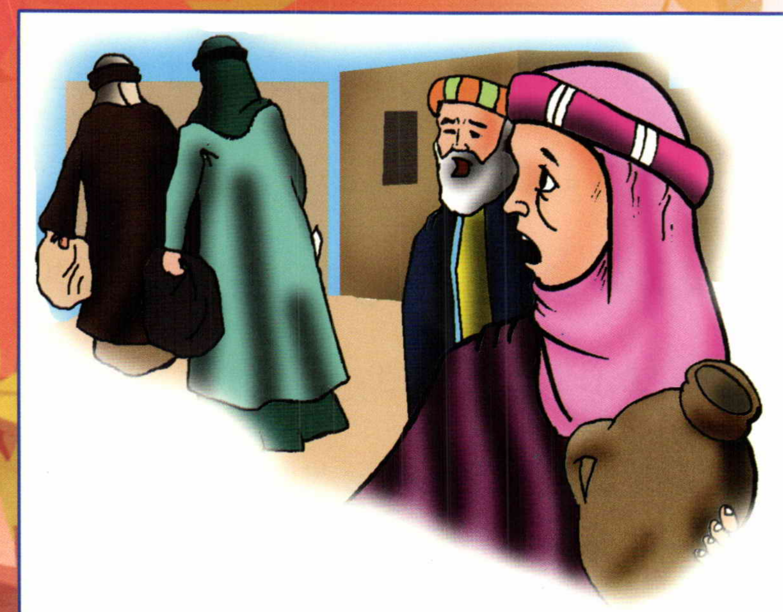
قالَ أَبو عَبْدِ اللّهِ (عليه السلام): إذا تابَ العَبْدُ تَوْبَةً نَصوحاً أَحَبَّهُ اللّهُ فَسَتَرَ عَلَيْهِ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ. فَسُئِلَ: وَكَيْفَ يَسْتُرُ عَلَيْهِ؟ قالَ (عليه السلام): يُنْسي مَلَكَيْهِ ما كَتَبا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنوبِ، ثُمَّ يوحي إِلى جَوارِحِهِ: (اكْتُمي عَلَيْهِ ما كانَ يَعْمَلُ عَلَيْكِ مِنَ الذُّنوبِ.). فَيَلْقى اللّهَ حينَ يَلْقاهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الذُّنوبِ.

جَلَسَ الأَوْلادُ حَوْلَ جَدَّتِهِمْ يَسْتَمِعونَ إِلى حِكايَتِها. الْجَدَّةُ سَتَرْوي لَهُمْ كَما هي عادَتُها حِكايَةً تَتْرُكُ لَهُمْ فَهْمَ مَغْزاها حَتّى النِّهايَةِ.

قالَتِ الْجَدَّةُ: كانَ ذلِكَ في زَمَنٍ قَديمٍ جِدّاً أَيُّها الأَحِبَّةُ! في زَمَنِ النَّبِيِّ يونُسَ (عليه السلام)، يَوْمَ دَعا قَوْمَهُ إِلى أَنْ يُؤْمِنوا بِاللّهِ تَعالى، فَلَمْ يَفْعَلوا. بَلْ إِنَّهُمُ اسْتَكْبَروا، وَلَمْ يَسْمَعوهُ، ورَفَضوا كُلَّ تَعاليمِهِ، إِلى أَنْ يَئِسَ مِنْ إِيمانِهِمْ.

كانَ في قَوْمِ يونُسَ رَجُلانِ قَريبانِ مِنَ النَّبيِّ ﷷ، وَكانَ كَثيراً ما يَسْتَشيرُهُما في كَثيرٍ مِنَ الأُمورِ، فَهَرَعَ إِلَيْهِما يَرْوي نَتيجَةَ دَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلى الإِيمانِ، الّتي ما كانَتْ سِوى الرَّفْضِ، وَالإِصْرارِ عَلى الضَّلالِ. قالَ الْعابِدُ لِلنَّبيِّ ﷷ: إِنّي أَرى يا نَبِيَّ اللّهِ أَنْ تَدْعُوَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللّهِ تَعالى شَأْناً، وَلَنْ يَرُدَّ اللّهُ دُعاءَكَ! أَمّا الْعالِمُ،فَلَمْ يُوافِقْ عَلى تِلْكَ النَّصيحَةِ، بَلْ قالَ لِلنَّبيِّ ﷷ: يا نَبِيَّ اللّهِ! لا تَدْعُ عَلى قَوْمِكَ،فَإِنَّ اللّهَ يَسْتَجيبُ لَكَ، وَاللّهُ لا يُحِبُّ هَلاكَ عِبادِهِ.. سَمِعَ النَّبيُّ يونُسُ ﷷ كَلامَ الرَّجُلَيْنِ،فَقَبِلَ كَلامَ الْعابِدِ بَعْدَ أَنْ فَقَدَ الأَمَلَ مِنْ إيمانِ النّاسِ، وَعَوْدَتِهِمْ عَنِ الضَّلالِ، ثُمَّ خَرَجَ يَدْعو اللّهَ تَعالى، فاتِحاً كَفَّيْهِ إِلى السَّماءِ.سَمِعَ اللّهُ تَعالى دُعاءَ يونُسَ ﷷ، وَوَعَدَهُ بِإِنْزالِ الْعَذابِ عَلَيْهِمْ في تاريخٍ أَوْحى بِهِ

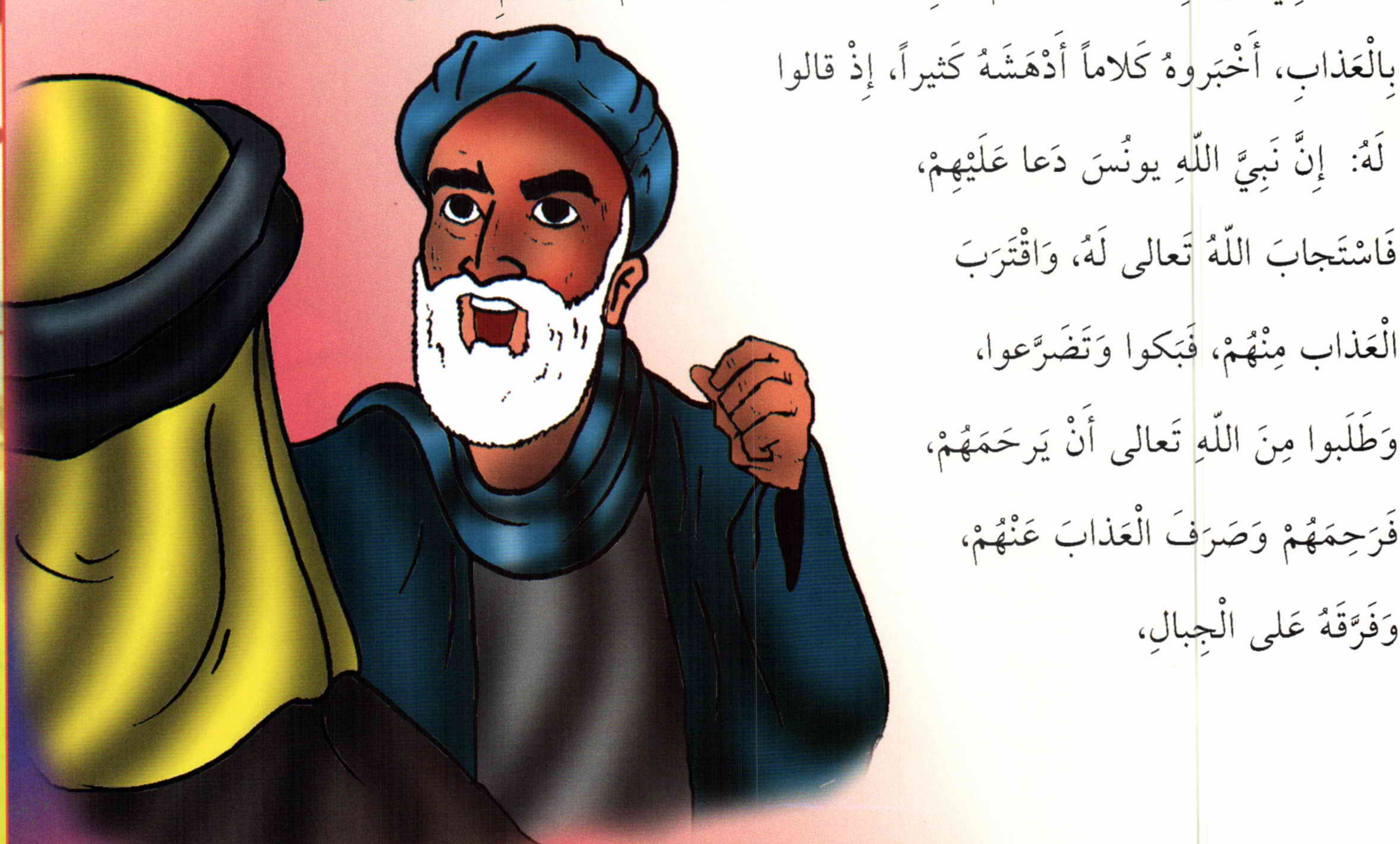
إِلَيْهِ. عَلِمَ النّاسُ بِأَنَّ النَّبِيَّ يونُسَ ﷺ دَعا عَلَيْهِمْ، وَعَلِموا بِالْوَقْتِ الّذي وَعَدَ اللّهُ تعالى فيهِ النَّبِيَّ بِإِنْزالِ الْعَذابِ. وَفي ذلِكَ الْيَوْمِ، خَرَجَ النَّبِيُّ يونُسُ ﷺ مِنَ الْقَرْيَةِ وَمَعَهُ الْعابِدُ، تارِكَيْنِ الْقَوْمَ في انْتِظارِ الْمَصيرِ الْمَحْتومِ. أَمّا الْعالِمُ فَقَدْ فَضَّلَ أَنْ يَبْقى مَعَ الْقَوْمِ في مُواجَهَةِ الْعَذابِ، لَعَلَّ اللّهَ يَرْفِقُ بِهِمْ





وَيَرْحَمُهُمْ. وَقَفَ الْعالِمُ بَيْنَ النّاسِ يَتَأَمَّلُ الرُّعْبَ الْبادِيَ عَلى الْوُجوهِ، ثُمَّ قالَ: يا قَوْمُ! ماذا لَوْ جَأَرْتُمْ إِلى اللّهِ تَعالى بِالدُّعاءِ، فَإِنَّ اللّهَ تَعالى قَدْ يَتوبُ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ! كانَ النّاسُ خائِفينَ مِنْ أَنْ يَسْبِقَ غَضَبُ اللّهِ تَعالى دُعاءَهُمْ، لكِنَّ الْعالِمَ نَصَحَهُمْ بِأَنْ يَخْرُجوا إِلى الْفَلاءِ، وَيُفَرِّقوا بَيْنَ النِّساءِ وَأَطْفالِهِنَّ، وَبَيْنَ الإِبِلِ وَصِغارِها، وَالْبَقَرِ وَعُجولِها، وَالْغَنَمِ وَخِرافِها. ثُمَّ يَبْكوا وَيَتَضَرَّعوا بِقُلوبٍ مُؤْمِنَةٍ تائِبَةٍ

مُسْتَغْفِرَةٍ. أَسْرَعَ النّاسُ إِلى الْفَلاةِ وَفَعَلوا ما أَمَرَهُمْ بِهِ الْعالِمُ، فَرَحِمَهُمُ اللّهُ تَعالى،وَقَبِلَ تَوْبَتَهُمْ، وَصَرَفَ عَنْهُمُ الْعَذابَ، إِذْ أَرْسَلَهُ مُفَرَّقاً عَلى الْجِبالِ. مَرَّ وَقْتٌ عَلى ذلِكَ الْيَوْمِ، وَإِذا بِالنَّبِيِّ يونُسَ عليه السلام يَتَّجِهُ نَحْوَالْقَرْيَةِ مُسْتَطْلِعاً ما حَدَثَ فيها لِقَوْمِهِ. مِن عَلى الْجَبَلِ الْمُشْرِفِ عَلى الْقَرْيَةِ وَقَفَ النَّبِيُّ يونُسُ عليه السلام ناظِراً إِلى النّاسِ في الْقَرْيَةِ،وَهُمْ يَزْرَعونَ وَيَحْصُدونَ وَيَقومونَ بِأَعْمالِهِمْ، فَتَعَجَّبَ! نَزَلَ النَّبِيُّ عليه السلام إِلى الْقَرْيَةِ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ النّاسُ.وَحينَ سَأَلَهُمْ عَنْ قَوْمِ يونُسَ الّذينَ وُعِدوا بِالْعَذابِ، أَخْبَروهُ كَلاماً أَدْهَشَهُ كَثيراً، إِذْ قالوا لَهُ: إِنَّ نَبِيَّ اللّهِ يونُسَ دَعا عَلَيْهِمْ، فَاسْتَجابَ اللّهُ تَعالى لَهُ، وَاقْتَرَبَ الْعَذاب مِنْهُمْ، فَبَكوا وَتَضَرَّعوا، وَطَلَبوا مِنَ اللّهِ تَعالى أَنْ يَرحَمَهُمْ، فَرَحِمَهُمْ وَصَرَفَ الْعَذابَ عَنْهُمْ، وَفَرَّقَهُ عَلى الْجِبالِ،



وهَا هُمُ الْيَوْمَ يَبْحثونَ عَنِ النَّبيِّ يونُسَ لِيُبْلِغوهُ بِأَنَّهُمْ آمَنوا بِاللّهِ تَعالى، وَبِهِ نَبِيّاً! صَمَتَتِ الْجدَّةُ، وَتَأَمَّلَتْ وُجوهَ الصِّغارِ. لَمْ تَطْرَحْ عَلَيْهِمُ الْكَثيرَ مِنَ الأَسْئِلَةِ، فَالصِّغارُ عَرَفوا أَنَّ اللّهَ تَعالى واسِعُ الْمَغْفِرَةِ، قابِلُ التَّوْبَةِ مِنْ عِبادِهِ، وَلَنْ يَيْأَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ الْمُؤْمِنونَ.



الحديثُ الثّامِنَ عَشَرَ: الذِّكْرُ

عَنْ أَبي جَعْفَر عليه السلام قالَ: مَكْتوبٌ في التَّوْراةِ الّتي لَمْ تُغَيَّرْ أَنَّ موسى عليه السلام سَأَلَ رَبَّهُ فَقالَ: (يارَبِّ أَقَريبٌ أَنْتَ مِنّي فَأُناجيكَ، أَمْ بَعيدٌ فَأُناديكَ؟) . فَأَوْحى اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: (يا موسى! أَنا جَليسُ مَنْ ذَكَرَني.). فَقالَ موسى عليه السلام: (فَمَنْ في سِتْرِكَ يَوْمَ لا سِتْرَ إِلّا سِتْرُكَ؟(. فَقالَ – عَزَّ وَجَلَّ –: (الَّذينَ يَذْكُرونَني فَأَذْكُرُهُمْ، وَيَتَحابّونَ فِيَّ فَأُحِبُّهُمْ. فَأُولئِكَ الَّذينَ إِذا أَرَدْتُ أَنْ أُصيبَ أَهْلَ الأَرْضِ بِسوءٍ ذَكَرْتُهُمْ فَدَفَعْتُ عَنْهُمْ بِهِمْ.).

إِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذي انْتَظَرَتْهُ هَناءُ كَثيراً... هُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ الأَوَّلِ في عُطْلَةِ الصَّيْفِ. وَمِنْ عادَتِها في أَوَّلِ يَوْمِ جُمُعَةٍ مِنْ كُلِّ صَيْفٍ أَنْ تَذْهَبَ إِلى بَيْتِ جَدِّها الْعَجوزِ في الْقَرْيَةِ الْهادِئَةِ الْجَميلَةِ. ما أَجْمَلَ الْحُقولَ الْخَضْراءَ الْمُمْتَدَّةَ حَتّى الأُفُقِ الْبَعيدِ! لَمْ تَتْعَبْ هَناءُ مِنَ الرَّكْضِ طَوالَ النَّهار مَعَ أَصْدِقائِها أَبْناءِ وَبَناتِ الْعَمَّةِ فاطِمَةَ.. لكِنَّ اللَّحَظاتِ الأَجْمَلَ في يَوْمِها ذاكَ، كانَتْ تِلْكَ اللَّحَظاتِ الَّتي سَتَعيشُها مَعَ جَدِّها الْعَزيزِ.

سَتعودُ عِنْدَ الظَّهيرَةِ إلى الْبَيْتِ الْفَسيحِ، لِتَتناوَلَ الْغداءَ، جالِسَةً إِلى الْمائِدَةِ الْعامِرَةِ

بِالطَّيِّباتِ، وَسَتكونُ إِلى جِوارِ جَدِّها مَعَ أَوْلادِ الْعَمَّةِ الأَعِزّاءِ. ثَمَّةَ أَشْياءُ لَمْ تَنْتَبِهْ إِلَيْها هَناءُ مِنْ قَبْلُ؛ إِنَّها

تُريدُ أَنْ تُصْغِيَ إِليهَمَساتِ جَدِّها، لا سِيَّما تِلْكَ الّتي يَقولُها حينَ

يُمْسِكُ بِسُبْحَتِهِ وَهُوَ يُمَرِّرُ حَبّاتِها بَيْنَ أَصابِعِهِ حَبَّةً حَبَّةً. جَلَسَ الْجَدُّ بَعْدَ أَنْ قامَ الأَطْفالُ بِالاسْتِعْدادِ

لِتَناوُلِ الطَّعامِ. مِنْ تَغْييرِ مَلابِسِ اللَّعِبِ، إِلى غَسْلِ الْيَدَيْنِ،

فَالْجُلوسِ كُلٌّ إِلى كُرْسِيِّهِ بِهُدوءٍ. كانَتْ أَوَّلُ كَلِماتِ الْجَدِّ بَسْمَلَةً بَدَأَ بِها وَهُوَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلى طَبَقِ الْخُبْزِ،

فَرَدَّدَ الصِّغارُ بَعْدَهُ: : بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

لَمْ يَكُنِ الْجَدُّ مُتَحَمِّساً لِلْكَلامِ مَعَ الأَطْفالِ أَثْناءَ تَناوُلِ الطَّعامِ، غَيْرَ أَنَّهُ كانَ يَقولُ بِضْعَ كَلِماتٍ

يَذْكُرُ فيها اللّهَ تَعالى،

حَفِظَتْ هَناءُ مِنْها: سُبْحانَ

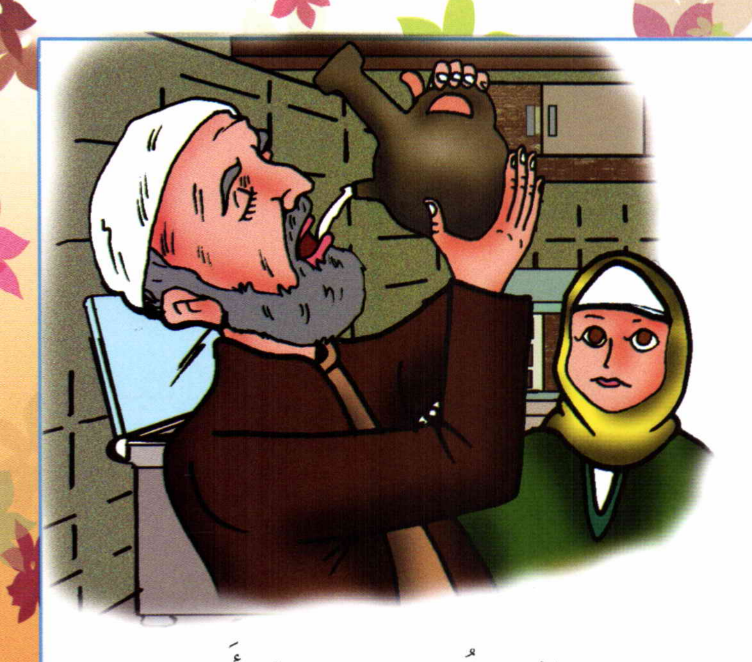
مُقَسِّمِ الأَرْزاقِ.

اللّهُمَّ أَدِمْ نِعْمَتَكَ

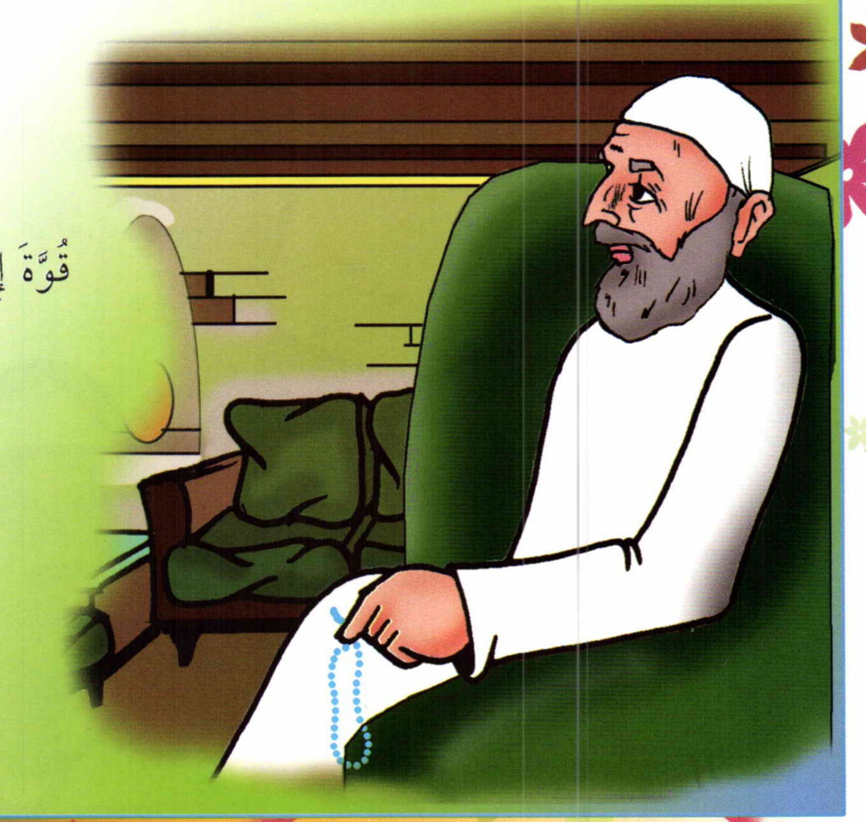
عَلَيْنا.. اللّهُمَّ أَنْعِمْ



عَلَيْنا بِرِزْقٍ مِنْ أَرْزاقِ الْجَنَّةِ... وَعِنْدَما شَبِعَ قالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمينَ. فَقالَ الأَوْلادُ مِثْلَهُ بَعْدَ أَنْ شَبِعوا.. طوالَ الْيَوْمِ لَمْ تُفارِقْ هَناءُ جَدَّها. ظَلَّتْ تُصْغي وَتَحْفَظُ قَوْلَهُ في كُلِّ لَحْظَةٍ، فَإِنْ شَرِبَ قالَ: اللّهُمَّ اسْقِنا مِن نَهْرِ الْكَوْثَرِ. وَإِنْ نَظَرَ إِلى النّافِذَةِ قالَ: اللّهُمَّ امْلأْ قُلوبَنا نوراً، وَأَنْعِمْ عَلَيْنا بِالنَّظَرِ إِلى الْحَلالِ.



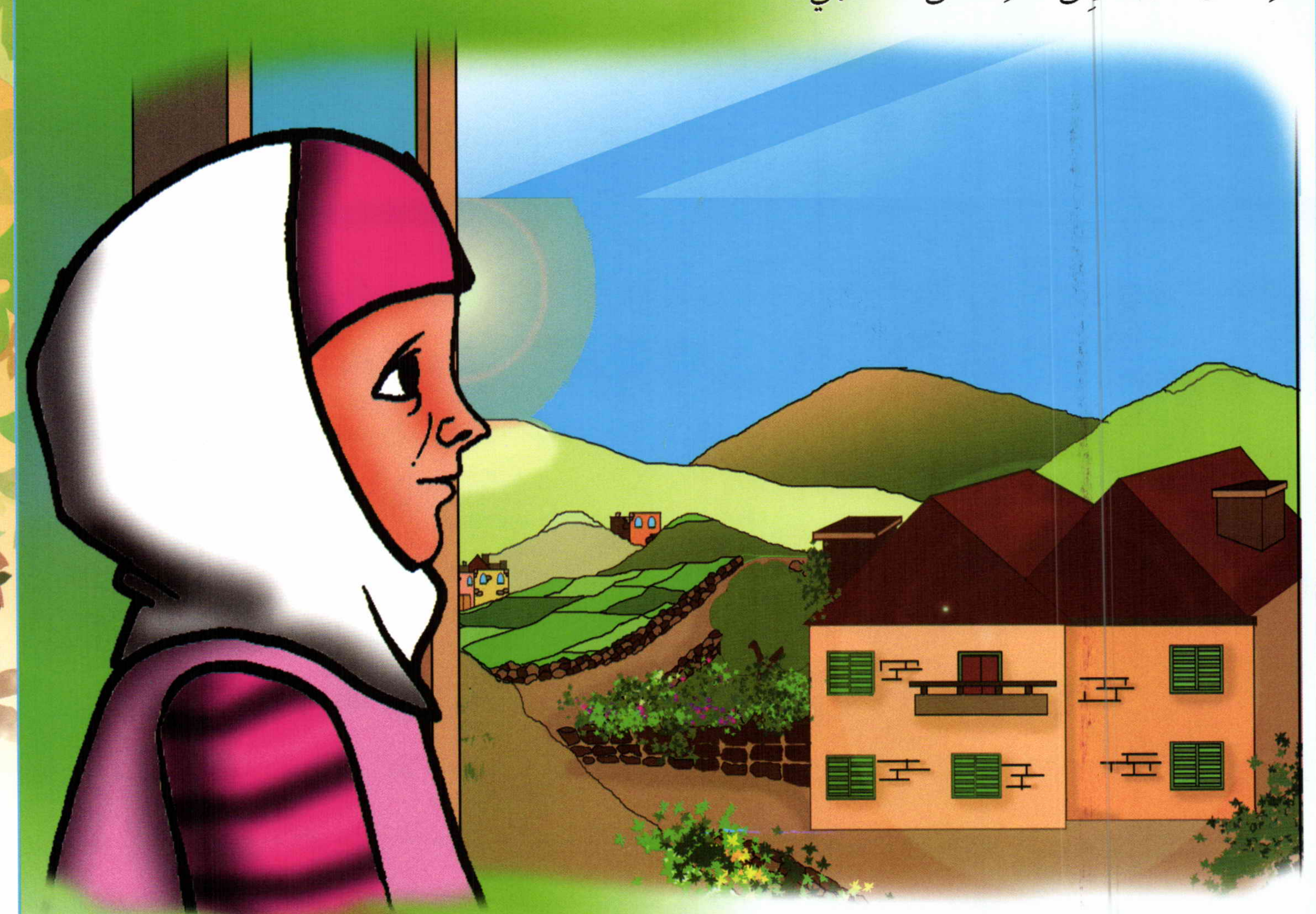
وَها هِيَ السُّبْحَةُ في يَدِهِ، يَمُرُّ بِأَصابِعِهِ عَلى حَبّاتِها وَهُوَ يُتَمْتِمُ قائِلاً: سُبْحانَ اللّهِ. الْحَمْدُ لِلّهِ. اللّهُ أَكْبَرُ. لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ.. لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاّ بِاللّهِ. اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ. أَسْتَغْفِرُ اللّهَ رَبّي وَأَتوبُ إِلَيْهِ. فَهِمَتْ هَناءُ مَعْنى كُلِّ عِبارَةٍ مِنْ هذِهِ الْعِباراتِ، لكِنَّها لَمْ تَفْهَمْ لِماذا يُكْثِرُ جَدُّها مِنْ تَرْدادِها، وَحينَ سَأَلَتْهُ أَجابَ: لا تَطْمَئِنُّ قُلوبُ النّاسِ يا صَغيرَتي إِلاّ بِذِكْرِ اللّهِ تَعالى، وَتَسْبيحِهِ



وَحَمْدِهِ في كُلِّ وَقْتٍ. قالَتْ هَناءُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُ أَنَّ قَلْبَكَ مُطْمَئِنٌّ يا جَدّي؟ أَجابَ:
يَكْفي أَنْ نَعْلَمَ بِأَنَّ اللّهَ تَعالى فيهِ، لِنَكونَ عِنْدَهُ وَفي حِفْظِهِ. فَلا نُكْتَبُ مِنَ الْغافِلينَ
يا بُنَيّتي. الغافِلينَ؟! سَأَلَتْ هَناءُ،فَأَجابَها جَدُّها: الْغافِلونَ يا صَغيرَتي هُمْ أُولئِكَ
الْمُنْشَغِلونَ عَنْ تَسْبيحِ اللّهِ وَذِكْرِهِ بِاللَّهْوِ وَالْعَبَثِ وَمَشاغِلِ الْحَياةِ. وَقَدْ قالَ اللّهُ
تَعالى لِهؤُلاءِ: (يا أَيُّها الّذينَ آمَنوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ،
وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرونَ.).
تَحَمَّسَتْ هَناءُ لِذِكْرِ اللّهِ، فَقالَتْ لِجَدِّها: أُريدُ مِنْكَ يا جَدّي أَنْ
تُعَلِّمَني كُلَّ الْكَلِماتِ الّتي تَقولُها في ذِكْرِ اللّهِ تَعالى.
ضَحِكَ الْجَدُّ وَقالَ: قولي يا هَناءُ كُلَّ ما تَوَدّينَ قَوْلَهُ،
وَكُلَّ ما تَشْعُرينَ بِهِ كُلَّما رَأَيْتِ
نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللّهِ تَعالى،
أَوْ كُلَّما واجَهَكِ أَمْرٌ
عَسيرٌ احْتَجْتِ

فيهِ إلى هِدايَةِ اللّهِ تَعالى وَعَوْنِهِ. فَفي الصَّلاةِ، وَفي قِراءَةِ الْقُرْآنِ، وَفي كُلِّ عَمَلٍ يُرْضي اللَّهَ عَنّا ذِكْرٌ لِلّهِ تَعالى أَيْضاً.

تَأَمَّلَتْ هَناءُ ما قالَهُ لَها جَدُّها، فَقَرَّرَتْ أَنْ تَذْكُرَ اللّهَ تَعالى في كُلِّ وَقْتٍ لأَنَّ نِعَمَ اللّهِ تَعالى تُرافِقُنا دائِماً، وَحاجَتُنا إِلى اللّهِ تَعالى لا تَنْتَهي.



الْحَديثُ التّاسِعَ عَشَرَ: الْغيبَةُ.

عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ قال:

يُؤْتى بِأَحَدٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ يوقَفُ بَيْنَ يَدَيِّ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُدْفَعُ إِلَيْهِ كِتابُهُ فَلا يَرى حَسَناتِهِ فيهِ، فَيَقولُ: إِلهي لَيْسَ هذا كِتابي، فَإِنّي لا أَرى فيهِ حَسَناتي. فَيُقالُ لَهُ: إِنَّ رَبَّكَ لا يَضِلُّ وَلا يَنْسى، ذَهَبَ عَمَلُكَ بِاغْتِيابِ النّاسِ! ثُمَّ يُؤْتى بِآخَرَ، وَيُدْفَعُ إِلَيْهِ كِتابُهُ فَيَرى فيهِ طاعاتٍ كَثيرَةٍ، فَيَقولُ: إِلهي، ما هذا كِتابي فَإِنّي ما عَمِلْتُ هذِهِ الطّاعاتِ! فَيُقالُ لَهُ: إِنَّ فُلاناً اغْتابَكَ، فَدُفِعَ حَسَناتُهُ إِلَيْكَ!



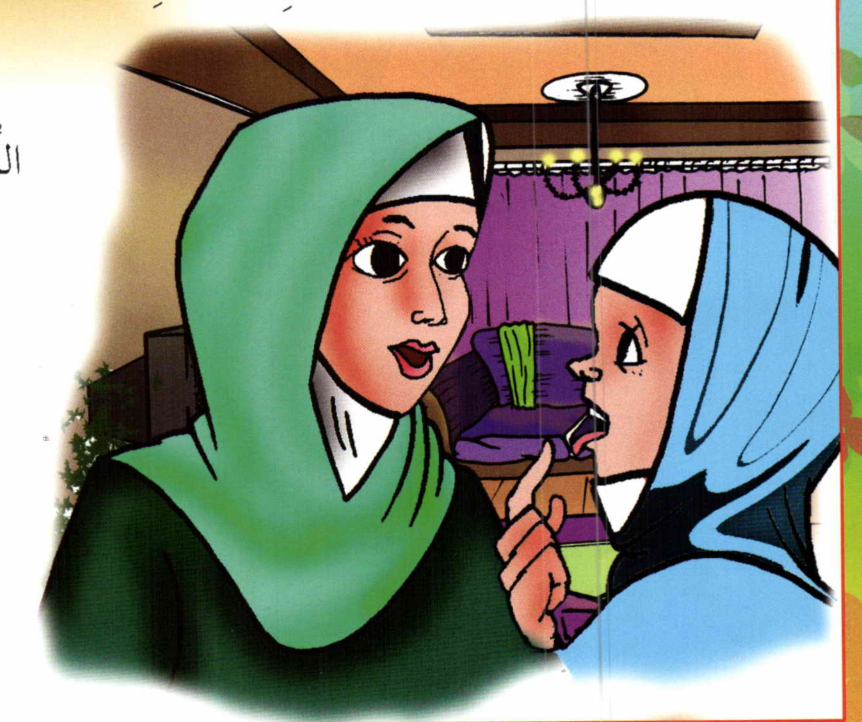
كَثيراً ما سَمِعَتْ زَيْنَبُ أُمَّها تَصِفُ الْجارَةَ أُمَّ سُلَيْمانَ بِقَوْلِها: لِسانُها دافِئٌ. لَمْ تَكُنْ زَيْنَبُ تَفْهَمُ مَعْنى هذِهِ الْجُمْلَةَ، وَلَمْ تَسْأَلْ أُمَّها عَنْ مَعْناها، لكِنَّها مُتَأَكِّدَةٌ مِنْ أَنَّها تَحْمِلُ مَعْنىً جَميلاً وَوَصْفاً حَسَناً. فَهِيَ تُلاحِظُ أَنَّ والِدَتَها تَحْتَفي بِالجارَةِ أُمِّ سُلَيْمانَ كَثيراً كُلَّما جاءَتْ إِلى لزِيارَةِ الأُسْرَةِ، إِضافَةً إِلى أَنَّها تُحِبُّها أَيْضاً لِما تَسْمَعُهُ مِنْها دائِماً مِنْ كَلامٍ طَيِّبٍ يُريحُ النَّفْسَ، وَيَجْعَلُ الآخَرينَ يَسْعَدونَ بِوُجودِها.

ولكِنْ خَطَرَ لِزَيْنَبَ مَرَّةً أَنْ تَبْحَثَ بِنَفْسِها عَنْ مَعْنى قَوْلِ والِدَتِها: لِسانٌ دافِئٌ.

وَتعاقَبَتْ عَلى بالِها أَسْئِلَةٌ عَديدَةٌ: كَيْفَ يَدْفَأُ اللِّسانُ؟ وَما الّذي يَجْعَلُهُ دافِئاً؟ وَبِماذا يَشْعُرُ صاحِبُ اللِّسانِ الدّافِئِ؟ وَكَيْفَ يَعْرِفُ النّاسُ أَنَّ لِسانَهُ دافِئٌ؟؟

لَمْ تَعْثُرْ زَيْنَبُ عَلى جَوابٍ لأَيٍّ مِنْ هذهِ الأَسْئِلَةِ رَغْمَ أَنَّها بَقِيَتْ ساعَةً كامِلَةً تُفَكِّرُ في الإجاباتِ.

وَخَطَرَ لَها أَنْ تَشْرَبَ كوباً مِنَ الشّايِ السّاخِنِ، عَلَّ لِسانَها



يَدْفَأُ هِيَ الأُخْرى، فَتَفْهَمَ مَعْنى دِفْءِ اللِّسانِ، وَحينَ أَنْهَتْ شُرْبَهُ أَسْرَعَتْ إِلى أُمِّها تَسْأَلُها: أُمّي! أَشْعُرُ أَنَّ لِساني صارَ دافِئاً الآنَ. أَلا تُلاحِظينَ ذلِكَ؟ تَعَجَّبَتْ أُمُّ زَيْنَبَ مِمّا قالَتْهُ ابْنَتُها! وَسَأَلَتْها: تَشْعُرينَ بِأَنَّ لِسانَكِ دافِئٌ؟ وَكَيْفَ لي أَنْ أُلاحِظَ ذلِكَ طالَما أَنَّ لِسانَكِ داخِلَ فَمِكَ لا فَمي؟!

سَألَتْ زَيْنَبُ: وَكَيْفَ لاحَظْتِ دِفْءَ لِسانِ الْجارَةِ أُمِّ سُلَيْمانَ إذاً؟

ضَحِكَتْ أُمُّ زَيْنَبَ مِنْ كُلِّ قَلْبِها.

لَقَدِ انْتَبَهَتْ إِلى أَنَّ ابْنَتَها زَيْنَبَ لَمْ تَمُرَّ عَلى وَصْفِها ذاكَ بِدونِ أَنْ تُفَكِّرَ، وَهذايَدُلُّ عَلى ذَكائِها، وَرَغْبَتِها في البَحْثِ عَنِ الْمَعْنى بِنَفْسِها.

قالَتْ أُمُّ زَيْنَبَ: يا صَغيرَتي.. إِنَّ وَصْفَ اللِّسانِ بالدّافِئِ لا يَحْمِلُ الْمَعْنى الْحَقيقِيَّ لِلدِّفْءِ، بَلْ هُوَ الْمَعْنى الْمَجازِيُّ لأَصْحابِ الْكَلامِ الْجَميلِ!

الْمَعْنى الْمَجازِيُّ؟! سَأَلَتْ زَيْنَبُ بِدَهْشَةٍ، ثُمَّ أَرْدَفَتْ: لَمْ أَفْهَمْ يا أُمّي..

أَلِلْكَلِماتِ مَعْنىً حَقيقِيٌّ وَمَعْنىً مَجازِيٌّ؟

أَجابَتِ الأُمُّ: نَعَمْ! إِنَّ الْمَعْنى الْمَجازِيَّ يا عَزيزَتي

هُوَ الْكَلامُ الّذي لا يُطابِقُ اللَفظَ تَماماً،

بَلْ يَتَجاوَزُهُ إِلى قَصْدٍ آخَرَ، كَأَنْ

نَقولَ عَنْ فُلانٍ مِنَ النّاسِ:

إِنَّهُ رَقيقُ الْقَلْبِ.



وَهذا مَعْناهُ أَنَّهُ يَتعامَلُ مَعَ النّاسِ بِمَحَبَّةٍ،وَنَقولُ عَنْ آخَرَ: إِنَّهُ نَظيفُ الْكَفِّ، وَهذا مَعْناهُ أَنَّهُ لا يَكْسِبُ مالَهُ إِلاّ مِنْ حَلالٍ..

سَأَلَتْ زَيْنَبُ: إِذاً ما مَعْنى لِسانُها دافِئٌ يا أُمّي؟ قالَتْ أُمُّ زَيْنَبَ: اللِّسانُ الدّافِئُ هُوَ اللِّسانُ الّذي لا يَقولُ إِلاّ الْكَلامَ الْحَسَنَ الْجَميلَ، في غِيابِ النّاسِ كَما في حُضورِهِمْ.

قالَتْ زَيْنَبُ: لِماذا في غِيابِهِمْ أَيْضاً؟

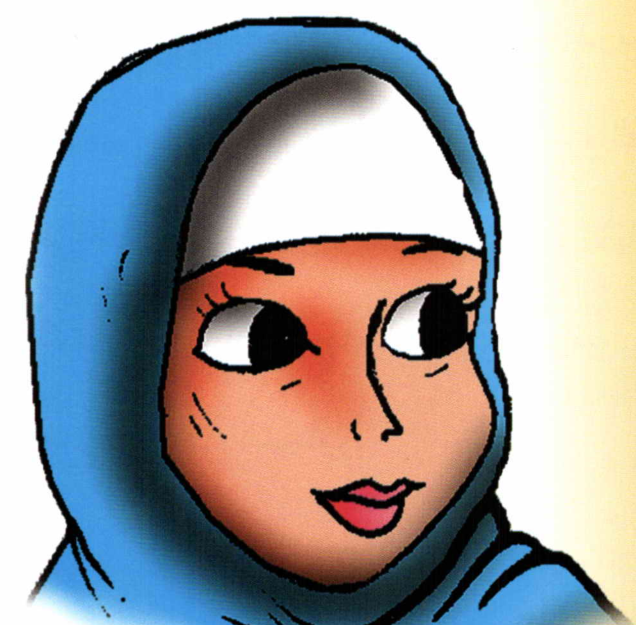
أَجابَتِ الأُمُّ: لأَنَّ في الإِساءَةِ إِلى الآخَرينَ في غِيابِهِمْ ذَنْباً عَظيماً نَهانا عَنْهُ اللّهُ تَعالى في الْقُرْآنِ الْكَريمِ، وَشَبَّهَ فاعِلَ ذلِكَ بِمَنْ يَأْكُلُ لَحْمَ أَخيهِ مَيْتاً..تِلْكَ هِيَ الْغيبَةُ الْمُحَرَّمَةُ يا صَغيرَتي!فَرِحَتْ زَيْنَبُ لأَنَّها عَرَفَتْ مَعْنى الْغيبَةِ الّتي كانَتْ تَسْمَعُ عَنْ مَساوِئِها كَثيراً، وَلأَنَّها مِنَ الْيَوْمِ سَتَكونُ زَيْنَبَ صاحِبَةَ اللِّسانِ الدّافِئِ.

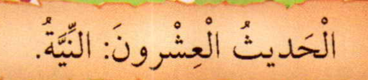
بسم الله الرحمن الرحيم

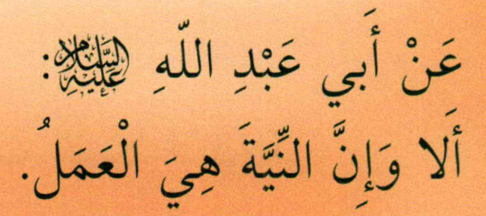
ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم

أن يأكل لحم أخيه ميتاً

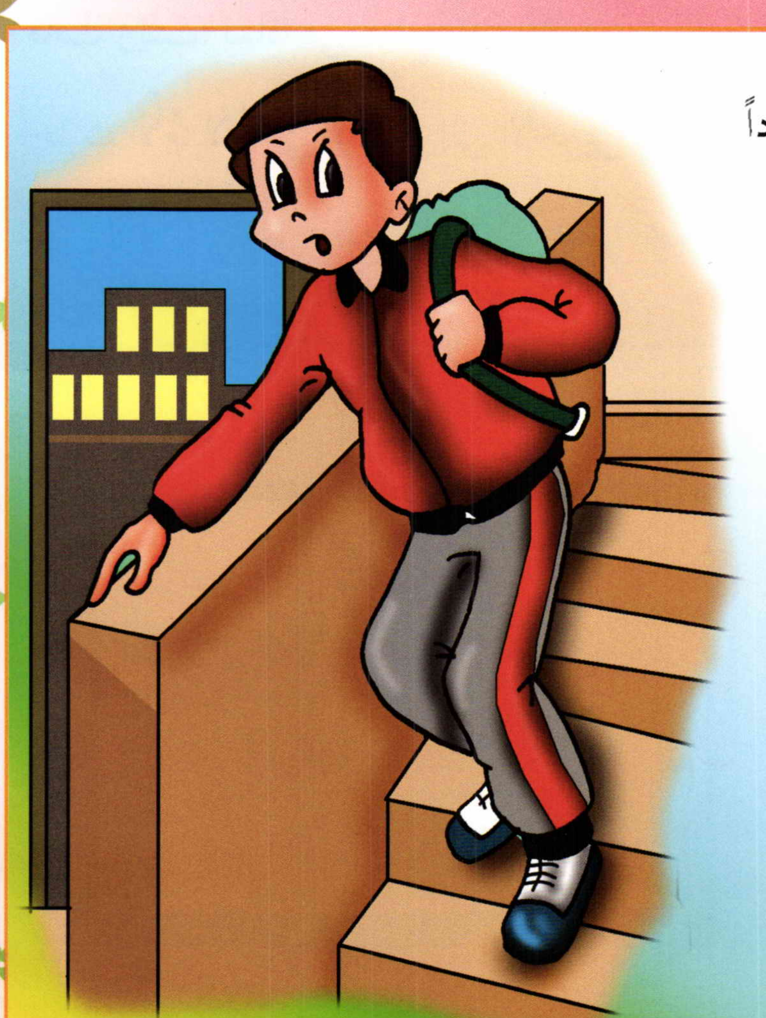
فكرهتموه







عَنْ أَبي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام:
أَلا وَإِنَّ النِّيَّةَ هِيَ الْعَمَلُ.

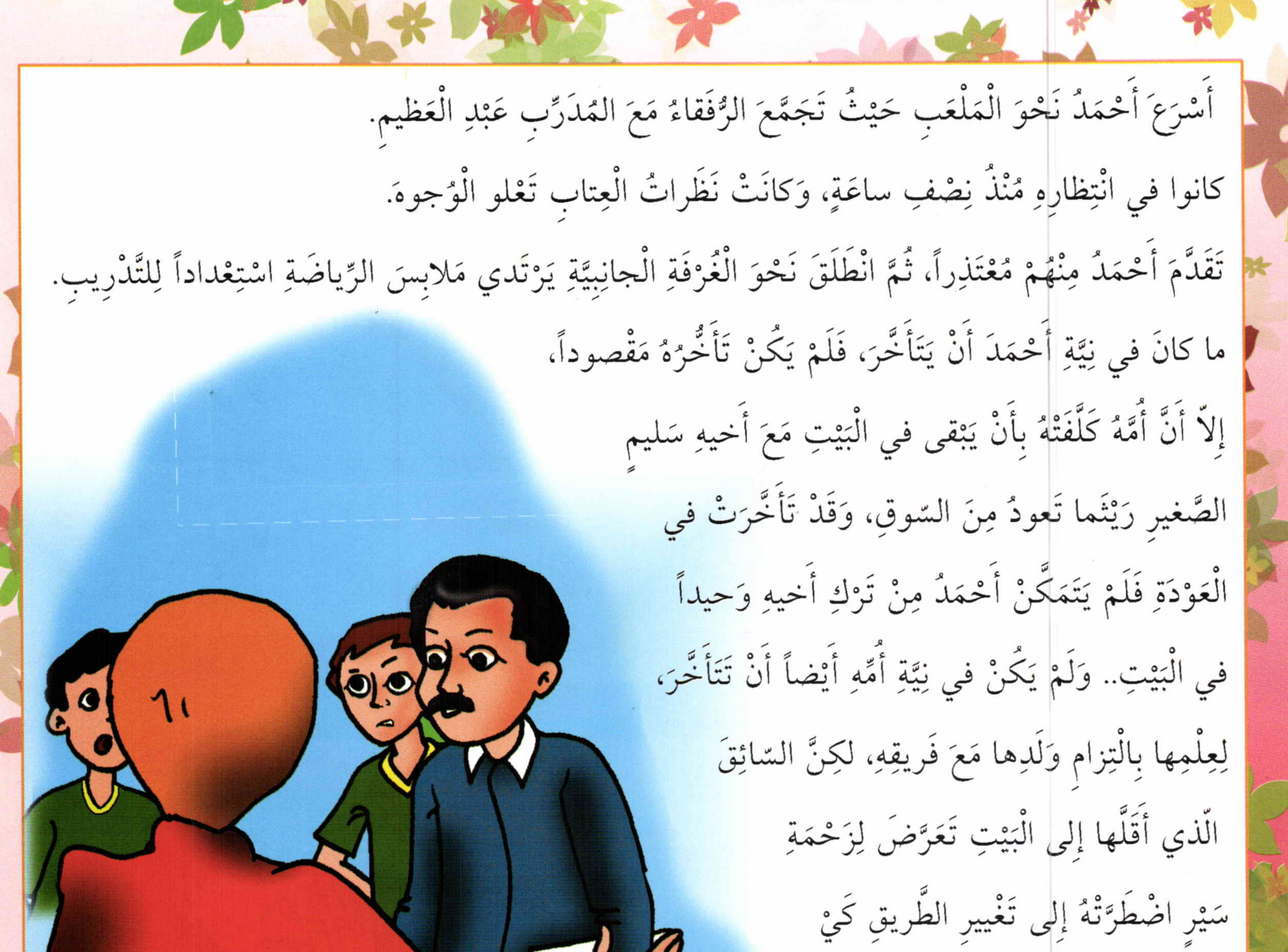


خَرَجَ أَحْمَدُ مِنَ الْبَيْتِ مُسْتَعْجِلاً. لَمْ يَكُنْ مُعْتاداً عَلى ذلِكَ، فَهِيَ الْمَرَّةُ الأولى الَّتي يَلْبَسُ فيها سُتْرَتَهُ وَهُوَ يَنْزِلُ سُلَّمَ الْبِناءِ، وَحَقيبَتُهُ الرِّياضِيَّةُ في يَدِهِ. لَقَدْ تَأَخَّرَ الْفَتى عَنْ مَوْعِدِ التَّدْريبِ الرِّياضِيِّ. إِنَّهُ واحِدٌ مِنْ أَعْضاءِ فَريقِ كُرَةِ الْقَدَمِ في الْمَدْرَسَةِ، وَالْفَريقُ يَسْتَعِدُّ في هذِهِ الأَيّامِ لِلْمُشارَكَةِ في مُباراةٍ حاسِمَةٍ بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ وَمَدْرَسَةِ الْحَيِّ الْمُجاوِرِ.

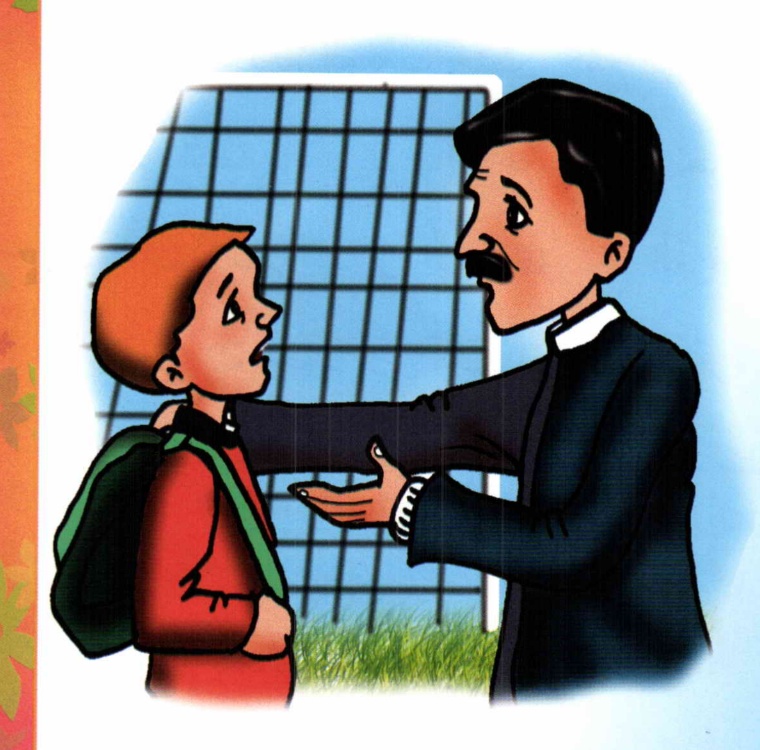
أَسْرَعَ أَحْمَدُ نَحْوَ الْمَلْعَبِ حَيْثُ تَجَمَّعَ الرُّفَقاءُ مَعَ المُدَرِّبِ عَبْدِ الْعَظيمِ.

كانوا في انْتِظارِهِ مُنْذُ نِصْفِ ساعَةٍ، وَكانَتْ نَظَراتُ الْعِتابِ تَعْلو الْوُجوهَ.

تَقَدَّمَ أَحْمَدُ مِنْهُمْ مُعْتَذِراً، ثُمَّ انْطَلَقَ نَحْوَ الْغُرْفَةِ الْجانِبِيَّةِ يَرْتَدي مَلابِسَ الرِّياضَةِ اسْتِعْداداً لِلتَّدْريبِ.



ما كانَ في نِيَّةِ أَحْمَدَ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَلَمْ يَكُنْ تَأَخُّرُهُ مَقْصوداً، إِلّا أَنَّ أُمَّهُ كَلَّفَتْهُ بِأَنْ يَبْقى في الْبَيْتِ مَعَ أَخيهِ سَليمٍ الصَّغيرِ رَيْثَما تَعودُ مِنَ السّوقِ، وَقَدْ تَأَخَّرَتْ في الْعَوْدَةِ فَلَمْ يَتَمَكَّنْ أَحْمَدُ مِنْ تَرْكِ أَخيهِ وَحيداً في الْبَيْتِ.. وَلَمْ يَكُنْ في نِيَّةِ أُمِّهِ أَيْضاً أَنْ تَتَأَخَّرَ، لِعِلْمِها بِالْتِزامِ وَلَدِها مَعَ فَريقِهِ، لكِنَّ السّائِقَ الّذي أَقَلَّها إِلى الْبَيْتِ تَعَرَّضَ لِزَحْمَةِ سَيْرٍ اضْطَرَّتْهُ إِلى تَغْييرِ الطَّريقِ كَيْ يَصِلَ بِرُكّابِهِ إِلى أَماكِنِ ذَهابِهِمْ في أَقْصَرِ زَمَنٍ.



الْمُدَرِّبُ عَبْدُ الْعَظيمِ لَمْ يَطْلُبْ مِنْ أَحْمَدَ شَرْحاً تَفْصيلِيّاً لِما حَدَثَ مَعَهُ، فَاكْتَفى مِنْهُ بِاعْتِذارٍ صَغيرٍ وَعِبارَةِ: لَمْ يَكُنْ في نِيَّتي أَنْ أَتَأَخَّرَ. لَمْ يَتَأَمَّلْ أَحْمَدُ الْمَعْنى الّذي تَحْمِلُهُ هذِهِ الْعِبارَةُ الّتي بَرَّرَتْ تَأَخُّرَهُ، وَهِيَ الْعِبارَةُ ذاتُها الّتي يَسْتَعْمِلُها في كَثيرٍ مِنَ الْمَواقِفِ غَيْرِ الْمَقْصودَةِ الّتي تَصْدُرُ عَنْهُ. ولكِنْ حَدَثَ لِأَحْمَدَ ما جَعَلَهُ يُفَكِّرُ فِي ذَلكَ خِلالَ التَّدْريبِ، حينَ اصْطَدَمَ بِهِ رَفيقُهُ جميلٌ أَثْناءَ رَكْضِهِ

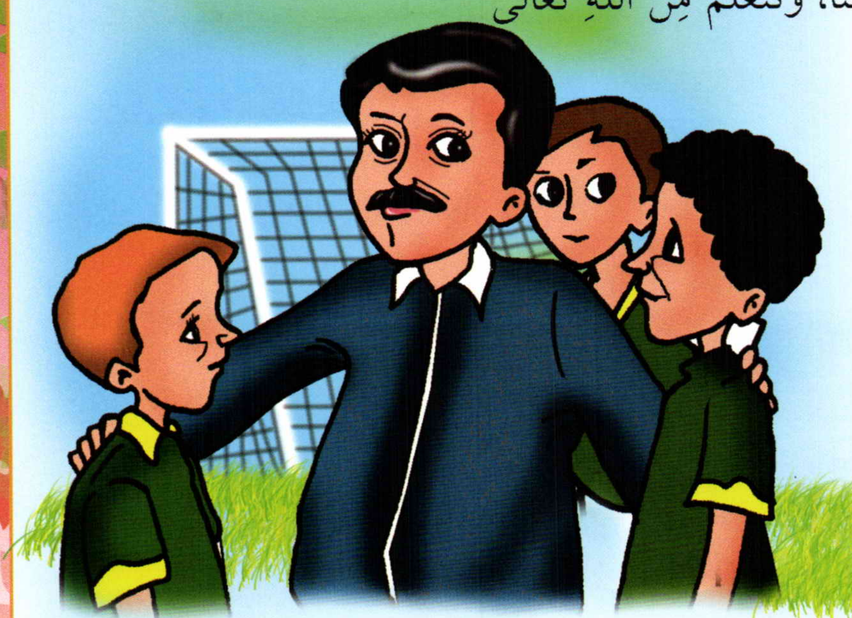


وَمُحاوَلَتِهِ صَدَّ الْكُرَةِ بِيَدَيْهِ. تَأَلَّمَ أَحْمَدُ كَثيراً لَأَنَّ جَميلاً اصْطَدَمَ بِوَجْهِهِ مِنْ جِهَةِ الأَنْفِ. وَانْتابَهُ شُعورٌ بِالْغَضَبِ، حاوَلَ صَديقُهُ جَميلٌ أَنْ يُخَفِّفَ مِنْهُ بِاعْتِذارِهِ، قَائِلاً: أَعْتَذِرُ مِنْكَ يا صَديقي..لَمْ أَكُنْ أَقْصِدُ. لِلَحْظَةٍ واحِدَةٍ لَمْ يَتَفَهَّمْ أَحْمَدُ رَفيقَهُ، بَلْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِلَوْمٍ وَغَضَبٍ. فَمَرَّ في بالِهِ شَريطٌ مِنَ الذِّكْرَياتِ الْمُرْتَبِطَةِ بِهذِهِ الْجُمْلَةِ:

كَمْ مِنْ مَزْهَرِيَّةٍ كَسَرَها في الْبَيْتِ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ؟ وَكَمْ مِنْ قَميصٍ مَزَّقَ دونَ قَصْدٍ؟ وَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ جَرَحَ بِها الآخَرينَ دونَ قَصْدٍ؟ وَكَمْ .. وَكَمْ؟؟

نَعَمْ! لَمْ يَكُنْ رَفيقُهُ جَميلٌ يَقْصِدُ إِيذاءَهُ! وَعَلَيْهِ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ لِمُصافَحَتِهِ، كَيْ يوضِحَ لَهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِغاضِبٍ وَلا مُنْزَعِجٍ.

بَعْدَ التَّدْريبِ تَوَجَّهَ الْمُدَرِّبُ عَبْدُ الْعَظيمِ بِالتَّنْويهِ بِالْوَلَدَيْنِ لِحُسْنِ تَصَرُّفِهِما في ذلِكَ الْمَوْقِفِ ، وَقالَ:لا يُقاسُ عَمَلُ الْعَبْدِ عِنْدَ اللّهِ تَعالى إِلاّ بِالنِّيَّةِ مِنَ الْقِيامِ بِهِ يا أَبْنائي.. فَمَنْ يَعْمَلْ لِلّهِ، تَقَبَّلَ اللّهُ عَمَلَهُ وَأَثابَهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ يَعْمَلْ لِلنّاسِ، كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَظِرَ لِقاءَ عَمَلِهِ مِنَ النّاسِ. وَهكَذا نَحْنُ أَيْضاً في حَياتِنا، عَلَيْنا أَنْ لا نُحاسِبَ النّاسَ عَلى أَخْطائِهِمْ الّتي لَمْ يَتَعَمَّدوا الْقِيامَ بِها،فَتَسودَالْمَحَبَّةُ وَالثِّقَةُ بَيْنَنا، وَنَتَعَلَّمَ مِنَ اللّهِ تَعالى أَنْ نَغْفِرَ وَنُسامِحَ.



بَعْدَ أَيّامٍ كَتَبَ أَحْمَدُعَلى لَوْحَةٍ كَبيرَةٍ الْحَديثَ الشَّريفَ الآتِيَ، وَعَلَّقَها عَلى جِدارِ الصَّفِّ:

(نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ!).

الْحَديثُ الْحادي وَالْعِشْرونَ: الشُّكْرُ.



سَأَلَتْ عائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنينَ النَّبِيَّ ﷺ: يا رَسولَ اللّٰهِ! لِمَ تُتْعِبُ نَفْسَكَ وَقَدْ غَفَرَ اللّٰهُ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ؟!

فَقالَ ﷺ: يا عائِشَةُ! أَلا أَكونُ عَبْداً شَكوراً؟



الْحَمْدُ لِلّٰهِ! إِنَّها الْعِبارَةُ الّتي تُرَدِّدُها رُقَيَّةُ بِنْتُ التّاسِعَةِ مِنْ عُمْرِها -كُلَّما سُئِلَتْ عَنْ حالِها، وَعَنْ صِحَّتِها، وَعَنْ دُروسِها.. لَقَدِ اعْتادَتْ عَلى تَرْدادِها في كُلِّ مُناسَبَةٍ، بَعْدَ أَنْ حَفِظَتْها عَنْ أُمِّهاوَسَمِعَتْها مِنْ كُلِّ مَنْ يُسْأَلُ عَنْ حالِهِ مِنَ النّاسِ.

لا عِبارَةَ تَسْمَعُها مِنَ النّاسِ أَكْثَرَ مِنْ هذهِ الْعِبارَةِ.. في كُلِّ مُناسَبَةٍ، وَفي كُلِّ مَوْقِفٍ.. كُلُّ النّاسِ يُرَدِّدونَ: الْحَمْدُ لِلّهِ.. الْحَمْدُ لِلّهِ..

لكِنَّ رُقَيَّةَ تَظُنُّ أَنَّ هذهِ الْعِبارَةَ لا تُقالُ إلاّ في حالِ كانَتِ الأُمورُ على مايُرامُ، وَفي أَحْسَنِ حالٍ، فَهَلْ سَتُضيفُ إِلى ما تَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً جَديدَةً؟ عِنْدَ الْمَساءِ سَتُرافِقُ رُقَيَّةُ والِدَتَها إِلى زِيارَةِ عَمَّتِها وَفاءَ الْمَريضَةِ.

سَتَسْأَلُها عَنْ حالِها، وَسَوْفَ تَرى إِنْ كانَتْ سَتَحْمَدُ اللّهَ كَما يَقولُ الأَصِحّاءُ الْمُعافونَ أَمْ لا.!

..الْعَمَّةُ وَفاءُ طَريحَةُ الفِراشِ مُنْذُ أَسابيعَ بِسَبَبِ كَسْرٍ أَصابَ ساقَها بَعْدَ تَعَثُّرِها وَسُقوطِها عَنْ دَرَجِ الْبِناءِ حَيْثُ تُقيمُ.

وَقَدْ عانَتْ كَثيراً، وَما زالَتْ حَتّى الآنَ غَيْرَ قادِرَةٍ عَلى النُّهوضِ وَالسَّيْرِ عَلى قَدَمِها.

عِنْدَ الْمَساءِ دَخَلَتْ رُقَيَّةُ بَيْتَ الْعَمَّةِ وَفاءَ. كانَتِ الْعَمَّةُ في السَّريرِ، فَاقْتَرَبَتْ مِنْها وَسَلَّمَتْ عَلَيْها، وَقَبَّلَتْها، ثُمَّ جَلَسَتْ بِهُدوءٍ عَلى الْكُرْسِيِّ الْمُجاوِرِ قَريبَةً مِنْ أُمِّها،



وَكانَتْ تَنتَظِرُ سَماعَ ما تَقولُهُ عَمَّتُها عِنْدَما تَسْأَلُها أُمُّها عَنْ صِحَّتِها. إِنَّهُ أَمْرٌ مُدْهِشٌ!

لَقَدْ كَرَّرَتِ الْعَمَّةُ وَفاءُ تِلْكَ العِبارَةَ أَكْثَرَ مِنْأَيٍّ وَقْتٍ آخَرَ.

بَلْ أَضافَتْ إِلَيْها عِباراتٍ أُخْرى،كانَتْ قَدْ سَمِعَتْها مِنْ قَبْلُ: أَلفُ حَمْدٍ وَشُكْرٍ..

نَشْكُرُ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ..الْحَمْدُ لِلّهِ عَلى لُطْفِهِ في الْقَضاءِ.. الْحَمْدُ لِلّهِ وَلا يُحْمَدُ عَلى مَكْروهٍ سِواهُ.. لَمْ تَتَمَكَّنْ رُقَيَّةُ مِنْ حِفْظِ جَميعِ عِباراتِ الشُّكْرِ الّتي سَمِعَتْها مِنْ عَمَّتِها، وَلكِنَّها تَعي أَنَّ عِباراتِ الشُّكْرِ لِلّهِ تَعالى كانَتْ أَكْثَرَ الْعِباراتِ الّتي رَدَّدَتْها الْعَمَّةُ خِلالَ تِلْكَ الزِّيارَةِ.

حينَ عادَتْ رُقَيَّةُإِلى الْبَيْتِ رَوَتْ لأَبيها ما أَدْهَشَها في حَديثِ عَمَّتِها الْمَريضَةِ، وَقالَتْ:

كانَتْ ساقُها في الْجِبْسِ يا أَبي، وَكانَتْ لا تَفْتَأُ تَشْكُرُ اللّهَ وَتَحْمَدُهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ.

سُرَّ أَبو رُقَيَّةَ مِنْ مُلاحَظَةِ ابْنَتِهِ، وَقالَ لَها: جَميلٌ أَنْ تَنْتَبِهي يا صَغيرَتي إِلى مِثْلِ هذِهِ الأُمورِ وَتَسْأَلي عَنْها. إِنَّ نِعَمَ اللّهِ يا حَبيبَتي لا يُمْكِنُ لَنا أَنْ نُحْصِيَها أَبداً، فَإِنْ زالَتْ عَنّا نِعْمَةٌ وَجَدْنا أَنَّ اللّهَ تعالى قَدْ مَتَّعَنا بِكَثيرٍ غَيْرِها.

صَمَتَ الأَبُ قَليلاً، ثُمَّ قالَ: إِنَّ شُكْرَ الْعَبْدِ الدّائِمَ للّهِ تَعالى يَزيدُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ لَهُ، وَيُغيظُ إِبْليسَ اللَّعينَ. أَلا تَذْكُرينَ قِصَّةَ النَّبِيِّ أَيّوبَ عليه السلام؟ كانَتْ رُقَيَّةُ تَعْرِفُ قِصَّةَ النَّبِيِّ أَيّوبَ عليه السلام، وَلكِنَّها أَحَبَّتْ أَنْ تَسْمَعَ خُلاصَةَ تِلْكَ الْقِصَّةِ مِنْ أَبيها، فَصَمَتَتْ في انْتِظارِ سَماعِ الْمَزيدِ.



قالَ لَها أَبوها:لَقَدْ أَغاظَ أَيّوبُ عليه السلام إِبْليسَ بِكَثْرَةِ شُكْرِهِ لِلّهِ تَعالى،فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَقَضى عَلى بَيْتِهِ وَرِزْقِهِ وَأَشْجارِهِ وَحَيَواناتِهِ وَأَوْلادِهِ، وَ رَغْمَ كُلِّ ذلِكَ ظَلَّ أَيّوبُ عليه السلام يَذْكُرُ اللّهَ في كُلِّ وَقْتٍ، وَيُكْثِرُ مِنَ الشُّكْرِ وَالثَّناءِ عَلَيْهِ.

إِلى أَنْ طَلَبَتْ مِنْهُ زَوْجَتُهُ أَنْ يَدْعُوَ اللّهَ تَعالى، وَيَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُ الْبَلاءَ.

صَمَتَ الأَبُ قَليلاً، فَسَأَلَتْهُ رُقَيَّةُ: هَلْ دَعا اللّهَ يا أَبي؟

قالَ الأَبُ: لَقَدْ شَكا أَيّوبُ عليه السلام أَمْرَهُ إِلى اللّهِ تَعالى،

وَقالَ لَهُ: رَبِّ إِنّي مَسَّنيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمينَ. لكِنَّهُ قَبْلَ ذلِكَ أَخْبَرَ زَوْجَتَهُ بِأَنَّ اللّهَ تَعالى أَعْطاهُ مِنَ الرِّزْقِ وَالْخَيْرِ وَالسَّعادَةِ طيلَةَما يَزيدُ عَلى ثَمانينَ عاماً مِنْ عُمْرِهِ الشَّريفِ،

وَقَدِ ابْتَلاهُ سَبْعَ سَنَواتٍ، وَلَنْ يَكونَ مِنَ الإِنْصافِ أَنْ يُنْكِرَ فَضْلَ اللّهِ تَعالى عَلَيْهِ، فيما لَوْ تَذَكَّرَتَفَوُّقَ زَمَنِ السَّعادَةِ عَلى زَمَنِ الْبَلاءِ.

نَعَمْ . نَعَمْ يا أَبي.. هَتَفَتْ رُقَيَّةُ تَقولُ: عَلَيْنا أَنْ نَتَذَكَّرَ دائِماً أَنَّ اللّهَ تَعالى يَرْحَمُنا حَتّى في الْبَلاءِ، وَقَدْ جَعَلَ لَنا جَنّاتٍ واسِعَةً في الآخِرَةِ جَزاءَ صَبْرِنا.

أَهذا ما تَعْنيهِ يا أَبي؟ احْتَضَنَ أَبو رُقَيَّةَ ابْنَتَهُ بِعَطْفٍ شَديدٍ، وَالسُّرورُ يَمْلأُ قَلْبَهُ، ثُمَّ راحا يُرَدِّدانِ مَعاً: الْحَمْدُ لِلّهِ.. الْحَمْدُ لِلّهِ!

جاءَ رَجُلٌ إِلى أَبي ذَرٍّ(رض) فَقالَ: يا أَبا ذَرٍّ! ما لَنا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟

فَقالَ أَبو ذَرٍّ: لأَنَّكُمْ عَمَرْتُمُ الدُّنْيا وَأَخْرَبْتُمُ الآخِرَةَ! فَتَكْرَهونَ أَنْ تُنْقَلوا مِنْ عُمْرانٍ إِلى خَرابٍ.

فَقالَ الرَّجُلُ: فَكَيْفَ تَرى قُدومَنا عَلى اللّهِ؟

فَقالَ: أَمّا الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ فَكَالْغائِبِ يَقْدُمُ عَلى أَهْلِهِ؛ وَأَمّا الْمُسيءُ مِنْكُمْ فَكَالآبِقِ يُرَدُّ عَلى مَوْلاهُ!

فَقالَ: فَكَيْفَ تَرى حالَنا عِنْدَ اللّهِ؟

فَقالَ: اعْرِضوا أَعْمالَكُمْ عَلى الْكِتابِ، إِنَّ اللّهَ يَقولُ:

(إِنَّ الأَبْرارَلَفي نَعيم وَإِنَّ الْفُجّارَ لَفي جَحيم).

قالَ: فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللّهِ؟ قالَ: رَحْمَةُ اللّهِ قَريبٌ مِنَ الْمُحْسِنينَ!.

هذِهِ هِيَ أَيّامُ عاشوراءَ، تَعودُ بِحُزْنِها وَدُموعِ مُحِبّي مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) وَآلِ بَيْتِهِ الْمَظْلومينَ (عليهم السلام). مَجالِسُ الْعَزاءِ الْحُسَيْنِيَّةُ تُقامُ في كُلِّ الْبُيوتِ إِحْياءً لِلسّيرَةِ الْعاشورائِيَّةِ، حَيْثُ تُتْلى آياتُ الْقُرْآنِ الْكَريمِ وَتُقْرَأُ السّيرَةُ، وَتُوَزَّعُ الأَطْعِمَةُ وَالأَشْرِبَةُ عَلى الْحاضِرينَ. ها هُوَ إِبْراهيمُ بَيْنَ الأَطْفالِ يَسْعى بَعْدَ الظَّهيرَةِ لِلْعَمَلِ عَلى تَهْيِئَةِ الْمَجالِسِ، بِنَقْلِ الْكَراسي، وَتَعْليقِ اللَّوْحاتِ وَالْيافِطاتِ، وَمُساعَدَةِ قائِدِهِ الْكَشْفِيِّ عَلى كُلِّ الْمَهمّاتِ الْمَطْلوبَةِ في تِلْكَ الْمُناسَبَةِ السَّنَوِيَّةِ الْهامَّةِ.

لَمْ يَتَأَخَّرِ الشَّيْخُ عَلاءُ في الْحُضورِ، حَيْثُ الأَطْفالُ في انْتِظارِهِ، وَهُمْ يَتَراصَفونَ في مَقاعِدِهِمُ الصَّغيرَةِ.

هذا مَجْلِسٌ عاشورائِيٌّ مُخْتَلِفٌ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمَجالِسِ الْمُعْتادَةِ.

لأَنَّهُ مَجْلِسٌ خاصٌّ بِالأَطْفالِ. هُنا سَيَقُصُّ الشَّيْخُ عَلاءُ عَلى الصِّغارِ قِصَصَ تَضْحِياتِ الإِمامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَآلِ بَيْتِهِ وَأَصْحابِهِ، وَالأَطْفالُ سَيَفْهَمونَ كُلَّ ما تَرْويهِ الأَحاديثُ، لأَنَّها سَتُسْرَدُ بِلُغَةٍ بَسيطَةٍ سَهْلَةٍ يُمْكِنُ للأَطْفالِ أَنْ يَسْتَوْعِبوها وَيَفْهَموها.



إِبْراهيمُ يَحْفَظُ الْكَثيرَ مِنْ هذِهِ الْقِصَصِ، وَدُموعُهُ تَسيلُ بِغَزارَةٍ حُزْناً عَلى الْحُسَيْنِ وَالْعَبّاسِ وَالْقاسِمِ وَعَلِيٍّ الأَكْبَرِ عليهم السلام. مِثْلَما يَبْكي عَلى زَيْنَبَ عليها السلام وَبَناتِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَالنِّساءِ جَميعاً.

وَيَقولُ مِنْ أَعْماقِ قَلْبِهِ مُخاطِباً آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ عليهم السلام: يا لَيْتَنا كُنّا مَعَكُمْ فَنَفوزَ فَوْزاً عَظيماً.

الْيَوْمَ سَيَرْوي الشَّيْخُ عَلاءُ في الْمَجْلِسِ قِصَّةَ الْقاسِمِ ﴿عليه السلام﴾ ، وَهُوَ ابْنُ الإمامِ الْحَسَنِ ﴿عليه السلام﴾ الَّذي كانَ غُلاماً حَدَثَ السِّنِّ حينَ اسْتُشْهِدَ في كَرْبَلاءَ، وَهُوَ يُقاتِلُ بَيْنَ يَدَيْ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ ﴿عليه السلام﴾.

أَصْغى إِبْراهيمُ إِلى الْقِصَّةِ بِانْتِباهٍ شَديدٍ، وَتَوَقَّفَ مُتَأَمِّلاً، عِنْدَما رَوى الشَّيْخُ عَنْ والِدَةِ الْقاسِمِ ﴿عليه السلام﴾ رَمْلَةَ، أَنَّها أَرْسَلَتْ وَلَدَها بِنَفْسِها، لِيُقاتِلَ بَيْنَ يَدَيْ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ ﴿عليه السلام﴾! وَالْمُدْهِشُ في مَوْقِفِها أَنَّها كانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ الإِمامَ الْحُسَيْنَ ﴿عليه السلام﴾ باتَ وَحيداً فَريداً بَيْنَ جَيْشٍ كَبيرٍ مِنَ الْمُعْتَدينَ الأَشْرارِ.

أَمّا الْقاسِمُ ﴿عليه السلام﴾، فَما أَشْجَعَهُ حينَ سَأَلَهُ عَمُّهُ الإِمامُ ﴿عليه السلام﴾ عَنْ رَأْيِهِ في الْمَوْتِ وَكَيْفَ يَراهُ، فَأَجابَهُ بِثِقَةٍ وَإِيمانٍ: أَحْلى مِنَ الْعَسَلِ! لَمْ يَفْهَمْ إِبْراهيمُ السَّبَبَ الَّذي يَجْعَلُ الْمُؤْمِنينَ غَيْرَ آبِهينَ بِالْمَوْتِ، وَهُمْ أَكْثَرُ النّاسِ شَجاعَةً أَيْنَما كانوا، وَفي أَيِّ مَوْقِفٍ وُضِعوا فيهِ.

فَهُوَ يَعْرِفُهُمْ في فِلَسْطينَ وَفي جَنوبِ لُبْنانَ وَفي كُلِّ بِلادِ الْعالَمِ، يُحارِبونَ الأَعْداءَ بِأَجْسادِهِمْ مَهْما بَلَغَتْ قُوَّةُ الْعَدُوِّ وَازْدادَ ظُلْمُهُ.

تَحَدَّثَ الشَّيْخُ عَلاءُ شارِحاً ذلِكَ للأَطْفالِ: اسْمَعوا يا أَحِبّائي! الْمَوْتُ لا يُخيفُ الْمُقاوِمَ الْمَظْلومَ الْمُدافِعَ عَنْ حَقِّهِ. فَهُوَ لا يُخيفُ الْمُؤْمِنَ أَبَداً.. إِذْ إِنَّ اللّهَ تَعالى وَعَدَ عِبادَهُ الْمُؤْمِنينَ بِجَنّاتٍ واسِعَةٍ يَسْعَدونَ فيها خالِدينَ أَبَداً.

إِذاً.. لِماذا نَخافُ مِنَ الْمَوْتِ، وَكَثيرٌ مِنَ النّاسِ يَخافونَ مِنَ الْجِهادِ في سَبيلِ اللّهِ وَالدِّفاعِ عَنْ أَوْطانِهِم؟؟

سَأَلَ إِبْراهيمُ، فَأَجابَ الشَّيْخُ عَلاءُ: مَنْ يَخافُ مِنَ الْمَوْتِ يا بُنَيَّ هُوَ الّذي يَخافُ مِنْ لِقاءِ اللّهِ تَعالى بِسَبَبِ ذُنوبِهِ الْكَثيرَةِ وَمَعاصيهِ.



صَمَتَ الشَّيْخُ عَلاءُ قَليلاً،ثُمَّ قالَ: مَنْ يَعْمُرِ الدُّنيا وَيُخْرِبِ الآخِرَةَ يَخَفِ الْمَوْتَ يا بُنَيَّ!

عادَ إِبْراهيمُ يَسْأَلُ: وَكَيْفَ نَعْمُرُ الآخِرَةَ يا مَوْلانا؟

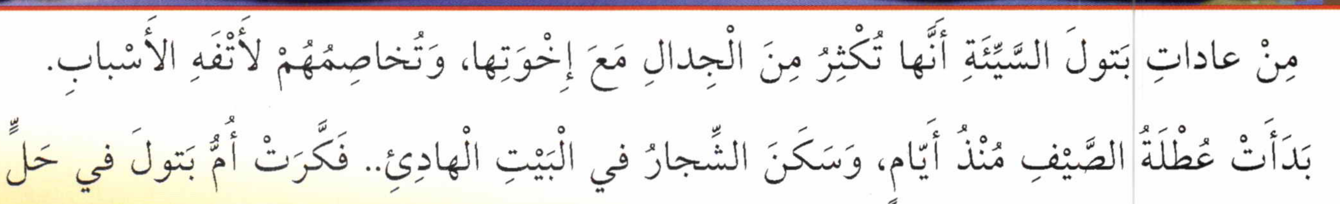
قالَ الشَّيْخُ:لِيُخْبِرْني بِذلِكَ واحِدٌ مِنْكُمْ! رَفَعَ هَيْثَمُ إِصْبَعَهُ، فَأَذِنَ لَهُ الشَّيْخُ عَلاءُ بِالْكَلامِ، فَقالَ: لا تُعْمَرُ الآخِرَةُ إِلاّ في الدُّنْيا، وَذلِكَ مِنْ خِلالِ الْعَمَلِ الصّالِحِ، فَنَعْمَلُ ما أَمَرَنا اللّهُ تَعالى بِهِ، وَنَنْتَهي عَمّا نَهانا عَنْهُ.

قالَ الشَّيْخُ عَلاءُ: نَعَمْ هكَذا يا بُنَيَّ نَعْمُرُ آخِرَتَنا، وَيُصْبِحُ لِقاؤُنا بِاللّهِ تَعالى كَما هُوَ عِنْدَ الْقاسِمِ (عليه السلام):أَحْلى مِنْ طَعْمِ الْعَسَلِ!.



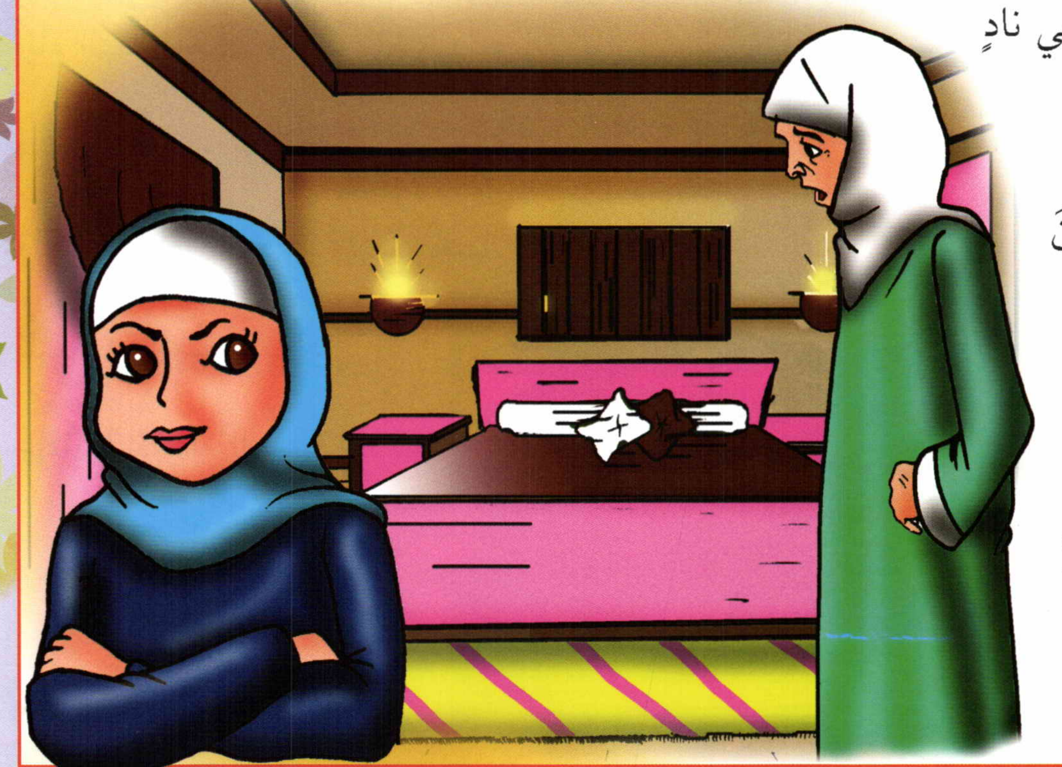
الحَديثُ الثَّالِثُ وَالعِشْرون: المِراءُ وَالجِدالُ

قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام: إِيّاكُمْ وَالْمِراءَ وَالْخُصومَةَ فَإِنَّهُما يُمْرِضانِ الْقُلوبَ عَلى الإِخْوانِ وَيَنْبُتُ عَلَيْهِما النِّفاقُ.



مِنْ عاداتِ بَتولَ السَّيِّئَةِ أَنَّها تُكْثِرُ مِنَ الْجِدالِ مَعَ إِخْوَتِها، وَتُخاصِمُهُمْ لأَتْفَهِ الأَسْبابِ.

بَدَأَتْ عُطْلَةُ الصَّيْفِ مُنْذُ أَيّامٍ، وَسَكَنَ الشِّجارُ في الْبَيْتِ الْهادِئِ.. فَكَّرَتْ أُمُّ بَتولَ في حَلٍّ لِتِلْكَ الْمُشْكِلَةِ، فَوَجَدَتْهُ في نادٍ لِتَعْليمِ الْفَتَياتِ! لَمْ تُحاوِلْ بَتولُ أَنْ تُخْفِيَ حَنَقَها حينَ دَخَلَتْ أُمُّها إِلى غُرْفَتِها تُبْلِغُها بِأَنَّها دَوَّنَتِ اسْمَها في نادٍ صَيْفِيٍّ يُعْنى بِتَعْليمِ الْفَتَياتِ بَعْضَ الْمَهاراتِ الْفَنِّيَّةِ وَالْيَدَوِيَّةِ الْجَميلَةِ..



أُمُّ بَتولَ تُريدُ أَنْ تُلْهِيَ ابْنَتَها عَنِ الخُصومَةِ وَالْجَدَلِ وَالْمِراءِ (الجِدال). عَلى عَكْسِ بَتولَ

الّتي لا تُريدُ أَنْ تَقْضيَ عُطْلَةَ الصَّيْفِ كَما قَضَتْ أَيّامَ الشِّتاءِ بَيْنَ الْواجِباتِ وَالدُّروسِ، فَهِيَ في

انْتِظارِ هذِهِ الأَيّامِ بِصَبْرٍ نافِدٍ كَيْ تَلْهُوَ وَتَلْعَبَ، وَتَتَسلّى.. ثُمَّ إِنَّها كَما تَرى لا تَحْتاجُ إِلى كُلِّ ذلِكَ..

فَهِيَ تَدَّعي دائِماً أَنَّها تَعْرِفُ كُلَّ ما تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ، وَأَنَّ الْمَزيدَ لَيْسَ إِلاّ إِضاعةً لِلْوَقْتِ بِلا جَدْوى!!

حاوَلَتْ بَتولُ كَثيراً أَنْ تَرْفُضَ الذّهابَ إِلى النّادي،

لكِنَّ أُمَّها قالَتْ لَها: عَلَيْكِ أَنْ تُجَرِّبي أَوَّلاً.

فَقَبِلَتْ عَلى أَمَلِ أَنْ تَجِدَ في كُلِّ يَوْمٍ مِنْ

أَيّامِ التَّعَلُّمِ حُجَّةً وَسَبَباً لِلْغِيابِ أَوِ التَّأَخُّرِ.

هذا في الْواقِعِ ما فَكَّرَتْ فِيهِ الْفَتاةُ،

وَلكِنَّ الأيّامَ اللاّحِقَةَ غَيَّرَتْ نِيَّتَها

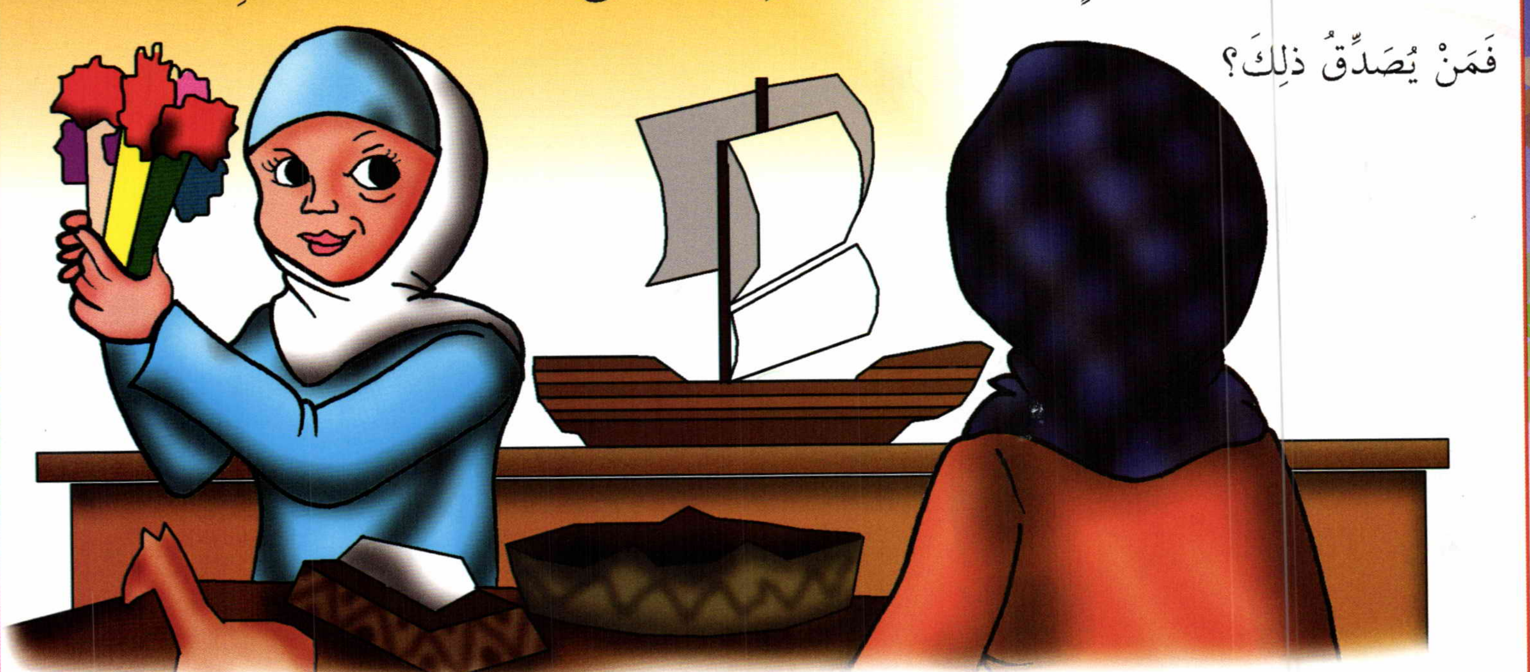
تِلْكَ، وَغَيَّرَتْ عادَةً مِنْ

عاداتِها السَّيِّئَةِ إِلى الأَبَدِ!

ما أَنْ دَخلَتْ بَتولُ إلى قاعَةِ العَمَلِ حَتّى فوجِئَتْ بِمُجَسَّماتٍ وَأَشْكالٍ فَنِّيَّةٍ رائِعَةٍ مِنْ أَشْغالٍ يَدَوِيَّةٍ تَزْيينِيَّةٍ. الْمُفاجَأَةُ كانَتْ في أَنَّ هذِهِ الأَشْغالَ كُلَّها مَصْنوعَةٌ يَدَوِيّاً، بِأَيْدي فَتَياتٍ نَشيطاتٍ مِثْلِها،اسْتَطَعْنَ الإِفادَةَ مِنْ أَيّامِ الْعُطْلَةِ بِالْعَمَلِ الْمُثْمِرِ الْجَميلِ.

إِذاً تَحَمَّسَتْ بَتولُ لِلْعَمَلِ في الْبِدايَةِ، وَقَرَّرَتْ أَنْ تَبْدَأَ بِالْخُطْوَةِ الأولى.. ولكِنْ هَلْ سَتَجِدُ لَدَيْها الصَّبْرَ عَلى الْمُتابَعَةِ؟؟ عَلَيْها أَنْ تُجَرِّبَ كَما قالَتْ أُمُّها، وَلا ضَيْرَ في ذلِكَ طالَما أَنَّ قَرارَ الْمُتابَعَةِ سَيَعودُ إِلَيْها في خاتِمَةِ الْمَطافِ..وَمَنْ يَدرِيْ تَحْدُثُ الْمُعْجِزَةُ، وَيُعْجِبُها الْمَشْروعُ! هذا ما أَمَلَتْ بِهِ أُمُّها، وَتَوَقَّعَتْهُ الْمُعَلِّمَةُ لَها إِنْ ثابَرَتْ عَلى الْحُضورِ إِلى الْقاعَةِ كَما تَفْعَلُ الصَّديقاتُ.

مَرَّتِ الأَيّامُ سَريعاً! بَعْدَ شَهْرٍ واحِدٍ، كانَ عَلى طاوِلَةِ بَتولَ قِطَعٌ تَزْيينِيَّةٌ رائِعَةٌ صَنَعَتْها بِيَدَيْها. فَمَنْ يُصَدِّقُ ذلِكَ؟



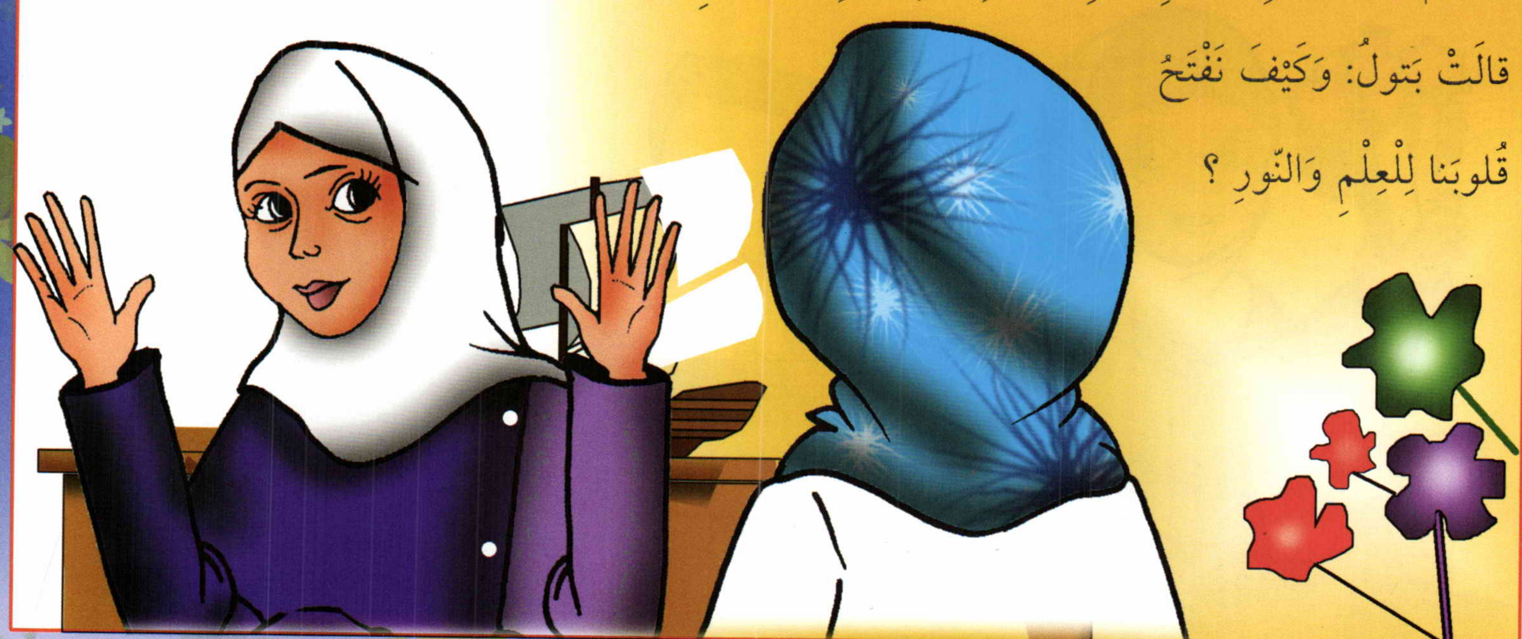
أَمّا الْبَيْتُ، فَعادَ إِلَيْهِ هُدوؤُهُ وسَلامُهُ الْمَعْهودَانِ، بَعْدَ أَنْ مَلأَتْ بَتولُ وَقْتَها بِالْعَمَلِ النّافِعِ. أَبوها هَنَّأَها، وَأُمُّها وَزَّعَتْ تِلْكَ الْقِطَعَ الْجَميلَةَ في أَنْحاءِ الْمَنْزِلِ.. أَمّا الآنِسَةُ عَلْياءُ فَكانَ لَها حَديثٌ مَعْ بَتولَ بَعْدَ أَنْ مَنَحَتْها شَهادَةَ تَقْديرٍ عَلى إِتْقانِ عَمَلِها، وَتَرْكيزِها عَلَيْهِ.

قالَتْ بَتولُ وَهِيَ تَسْتَلِمُ الشَّهادَةَ: اعْذُريني يا آنِسَةُ، فَأَنا ما كُنْتُ أَرْغَبُ في أَيّامِ النّادي الأولى في الحُضورِ، وَلَمْ أَكُنْ أُحِبُّ قَضاءَ الْعُطْلَةِ في التَّعَلُّمِ.

قالَتِ الآنِسةُ عَلْياءُ: لَقَدْ لاحَظْتُ ذلِكَ يا عَزيزَتي، وَلكِنَّني تَرَكْتُ الأَمْرَ يَعودُ إِلَيْكِ في خاتِمَةِ الْمَطافِ،كَيْ تَحْكُمي بِنَفْسِكِ.

فَالْعِلْمُ لا يَكونُ بِالْغَصْبِ وَالإِكْراهِ، إِنَّما بِالْقَلْبِ الْمَفْتوحِ كَيْ يَسْكُبَ اللّهُ تَعالى فيهِ النّورَ.

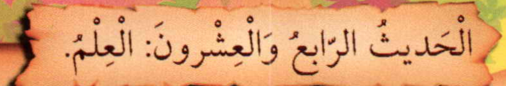
قالَتْ بَتولُ: وَكَيْفَ نَفْتَحُ قُلوبَنا لِلْعِلْمِ وَالنّورِ ؟



أَجابَتِ الآنِسَةُ بَتولُ: قالَ رَسولُ اللّهِ ﷺ: لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ التَّعْليمِ، بَلْ هُوَ نورٌ يَقْذِفُهُ اللّهُ في قَلْبِ مَنْ يَشاءُ! وَهذا لا يكونُ إِنْ لَمْ نَفْتَحْ قُلوبَنا، بِحُبِّنا لِلْعِلْمِ، وَحَماسِنا لِلتَّزَوُّدِ بِالنّور. فَكَّرَتْ بَتولُ قَليلاً، ثُمَّ قالَتْ: لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ قَضاءَ الْوَقْتِ في التَّعَلُّمِ لأَنَّني لَمْ أَذُقْ حَلاوَةَ الْمَعْرِفَةِ الّتي نَخْتارُها طَوْعاً وَرَغْبَةً.. الآنَ أَنا أَشْتاقُ إِلى التَّعَلُّمِ، وَأُريدُ أَنْ أَتَزَوَّدَ بِمَعْرِفَةٍ أُخْرى وَعِلْمٍ جَديدٍ في الأَيّامِ الْمُتَبَقِّيَةِ مِنْ عُطْلَةِ الصَّيْفِ. سُرَّتِ الآنِسَةُ عَلْياءُ كَثيراً، وَأَمْسَكَتْ بِيَدِ بَتولَ لِتَقودَها إِلى غُرْفَةِ التَّسْجيلِ لِتَخْتارَ نادِياً جَديداً تَنْتَسِبُ إِلَيْهِ وَتَتَعَلَّمُ مَهارَةً أُخْرى.



بِذلِكَ سَتَقْضي بَتولُ أَيّامَ الْعُطْلَةِ بِالْعَمَلِ النّافِعِ الْمُفيدِ، وَتَتَخَلَّصُ مِنَ الْخُصومَةِ وَالْجِدالِ. وَبِذلِكَ سَيَرْضى أُمُّها وَأَبوها وَيَعودُ إِلى الْبَيْتِ هُدوؤُهُ وَسَكينَتُهُ مِنْ جَديدٍ. .



دَخَلَ رَسولُ اللّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ ، فَإِذا جَماعَةٌ قَدْ أَطافوا بِرَجُلٍ،

فَقالَ: ما هذا؟ فَقيلَ: عَلاّمَةٌ.

فَقالَ: وَما الْعَلاّمَةُ؟

فَقالوا لهُ: أَعْلَمُ النّاسِ بِأَنْسابِ الْعَرَبِ وَوَقائِعِها، وَأَيامِ الْجاهِلِيَّةِ وَالأَشْعارِ الْعَرَبِيَّةِ.

فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: ذاكَ عِلْمٌ لا يَضُرُّ مَنْ جَهِلَهُ، وَلا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ. ثُمَّ قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

إِنَّما الْعِلْمُ ثَلاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَريضَةٌ عادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قائِمَةٌ، وَما خَلاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ.



دَخَلَتْ بَتولُ غُرْفَةَ الآنِسَةِ سَلْمى، حَيْثُ عُلِّقَتْ قائِمَةٌ بِأَسْماءِ النّوادي الصَّيْفِيَّةِ وَبَرامِجِها. أَحَبَّتْ بَتولُ أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلى أَسْماءِ النّوادي أَوَّلاً، وَنَوْعِ الْمَعارِفِ الّتي تُقَدِّمُها هذِهِ النَّوادي لِلْفَتَياتِ.

كانَتِ الْمَواضيعُ مُحَيِّرَةً فِعْلاً! الرَّسْمُ وَالْموسيقى.. الرِّياضَةُ وَالكمبيوتر، وَالشِّعْرُ وَالْخَطابَةُ وَالْكِتابَةُ. وَالْقُرْآنُ الْكَريمُ وَالتَّفْسيرُ..



كُلُّها عَناوينُ هامَّةٌ لِلْغايَةِ.. ولكِنْ أَيٌّ مِنْها يُمْكِنُ أَنْ يُفيدَ أَكْثَرَ مِنَ الآخَرِ؟

لَمْ تَتَسَرَّعْ بَتولُ في اخْتِيارِ نادٍ مِنْ بَيْنِ هذهِ النَّوادي. بَلْ طَلَبَتْ مِنَ الآنِسَةِ سَلْمى فُرْصَةً إِلى الْغَدِ كَيْ تَسْتَشيرَ أُمَّها في اخْتِيارِ النّادي الأَفْضَلِ.

عادَتْ بَتولُ إِلى الْبَيْتِ تَرْوي لأُمِّها ما جَمَعَتْهُ مِنْ مَعْلوماتٍ عَنْ هذهِ النَّوادي، وَما يُمْكِنُ لَها أَنْ تُحَقِّقَ مِنْ فَوائِدَ حَوْلَ هذهِ الْمَهاراتِ.

كانَ رَأْيُ أُمِّ بَتولَ غَيْرَ ما تَوَقَّعَتِ ابْنَتُها. فَبَتولُ كانَتْ تَظُنُّ أَنَّ النّاديَ الأَفْضَلَ بِالنِّسْبَةِ إِلى أُمِّها سَيَكونُ نادي الشِّعْرِ وَالْخَطابَةِ.

لكِنَّ أُمَّها قالَتْ لَها: عَلَيْنا أَنْ نُفَكِّرَ بِالأَوْلَوِيّاتِ يابْنَتي!

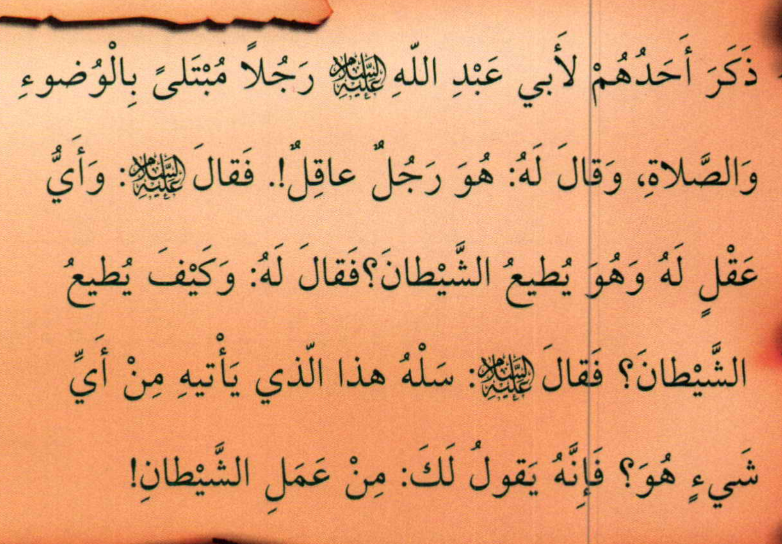
لَمْ تَفْهَمْ بَتولُ، بَلْ قالَتْ لأُمِّها مُسْتَفْهِمَةً: الأَوْلَوِيّاتُ؟

قالَتْ أُمُّ بَتولَ: الْعِلْمُ الأَهَمُّ بِالنِّسْبَةِ لَنا هُوَ الْقُرْآنُ الْكَريمُ يابْنَتي.. فَفيهِ تَجْتَمِعُ كُلُّ الْعُلومِ. تَعَلَّمي تِلاوَةَ الْقُرْآنِ لأَنَّها أَساسُ الْعُلومِ، ثُمَّ اجْمَعي ما شِئْتِ مِنَ الْعُلومِ الأُخْرى.



وَلِماذا يَكونُ الْقُرْآنُ الْكَريمُ أَساسَ الْعُلومِ جَميعِها يا أُمّي؟ سَأَلَتْ بَتول،

فَقالَتْ أُمُّها:لأَنَّ الْقُرْآنَ يَحْتَوي عَلى الأَدَبِ وَالْقِصَصِ وَالْحِكْمَةِ وَعِلْمِ الْحياةِ، وَعِلْمِ الْفَلَكِ وَالنَّباتِ،وَالتّاريخِ.. وَكُلِّ ما تُريدينَ مِنَ الْمَعارِفِ..وَما يُمْكِنُ أَنْ تُبْنى عَلَيْهِ الْمَعارِفُ يابْنَتي! تَذَكَّرَتْ بَتولُ الْكَثيرَ مِنَ الآياتِ الّتي حَفِظَتْها مِنَ الْقُرْآنِ الْكَريمِ، وتَذَكَّرَتِ الْكَثيرَ مِنَ الْمَعاني،وَأَحَسَّتْ بِشَوْقٍ كَبيرٍ لِتَعْرِفَ الْمَزيدَ مِمّا يُسَهِّلُ عَلَيْها فَهْمَ الْكَثيرِ مِنَ الْعُلومِ الأُخْرى.إِذاً، لِمَ لا تَبْدَأُ بَتولُ بِتَعَلُّمِ تِلاوَةِ وَفَهْمِ الْقُرْآنِ الْكَريمِ أَوَّلاً، فَتَسْهُلُ عَلَيْها بَقِيَّةُ الْعُلومِ؟ هذا ما رَأَتْهُ الْفَتاةُ، الّتي أَغْمَضَتْ عَيْنَيْها عِنْدَ الْمَساءِ، بَعْدَ أَنْ وَعَدَتْ نَفْسَها بِالانْتِسابِ إِلى نادي الْقُرْآنِ الْكَريمِ مَعَ بَقِيَّةِ رَفيقاتِها.



ذَكَرَ أَحَدُهُمْ لأَبي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام رَجُلاً مُبْتَلىً بِالْوُضوءِ والصَّلاةِ، وَقالَ لَهُ: هُوَ رَجُلٌ عاقِلٌ!. فَقالَ عليه السلام: وَأَيُّ عَقْلٍ لَهُ وَهُوَ يُطيعُ الشَّيْطانَ؟فَقالَ لَهُ: وَكَيْفَ يُطيعُ الشَّيْطانَ؟ فَقالَ عليه السلام: سَلْهُ هذا الّذي يَأْتيهِ مِنْ أَيِّ شَيءٍ هُوَ؟ فَإِنَّهُ يَقولُ لَكَ: مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ!



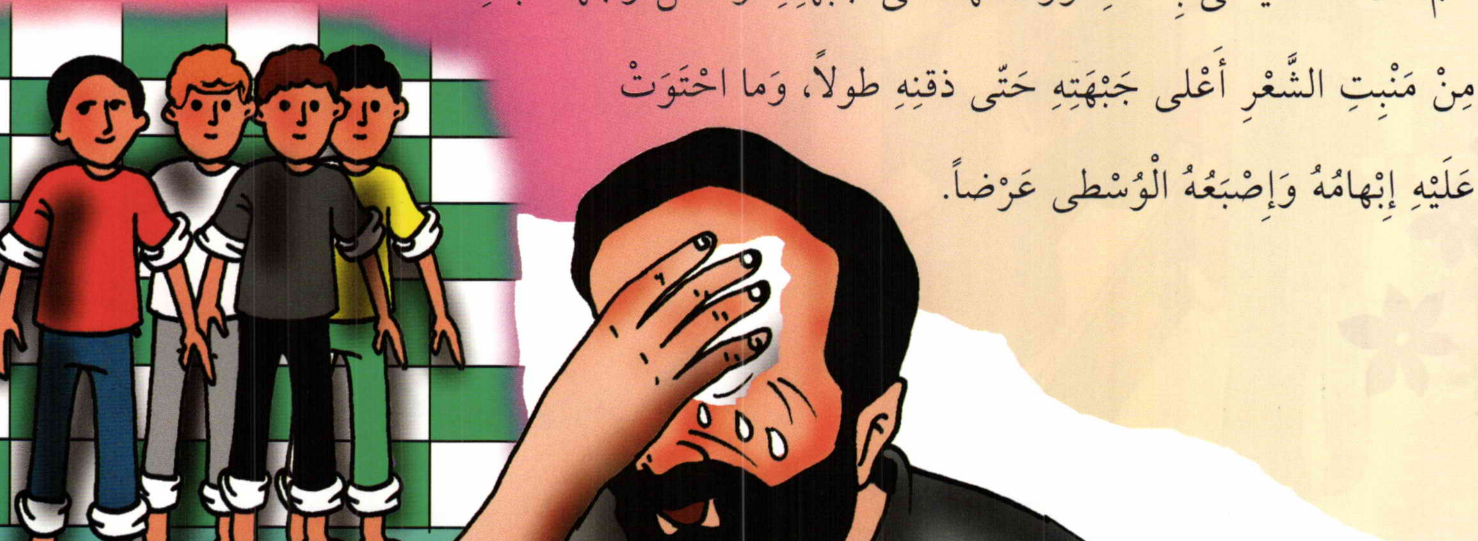
غَصَّ الْمُتَوَضَّأُ بِالأَوْلادِ.. إِنَّها حِصَّةُ التَّرْبِيَةِ الدّينِيَّةِ الّتي انْتَظَرَها الأَطْفالُ بِصَبْرٍ نافِدٍ مُنْذُ أَخْبَرَهُمُ الشَّيْخُ عَدْنانُ بِما سَيَتَعَلَّمونَهُ فيها. نَعَمْ.. إِنَّهُ الْوُضوءُ! كُلُّ الأَوْلادِ الّذينَ في الْمُتَوَضَّأِ الآنَ هُمْ تَحْتَ سِنِّ التَّكْليفِ الشَّرْعِيِّ، وَلا ضَيْرَ في ذلِكَ.. بَلْ إِنَّ هذِهِ الْحِصَّةَ سَتَكونُ في غايَةِ الأَهَمِّيَّةِ، لأَنَّها سَتُدَرِّبُ الأَطْفالَ باكِراً عَلى أَهَمِّ شَرْطٍ مِنْ شُروطِ الصَّلاةِ،

وَبِذلِكَ لَنْ يَحْتاجوا إِلى جُهْدٍ كَبيرٍ عِنْدَما تُصْبِحُ الصَّلاةُ واجِبَةً بَعْدَ سَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ.

وَقَفَ الأَوْلادُ بِنِظامٍ أَمامَ صَفٍّ مِنَ الْمَغاسِلِ، وَصَنابيرِ الْمِياهِ.. شَمَّرَ الْجَميعُ أَكْمامَهُمْ، وَخَلَعوا أَحْذِيَتَهُمْ وَجَوارِبَهُمْ وَانْتَعلوا قَباقيبَ خَشَبِيَّةً مُرْتَفِعَةً عَنِ الأَرْضِ، وَهُمْ يُصْغونَ إِلى الشَّيْخِ عَدْنانَ وَهُوَ يَقولُ لَهُمْ: لَقَدْ فَرَضَ الإِسْلامُ عَلى الْمُؤْمِنينَ الصَّلاةَ يا أَحِبَّتي، وَجَعَلَ الْوُضوءَ شَرْطاً أَساسِيّاً لِقَبولِها؛ فالصَّلاةُ لا تُقْبَلُ إِلاّ بِوُضوءٍ.

بِالوُضوءِ نَقِفُ طاهِرينَ بَيْنَ يَدَيِ اللّهِ تَعالى. بَعْدَ ذلِكَ طَلَبَ الشَّيْخُ عَدْنانُ مِنَ الأَطْفالِ أَنْ يُراقِبوهُ، فيما رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْبَسْمَلَةِ وَالنِّيَّةِ كَيْ يَسْمَعَ الأَطْفالُ وَيَتَعَلَّموا مِنْهُ.

ثُمَّ مَلأَ كَفَّهُ الْيُمْنى بِالْماءِ، وَوَضَعَها عَلى جَبْهَتِهِ، وَغَسَلَ وَجْهَهُ مُبْتَدِئاً مِنْ مَنْبَتِ الشَّعْرِ أَعْلى جَبْهَتِهِ حَتّى ذَقنِهِ طولاً، وَما احْتَوَتْ عَلَيْهِ إِبْهامُهُ وَإِصْبَعُهُ الْوُسْطى عَرْضاً.





بَعْدَ ذلِكَ مَلأَ كَفّهُ الْيُسْرى بِالْماءِ مِنْ يَدِهِ الْيُمْنى، وَوَضَعَها عَلى مِرْفَقِ يَدهِ الْيُمْنى، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ مِنَ الْمِرْفَقِ إِلى أَطْرافِ الأَصابعِ. ثُمَّ مَلأَ كَفَّهُ الْيُمْنى بِالْماءِ، وَوَضَعَها عَلى يَدِهِ الْيُسْرى. وَغَسَلَ يَدهُ مِنَ الْمِرْفَقِ إِلى أَطْرافِ الأَصابعِ. بَعْدَ ذلِكَ وَضَعَ كَفّهُ الْيُمْنى عَلى رَأْسِهِ، وَمَسَحَهُ إِلى ما قَبْلَ مَنْبتِ الشَّعْرِ. أَخيراً مَسَحَ رِجْلَهُ الْيُمْنى مِنْ أَطْرافِ الأَصابعِ إِلى مِفْصَلِ السّاقِ، بِنداوَةِ كَفِّهِ الْيُمْنى.ثُمَّ رِجْلَهُ الْيُسْرَى كذلِكَ بِنداوَةِ كَفِّهِ الْيُسْرى. وهَكَذا أَنْهى الشَّيْخُ عَدْنانُ وُضوءَهُ، ثُمَّ راحَ يُراقِبُ الأَطْفالَ وَهُمْ يُكَرِّرونَ ما فَعَلَهُ أَمامَ أَعْيُنِهِمْ تَوّاً. كانَ الشّيْخُ عَدْنانُ سَعيداً جِدّاً، وَهُوَ يُصَحِّحُ للأَطْفالِ أَخْطاءَهُمْ، وَيُكَرِّرُ عَلى مَرْأىً مِنْهُمْ مَراحِلَ الْوُضوءِ إِلى أَنْ تَأَكّدَ مِنْ أَنَّهُمْ جَميعاً صاروا قادِرينَ عَلى الْقِيامِ بِالْوُضوءِ الصَّحيحِ، بِكُلِّ تَفاصيلِهِ الْعَمَلِيَّةِ.

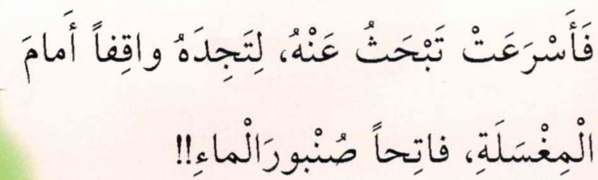


انْتَهَتِ الْحِصَّةُ، وَخَرَجَ الأَطْفالُ عِنْدَ الظَّهيرَةِ إِلى بُيوتِهِمْ، وَهُمْ عازِمونَ على أَنْ يَتَدَرَّبوا جَيِّداً عَلى الْوُضوءِ في بُيوتِهِمْ اسْتِعْداداً لِحِصَّةِ الأُسْبوعِ الْقادِمِ الّتي سَيَتَعَلَّمونَ فيها الصَّلاةَ.

جَمالٌ هُوَ واحِدٌ مِنْ أُولئِكَ الأَطْفالِ الّذينَ فَرِحوا كَثيراً بِتَعَلُّمِ الْوُضوءِ، فَعَلَّمَتْهُ أُمُّهُ الصَّلاةَ أَيْضاً.

كانَتْ صَلاةُ الصُّبْحِ سَهْلَةً جِدّاً، وَلكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِالْوُضوءِ أَوّلاً.

تَوَجَّهَ الصَّبِيُّ إِلى الْمِغْسَلَةِ فيما فَرَشَتْ أُمُّهُ سَجّادَتَهُ الصَّغيرَةَ عَلى الأَرْضِ، وَانْتَظَرَتْهُ.. مَرَّتْ رُبْعُ ساعَةٍ، وَلَمْ يَعُدْ جَمالٌ مِنَ الْوُضوءِ!! قَلِقَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ،



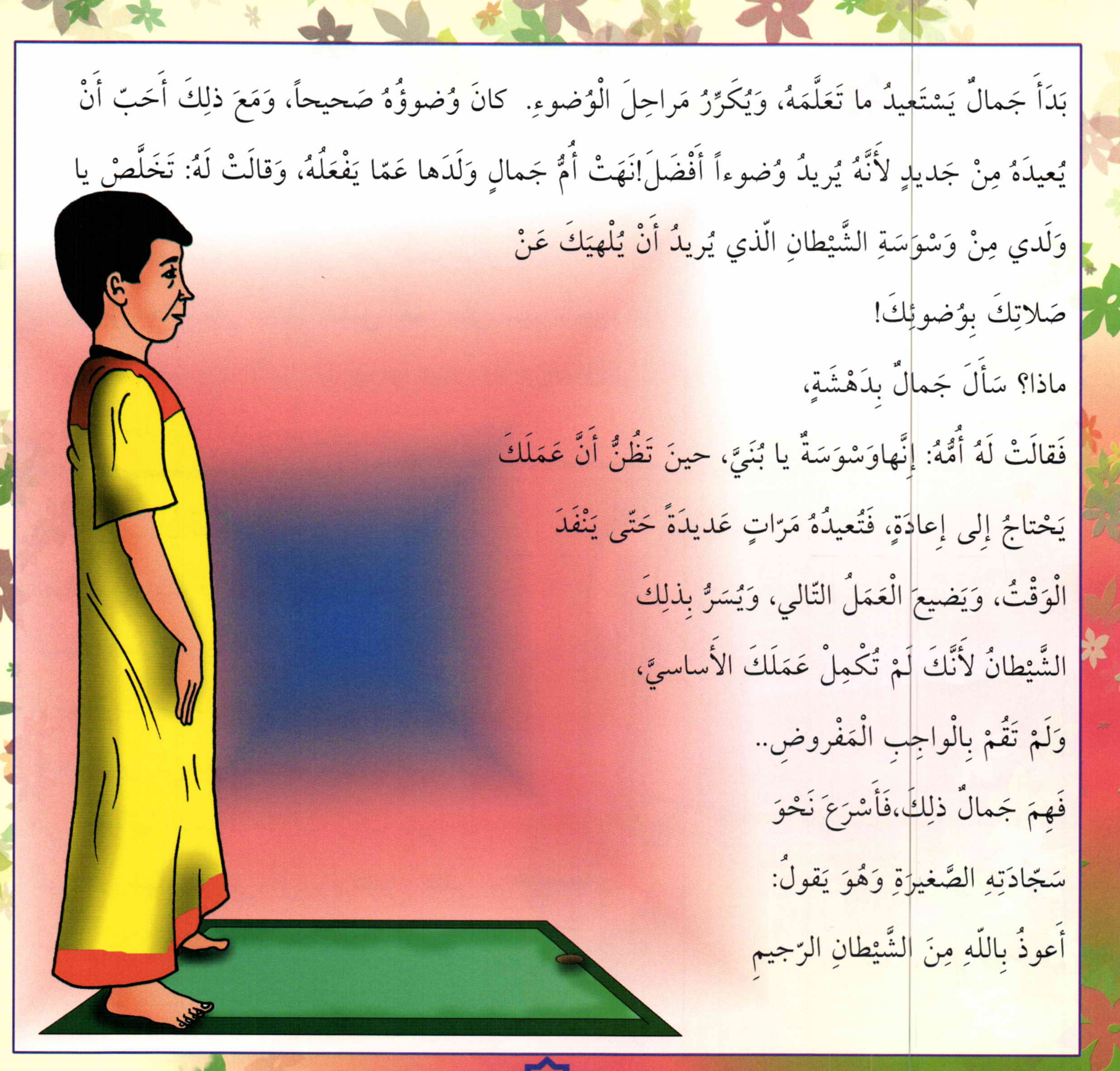
فَأَسْرَعَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ، لِتَجِدَهُ واقِفاً أَمامَ الْمِغْسَلَةِ، فاتِحاً صُنْبورَ الْماءِ!!

نَعَمْ! مازالَ جَمالٌ يَتَوَضَّأُ!!

أَلَمْ تُنْهِ وُضوءَكَ يا وَلَدي؟

سَأَلَتْ أُمُّ جَمالٍ وَلَدَها، فَأَجابَها بِالنَّفْيِ، فَاسْتَغْرَبَتْ أُمُّهُ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ أَمامَها مِنْ جَديدٍ..





بَدَأَ جَمالٌ يَستَعيدُ ما تَعَلَّمَهُ، وَيُكَرِّرُ مَراحِلَ الْوُضوءِ. كانَ وُضوؤُهُ صَحيحاً، وَمَعَ ذلِكَ أَحَبّ أَنْ يُعيدَهُ مِنْ جَديدٍ لأَنَّهُ يُريدُ وُضوءاً أَفْضَلَ!نَهَتْ أُمُّ جَمالٍ وَلَدَها عَمّا يَفْعَلُهُ، وَقالَتْ لَهُ: تَخَلَّصْ يا وَلَدي مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ الّذي يُريدُ أَنْ يُلْهيَكَ عَنْ صَلاتِكَ بِوُضوئِكَ!

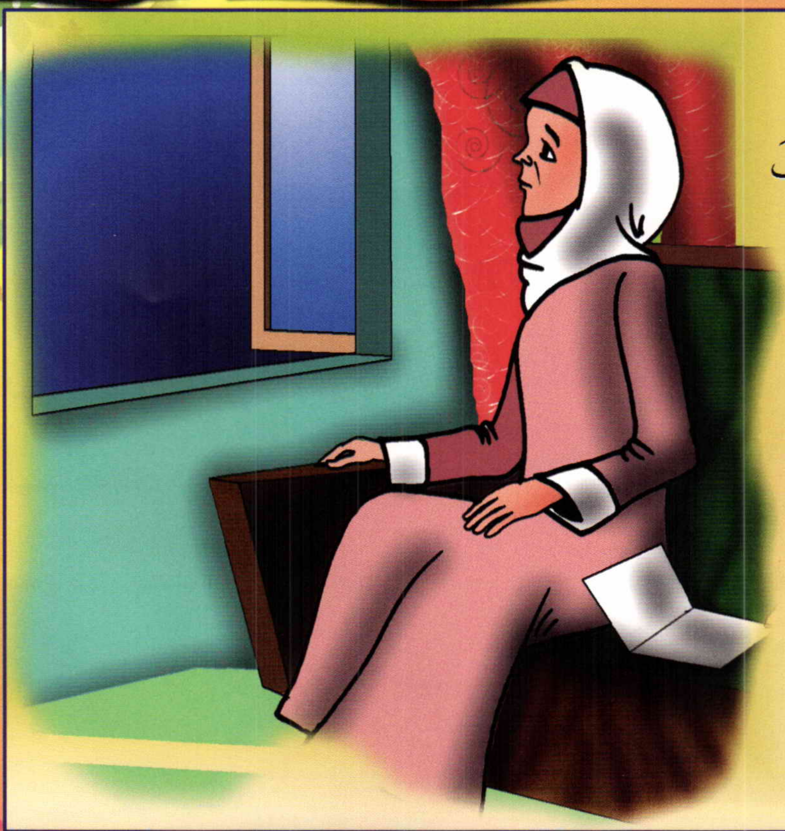
ماذا؟ سَأَلَ جَمالٌ بِدَهْشَةٍ،

فَقالَتْ لَهُ أُمُّهُ: إِنَّهاوَسْوَسَةٌ يا بُنَيَّ، حينَ تَظُنُّ أَنَّ عَمَلَكَ يَحْتاجُ إِلى إِعادَةٍ، فَتُعيدُهُ مَرّاتٍ عَديدَةً حَتّى يَنْفَدَ الْوَقْتُ، وَيَضيعَ الْعَمَلُ التّالي، وَيُسَرُّ بِذلِكَ الشَّيْطانُ لأَنَّكَ لَمْ تُكْمِلْ عَمَلَكَ الأَساسيَّ، وَلَمْ تَقُمْ بِالْواجِبِ الْمَفْروضِ..

فَهِمَ جَمالٌ ذلِكَ،فَأَسْرَعَ نَحْوَ سَجّادَتِهِ الصَّغيرَةِ وَهُوَ يَقولُ:

أَعوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ

قالَ رَسولُ اللّهِ ﷺ: مَنْ سَلَكَ طَريقاً يَطْلُبُ فيهِ عِلْماً سَلَكَ اللّهُ بِهِ طَريقاً إلى الْجَنَّةِ.
وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطالِبِ الْعِلْمِ رِضاً بِهِ، وَإِنَّهُ يَسْتَغْفِرُ لِطالِبِ الْعِلْمِ مَنْ في السَّماءِ وَمَنْ في الأَرْضِ حَتّى الْحوتُ في الْبَحْرِ.
وَفَضْلُ الْعالِمِ عَلى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلى سائِرِ النُّجومِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ، وَإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُوَرِّثوا ديناراً وَلا دِرْهَماً وَلكِنْ وَرَّثوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وافِرٍ.



تُحِبُّ رَبابُ أَنْ تُصَلّيَ كَثيراً.. إِنَّها تَعْرِفُ فَضْلَ الصَّلاةِ، وَخاصَّةً في شَهْرِ رَمَضانَ الْمُبارَكِ. صادَفَ الشَّهْرُ الْفَضيلُ في هذا الْعامِ مُواكِباً لأَيّامِ الامْتِحاناتِ.. وَهذا مَعْناهُ أَنَّ عَلى رَبابَ أَنْ تَبْذُلَ جُهْداً كَبيراً كَيْ تَقومَ بِواجِباتِها الْمَدْرَسِيَّةِ مُضافَةً إِلى واجِباتِها الدّينِيَّةِ. حاوَلَتْ رَبابُ كَثيراً أَنْ تُنْهِيَ دُروسَها باكِراً في كُلِّ يَوْمٍ لِتَتَفَرَّغَ عِنْدَ الْمَساءِ لِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَقِراءَةِ الأَدْعِيَةِ،
وَلكِنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ إِنْجازَ كُلِّ شَيْءٍ تَتَمَنّى إِنْجازَهُ.

وَالأَصْعَبُ مِنْ كُلِّ ذلِكَ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ تُصادِفُ لَيالِيَ الامْتِحانِ، فَما الْعَمَلُ؟

لَطالَما أَخْبَرَها جَدُّها، وَقَرَأَتْ في الْكُتُبِ، وَحَدَّثَتْها الْمُعَلِّمَةُ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.. وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ فَضائِلَ إِحْياءِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِالْعِبادَةِ لا تُحْصى.. فَكَيْفَ يُمْكِنُ لَها أَنْ تُضَيِّعَ تِلْكَ الْفَضائِلَ؟؟ لا يُمْكِنُها أَبَداً، وَلا شَكَّ بِأَنَّ اللّهَ تَعالى سَيُساعِدُها في تَحْقيقِ نَجاحِها، وَلَوْ لَمْ تَدْرُسْ طالَما أَنَّها تُطيعُهُ بِالْعِبادَةِ وَالصَّلاةِ.

هذا ما ظَنَّتْهُ الْفَتاةُ.. وَلكِنْ كانَ لأُمِّها رَأْيٌ آخَرُ.. أُمُّها نَصَحَتْها بِأَنْ تَقومَ بِبَعْضِ أَعْمالِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، لا كُلِّها. ثُمَّ تَتَفَرَّغَ لِدُروسِها!



لا يا أُمّي! كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَ ذلِكَ؟ إِنَّها لَيْلَةٌ واحِدَةٌ في السَّنَةِ كُلِّها.. قالَتْ رَبابُ مُسْتَنْكِرَةً..

فَسَأَلَتْها أُمُّها بِهُدوءٍ: أَتَظُنّينَ يابْنَتي أَنَّ الدَّرْسَ وَالاجْتِهادَ عَمَلٌ بِلا ثَوابٍ عِنْدَ اللّهِ تَعالى؟

قالَتْ رَبابُ: وَهَلْ يُعادِلُ ثَوابُ طَلَبِ الْعِلْمِ ثَوابَ الْعِبادَةِ وَالصَّلاةِ يا أُمّي؟



قالَتْ أُمُّ رَبابَ: بَلْ يَفوقُهُ يا حَبيبَتي، طالَما أَنَّكِ بِطَلَبِ الْعِلْمِ تَعْرِفينَ اللّهَ أَكْثَرَ، وَتَتَعَلَّمينَ الالْتِزامَ بِطاعَتِهِ، وَتفْهَمينَ الْقُرْآنَ الْكَريمَ وَأَحْكامَهُ.. كُلَّما ازْدَدْنا عِلْماً يابْنَتي ازْدَدْنا إيماناً، وَتَنَبَّهْنا إِلى أَنَّ لِهذا الْكَونِ إلهاً وَخالِقاً.. وَلِهؤُلاءِ الْبَشَرِ رَبّاً جَديراً بِالْعِبادَةِ..

أَلَيْسَتْ مَحَبَّةُ اللّهِ هِيَ ما يَدْفَعُكِ إِلى نَيْلِ رِضاهُ؟

هَتَفَتْ رَبابُ: بَلى يا أُمّي.. قالَتْ أُمُّ رَبابَ: إِذاً أَطيعي اللّهَ تَعالى بِأَنْ تَفْتَحي قَلْبَكِ وَعَقْلَكِ لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ فَتَزْدادي قُرْباً مِنْهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى.. هَتَفَتْ رَبابُ: طَبْعاً يا أُمّي سَأَفْعَلُ.

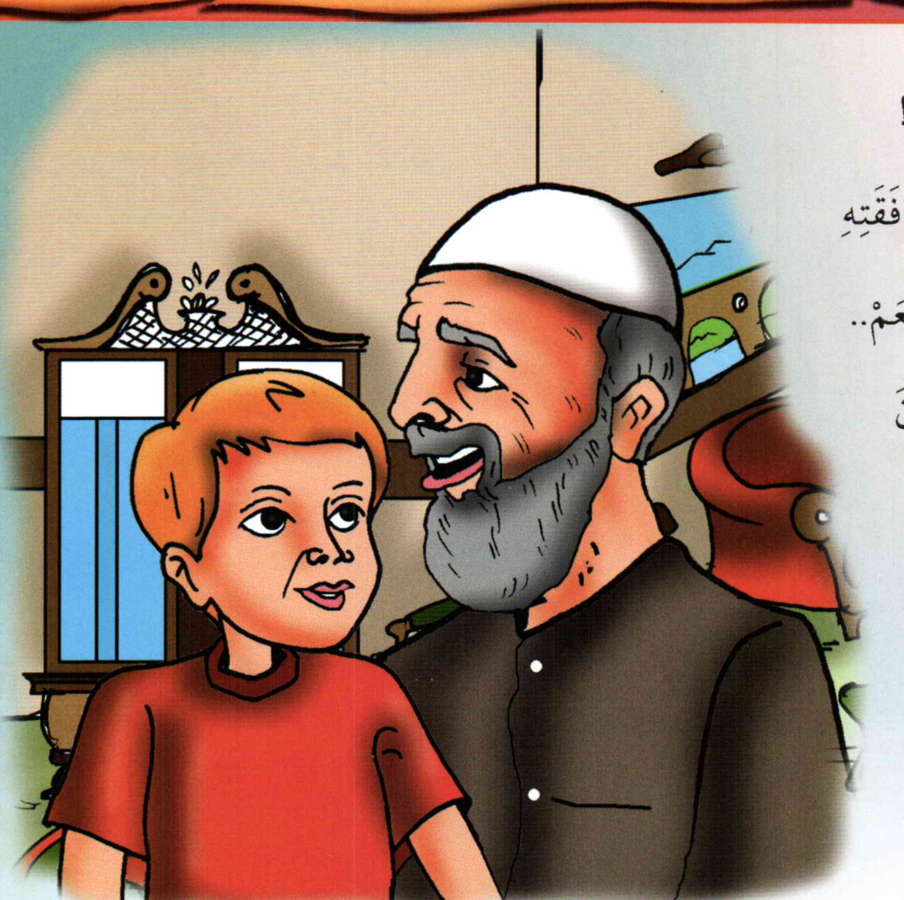
بَعْدَ صَلاةِ الْعِشاءِ، جَلَسَتْ رَبابُ عَلى سَجّادَتِها الصَّغيرَةِ تَتْلو بَعْضَ آياتِ الْقُرْآنِ الْكَريمِ وَالأَدْعِيَةِ وَالزِّياراتِ. ثُمَّ هَبَّتْ إِلى طاوِلَةِ دَرْسِها، تُحَضِّرُ نَفْسَها للامْتِحانِ الْقَريبِ الّذي سَتَكونُ فيهِ بَيْنَ الْمُتَفَوِّقاتِ بِمَشيئَةِ اللّهِ تَعالى.

الْحَديثُ السّابعُ وَالْعِشْرونَ: حُضورُ الْقَلْبِ.

عَنْ أَبي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام قالَ: في التَّوْراةِ مَكْتوبٌ:

يابْنَ آدَمَ ! تَفَرَّغْ لِعِبادَتي أَمْلأْ قَلْبَكَ غِنىً، وَلا أَكِلْكَ إِلى طَلَبِكَ، وَعَلَيَّ أَنْ أَسُدَّ فاقَتَكَ وَأَمْلأَ قَلْبَكَ خَوْفاً مِنّي.

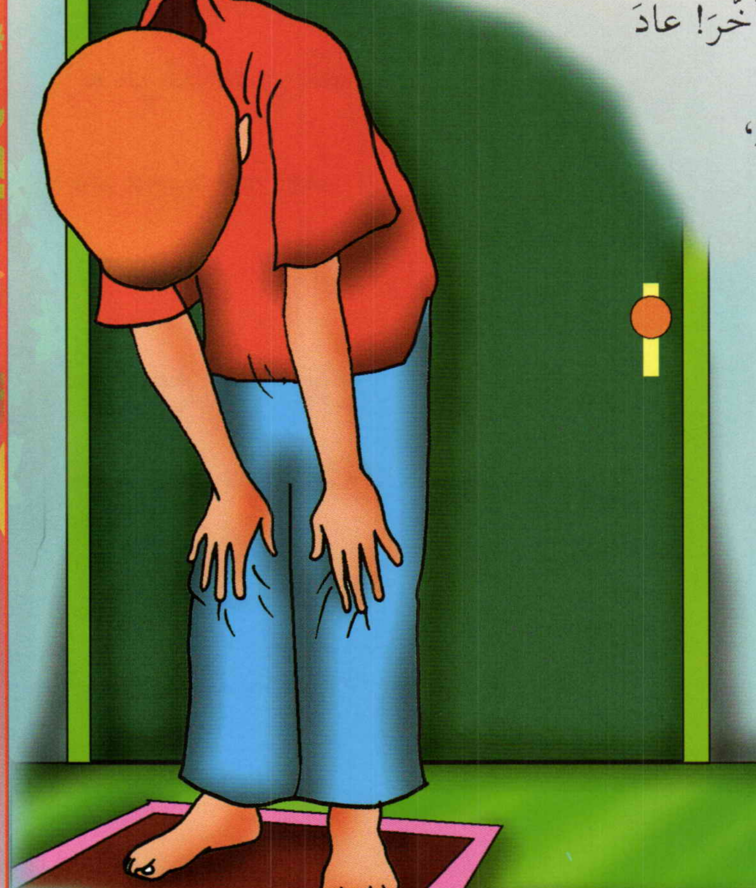
وَإِنْ لا تَفَرَّغْ لِعِبادَتي أَمْلأْ قَلْبَكَ شُغْلاً بِالدُّنْيا، ثُمَّ لا أَسُدَّ فاقَتَكَ وَأَكِلْكَ إِلى طَلَبِكَ.



إِنَّهُ الْوَعْدُ الَّذي انْتَظَرَهُ بِلالٌ طَويلاً!

لَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ جَدُّهُ أَنْ يَتَأَهَّبَ لِمُرافَقَتِهِ إِلى مَعْرِضِ الأَلْعابِ الإِلِكْتْرونِيَّةِ! نَعَمْ.. لَقَدْ نَجَحَ مِثْلَما تَوَقَّعَ الْجَميعُ، وَكانَ جَدُّهُ قَدْ وَعَدَهُ بِلُعْبَةٍ إِلِكْترونِيَّةٍ مِنَ الأَلْعابِ الّتي يَعْشَقُها،لِتَكونَ هَدِيَّةً في يَوْمِ تَسَلُّمِهِ بِطاقَةَ الْعَلاماتِ.

سُرْعانَ ما ارْتَدى بِلالٌ ثِيابَهُ، وَصارَ جاهِزاً.. لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ أَنَّ جَدَّهُ سَيَطْرَحُ عَلَيْهِ السُّؤالَ الْمُعْتادَ: هَلْ صَلَّيْتَ يا وَلَدي؟ ضَرَبَ بِلالٌ يَدَهُ عَلى جَبينِهِ، وَصاحَ: يا إِلهي! لَقَدْ نَسيتُ يا جَدّي.. سَأُصَلّي وَأَعودُ.. انْتَظِرْني.. لِشِدَّةِ فَرَحِ بِلالٍ لَمْ يَنْتَبِهْ إِلى شَيْءٍ آخَرَ! لَقَدْ وَقَفَ عليسَجّادَةِ الصَّلاةِ بِدونِ أَنْ يَتَوَضَّأَ! سَأَلَتْهُ أُمُّهُ،وَهُوَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ لِيُكَبِّرَ: هَلْ تَوَضَّأْتَ يا بِلالُ؟ هَوى بِلالٌ بِيَدَيْهِ وَهَتَفَ: يا إِلهي! لَقَدْ نَسيتُ الْوُضوءَ أَيْضاً.. لَحْظَةً.. بَلْ دَقائِقَ وَأَعودُ!



قالَ ذلِكَ وَهُوَ ينادي جَدَّهُ: انْتَظِرْني يا جَدّي!لَنْ أَتَأَخَّرَ! عادَ بِلالٌ بِسُرْعَةٍ، وَوَقَفَ يُصَلّي.. كانَ بِلالُ يُحَرِّكُ يَدَيْهِ، وَيَرْكَعُ وَيَسْجُدُ مُتَمْتِماً بِالصَّلاةِ دونَ أَنْ يَعِيَ شَيْئاً مِمّا يَقولُ أَوْ يَفْعَلُ. ما كانَ في بالِ الصَّبِيِّ في تِلْكَ اللَّحظاتِ سِوى اللُّعْبَةِ الإِلِكْترونِيَّةِ الّتي وَعَدَهُ بِهاجَدُّهُ.. خِلالَ الصَّلاةِ سَها بِلالٌ كَثيراً، وَما دَرى بَعْدَأَنْ أَنْهى صَلاتَهُ إِنْ كانَ قَدْ صَلّى أَرْبَعَ رَكَعاتٍ

أَمْ خَمْساً. الْمُهِمُّ كانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ هُوَ الذَّهابُ إِلى الْمَعْرِضِ.!أَسْرَعَ بِلالٌ بَعْدَ الصَّلاةِ إِلى جَدِّهِ لِيَنْطَلِقا مَعاً نَحْوَ الْمَعْرِضِ. مِنْ هُناكَ اشْترى لُعْبَةً جَميلَةً، هِيَ عِبارَةٌ عَنْ شاشَةٍ تَعْرِضُ أَلْعاباً رِياضِيَّةً وَفَريقَيْنِ يَتَبارَيانِ.. عَلَيْهِ إِذاً أَنْ يَطْلُبَ مِنْ أَخيهِ أَوِ ابْنِ عَمِّهِ أَنْ يُشارِكَهُ في اللَّعِبِ لِيَكونَ الْفَريقَ الثّانِيَ.. وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ هِيَ الْمُشْكِلَةَ.. إِنَّما كانَتِ الْمُشْكِلَةُ في أَنَّ الْوَلَدَ تَغَيَّرَ كَثيراً بَعْدَ أَنْ دَخَلَتِ اللُّعْبَةُ الْبَيْتَ! لَقَدْصارَ يَقْضي مُعْظَمَ وَقْتِهِ في اللَّعِبِ وَالْعَبَثِ، وَصارَتْ صَلاتُهُ بِلا وَعْيٍ وَلا إِدْراكٍ وَلا تَدَبُّرٍ..أُمُّهُ لاحَظَتْ ذلِكَ، وَحاوَلَتْ تَنْبيهَهُ.. لكِنَّهُ ما كانَ يَفْهَمُ قَصْدَها، بَلْ كانَ يَقولُ لَها: الْمُهِمُّ أَنَّني أُصَلّي يا أُمّي..خِلالَ الصَّلاةِ سَها بِلالٌ كَثيراً، وَما دَرى بَعْدَ أَنْ أَنْهى صَلاتَهُ إِنْ كانَ قَدْ صَلّى أَرْبَعَ رَكَعاتٍ أَمْ خَمْساً، الْمُهِمُّ كانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ هُوَ الذَّهابُ.

حارَتْ أُمُّ بِلالٍ وَهِيَ تَبْحَثُ عَنْ حَلٍّ لِمُشْكِلَةِ وَلَدِها، إِلى أَنِ اهْتَدَتْ أَخيراً إِلى فِكْرَةٍ.

كانَتْ أُمُّ بِلالٍ تَطْهو طَعامَ الْغَداءِ عِنْدَما طَلَبَ مِنْها بِلالٌ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ بِالْخُروجِ مَعَ أَصْحابِهِ بَعْدَ الظَّهيرَةِ لِلَّعِبِ في الْمَلْعَبِ الْقَريبِ.

فَقالَتْ لَهُ: إِذْهَبْ يا وَلَدي.. بَعْدَ الظَّهيرَةِ، ارْتَدى بِلالٌ مَلابِسَهُ، وتَهَيَّأَ لِلْخُروجِ، فاعْتَرَضَتْهُ أُمُّهُ عِنْدَ الْبابِ قائِلَةً: إِلى أَيْنَ يا بِلالُ؟

قالَ بِلالٌ:أَلَمْ أُخْبِرْكِ يا أُمّي؟ أَنا ذاهِبٌ مَعَ رُفَقائي لِنَلْعَبَ.

قالَتْ أُمُّ بِلالٍ: يَبْدو أَنَّني أَذِنْتُ لَكَ دونَ أَنْ أَنْتَبِهَ يا وَلَدي.. اعْذِرْني، فَأَنا أَحْتاجُكَ في الْبَيْتِ مَعَ إِخْوَتِكَ لأَنَّني مُضْطَرَّةٌ لِلْخُروجِ وَشِراءِ بَعْضِ الْحاجِيّاتِ الضَّرورِيَّةِ! كانَ مَوْقِفاً صَعْباً عَلى بِلالٍ.

وَقَبْلَ أَنْ يَتَّصِلَ بِأَصْحابِهِ للاعْتِذارِ مِنْهُمْ، قالَ لأُمِّهِ: أَرْجوكِ يا أُمّي أَنْ تَنْتَبِهي أَكْثَرَ عِنْدَما أَطْلُبُ مِنْكِ الْخُروجَ مَعَ أَصْحابي، كَيْ لا أَتَعَرَّضَ لِمَوْقِفٍ مُشابِهٍ.





قالَتْ أُمُّ بِلالٍ: إِنَّها مُشْكِلَةٌ بِالْفِعْلِ أَنْ نَتَكَلَّمَ دونَ أَنْ تَكونَ قُلوبُنا حاضِرَةً يا بُنَيَّ.

أَلَيْسَ كَذلِكَ.؟.

قالَ بِلالٌ: نَعَمْ يا أُمّي.. لأَنَّ كَلامَنا سَيَكونُ غَيْرَ دَقيقٍ وَنَشْعُرُ بِالإِحْرَاجِ أَمامَ النّاسِ.

قالَتْ أُمُّ بِلالٍ: هذا مَعَ النّاسِ يا بُنَيَّ، فَما قَوْلُكَ لَوْ كانَتْ قُلوبُنا غائِبَةً حينَ نُكَلِّمُ اللّهَ تَعالى؟ فَمَنْ أَعْظَمُ؟ النّاسُ أَمِ اللّهُ؟

فَهِمَ بِلالٌ ما تُريدُ أُمُّهُ أَنْ تَقولَهُ لَهُ.. وَتَذَكَّرَ غِيابَ قَلْبِهِ عَنِ الصَّلاةِ لانْشِغالِهِ بِاللَّهْوِ وَالْعَبَثِ.

لَمْ يَقُلْ شَيْئاً، لكِنَّهُ غَيَّرَ عادَتَهُ في ذلِكَ الْيَوْمِ وَصارَ واعِياً لِكُلِّ كَلِمَةٍ يَقولُها في الصَّلاةِ.

أَمّا أُمُّهُ، فَبَقِيَتْ في الْبَيْتِ لِيَخْرُجَ بِلالٌ مَعَ أَصْحابِهِ بَعْدَ أَنْ تَأَكَّدَتْ مِنْ أَنَّهُ فَهِمَ قَصْدَها.



الْحَديثُ الثّامِنُ وَالْعِشْرونَ: لِقاءُ اللّهِ.

قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام : حَرامٌ عَلى كلِّ نَفْسٍ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيا حَتّى تَعْلَمَ أَنَّها مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ هِيَ أَمْ مِنْ أَهْلِ النّارِ.



عادَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمنِ مِنَ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ الْيَوْمَ. لَقَدْ أَدّى فَريضَةَ الْحَجِّ لِلْمَرَّةِ الثّالِثَةِ وَالْحَمْدُ لِلّهِ. أَحْفادُهُ فَرِحونَ جِدّاً بِعَوْدَتِهِ، وَقَدْ تَحَلَّقوا حَوْلَهُ يُصْغونَ إلى ما يَرْويهِ لَهُمْ عَنْ أَيّامِ الْحَجِّ الْجَميلَةِ. كانَ رَبيعٌ أَكْثَرَهُمْ اهْتِماماً، وَراحَ يَسْأَلُ عَنْ بَعْضِ الأَماكِنِ الّتي قَرَأَ عَنْها أَوْ سَمِعَ، كالْحَجَرِ الأَسْوَدِ،وَالْكَعْبَةِ الشَّريفَةِ، وَالصَّفا، وَالْمَرْوَةِ وَالْمَدينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.. وَغَيْرِها..



رَبيعٌ مُهْتَمٌّ بِكُلِّ ما يَفْعَلُهُ جَدُّهُ مِنْ عِباداتٍ،وَيُريدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ:

جَدُّهُ يُصَلّي صَلاةَاللَّيلِ، وَيَصومُ الأَيّامَ الْبيضَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَهِيَ ثَلاثَةُ أَيّامٍ تَقَعُ في وَسَطِ كُلِّ شَهْرٍ قَمَرِيٍّ. كذلِك فَإِنَّ جَدَّهُ يَدْفَعُ الْخُمْسَ وَالزَّكاةَ، وَيُقيمُ الْوَلائِمَ لِلْمَساكينِ وَالْفُقَراءِ في شَهْرِ رَمَضانَ..

ثُمَّ إنَّهُ يَتَحَلّى بِأَخْلاقٍ عالِيَةٍ، فَهُوَ لا يَكْذِبُ وَلا يَغْضَبُ، وَلا يُزْعِجُ جيرانَهُ، وَيَنْشُرُ الْمَوَدَّةَ في كُلِّ مَكانٍ يَذْهَبُ إِلَيهِ، وَلا يُقَصِّرُ في زِيارَةِ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ كُلَّما سَمَحَتِ الْفُرْصَةُ بِذلِكَ، وَمَعَ ذلِكَ فَإِنَّهُ لا يَكْتَفي بِكُلِّ ذلِكَ، بَلْ يَظَلُّ في عِبادَةٍ دائِمَةٍ وَفي طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللّهِ تَعالى.. قالَ رَبيعٌ لِجَدِّهِ مَرَّةً: أُريدُ أَنْ أَكونَ مِثْلَكَ يا جَدّي!

عَلِّمْني كَيْ يَرْضى عَنّي اللّهُ تَعالى. قالَ الْجَدُّ: كَيْ يَرْضى عَنْكَ اللّهُ تَعالى يا وَلَدي تَعَلَّمْ دائِماً وَاعْمَلْ دائِماً،

فَالْعِلْمُ يَدُلُّكَ عَلى الْعَمَلِ الصّالِحِ لِتَعْمَلَهُ، وَالْعِلْمُ يَدُلُّكَ عَلى الْعَمَلِ السَّيِّئِ فَتَتَجَنَّبُهُ..

سَأَلَ رَبيعٌ: وَكَيْفَ يُمْكِنُني أَنْ أَعْرِفَ إِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ النّارِ يا جَدّي؟

قالَ الْجَدُّ: إِنَّ الْعَقْلَ الّذي أَنْعَمَ اللّهُ تَعالى بِهِ عَلَيْنا مِفْتاحُ الطَّريقِ يا بُنَيَّ لِنَعْرِفَ إِنْ كُنّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ النّارِ. وَمَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ لَنْ يَعْرِفَ، وَلَنْ يَجِدَ الْفُرْصَةَ للاسْتِغْفارِ وَتَصْحيحِ الْمَسيرِ.

هَتَفَ رَبيعٌ:هذا صَحيحٌ يا جَدّي لأَنَّ اللّهَ تَعالى سَيَغْفِرُ ذُنوبَنا إِنْ تُبْنا إِلَيْهِ وَأَصْلَحْنا أَنْفُسَنا.

سُرَّ الْجَدُّ مِنْ مُلاحَظَةِ حَفيدِهِ، وَقالَ: إِذاً تَعَلَّمْ يا بُنَيَّ! تَعَلَّمْ..



قالَ رَسولُ اللّهِ (صلى الله عليه وآله) لأَميرِ الْمُؤْمِنينَ (عليه السلام): يا عَلِيُّ أُوصيكَ في نَفْسِكَ خِصالٍ فَاحْفَظْها عَنّي.. ثُمَّ قالَ: اللّهُمَّ أَعِنْهُ!

أَمّا الأُولى فَالصِّدْقُ، وَلا يَخْرُجَنَّ مِنْ فيكَ كِذْبَةٌ أَبَداً.

وَالثّانِيَةُ الْوَرَعُ، وَلا تَجْتَرِئُ عَلى خِيانَةٍ أَبَداً.

وَالثّالِثَةُ الْخَوْفُ مِنَ اللّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ كَأَنَّكَ تَراهُ.

والرّابِعَةُ كَثْرَةُ الْبُكاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ تَعالى يُبْنى لَكَ بِكُلِّ دَمْعَةٍ أَلْفُ بَيْتٍ في الْجَنَّةِ.

وَالْخامِسَةُ بَذْلُكَ مالَكَ وَدَمَكَ دونَ دينِكَ.

وَالسّادِسَةُ الأَخْذُ بِسُنَّتي في صَلاتي وَصَوْمي وَصَدَقَتي، أَمّا الصَّلاةُ فَالْخَمْسونَ رَكْعَةً، وَأَمّا الصِّيامُ فَثَلاثَةُ أَيّامٍ في الشَّهْرِ: الْخَميسُ في أَوَّلِهِ، وَالأَرْبِعاءُ في وَسَطِهِ وَالْخَميسُ في آخِرِهِ، وَأَمّا الصَّدَقَةُ فَجُهْدُكَ حَتّى تَقولَ: قَدْ أَسْرَفْتُ، وَلَمْ تُسْرِفْ! وَاللَّيْلِ، وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ اللَّيْلِ، وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ اللَّيْلِ. وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ الزَّوالِ، وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ الزَّوالِ، عَلَيْكَ بِصَلاةِ الزَّوالِ. وَعَلَيْكَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ عَلى كُلِّ حالٍ. وَعَلَيْكَ بِرَفْعِ يَدَيْكَ في صَلاتِكَ وَتَقْليبِهِما وَعَلَيْكَ بِالسِّواكِ عِنْدَ كُلِّ وُضوءٍ. وَعَلَيْكَ بِمَحاسِنِ الأَخْلاقِ فَارْكَبْها وَمَساوِئِ الأَخْلاقِ فَاجْتَنِبْها، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَلا تَلومَنَّ إِلاّ نَفْسَكَ.

أَنْهَتْ زَهْراءُ قِراءَةَ الْكِتابِ الّذي اسْتَعارَتْهُ مِنْ مَكْتَبَةِ الْمَدْرَسَةِ.. كانَ كِتاباً شَيِّقاً يَحْمِلُ في صَفَحاتِهِ أَسْراراً كَثيرَةً عَنْ حَياةِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيٍّ عليه السلام، لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُها مِنْ قَبْلُ! مِنْ بَيْنِ هذِهِ الأَسْرارِ قَرَأَتْ زَهْراءُ حَديثاً عَنْ الإِمامِ عَلِيٍّ عليه السلام يُخاطِبُ فيهِ النّاسَ مُتَحَدِّثاً عَنْ قَرابَتِهِ وَقُرْبِهِ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: ... وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعي مِنْ رَسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله بِالْقَرابَةِ الْقَريبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصيصَةِ. وَضَعَني في حِجْرِهِ وَأَنا وَلَدٌ، يَضُمُّني إِلى صَدْرِهِ، وَيُكْنِفُني إِلى فِراشِهِ، وَيُمِسُّني جَسَدَهُ، وَيُشِمُّني عَرَقَهُ...

وَقَدْ قالَ عليه السلام أَيْضاً: ... وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّباعَ الْفَصيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي في كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُني بِالاقْتِداءِ بِهِ، وَلَقَدْ كانَ يُجاوِرُ في كُلِّ سَنَةٍ بِحِراءَ فَأَراهُ وَلا يَراهُ غَيْري..





الْمُلْفِتُ في ما قَرَأَتْهُ زَهْراءُ لَمْ يَكُنْ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ الْخاصَّةَ للإمامِ عَلِيٍّ عليه السلام عِنْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم،

فَهِيَ تَعْرِفُ ما لِلإمامِ عليه السلام مِنْ كَرامَةٍ، مِنْ خِلالِ سيرَةِ حَياةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم الْحافِلَةِ

بِبُطولاتِ عَلِيٍّ عليه السلام وَمَآثِرِه.

إنّما الْمُلْفِتُ هُوَ تِلْكَ التَّرْبِيَةُ الْخاصَّةُ الّتي نَشَأَ عَلَيْها الإمامُ عَلِيٌّ عليه السلام.

وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِمَنْ عاشَ في مَكانٍ قَريبٍ كَهذا مِنْ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالْهُدى صلى الله عليه وآله وسلم،

كَيْفَ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ لا يَكونَ إماماً؟

حَمَلَتْ زَهْراءُ كِتابَها إلى عَمَّتِها صَفِيَّةَ، وَراحَتْ تَقْرَأُ لَها

ما أَعْجَبَها مِنْ ذِكْرٍ لِتَرْبِيَةِ أميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام في

حِضْنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

قالَتْ لَها عَمَّتُها: أَرَأَيْتِ يا زَهْراءُ كَيْفَ يَنْبُتُ

الزَّرْعُ الطّاهِرُ؟ إِنَّها نَبْتَةٌ طاهِرَةٌ

غُرِسَتْ في تُرْبَةٍ طاهِرَةٍ

لِتَشْرَبَ ماءً طاهِراً..

فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ؟



قالَتْ زَهْراءُ: لَقَدْ أَخْبَرَتْنا الآنِسَةُ وَفاءُ أَنَّ الإمامَ عَلِيّاً عليه السلام كانَ أَكْثَرَ النّاسِ شَبَهاً بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وَالآنَ عَرَفْتُ لِماذا.. لَقَدْ كانَ النَّبِيُّ يُعَلِّمُهُ دائِماً، حَتّى صارَ كَبيراً.

قالَتِ الْعَمَّةُ صَفِيَّةُ: بَلْ حَتّى بَعْدَ أَنْ كَبِرَ الإمامُ عَلِيٌّ عليه السلام، فَقَدْ ظَلَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يُحَدِّثُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ الآياتِ الْكَريمَةَ، وَيُعَلِّمُهُ في كُلِّ يَوْمٍ.

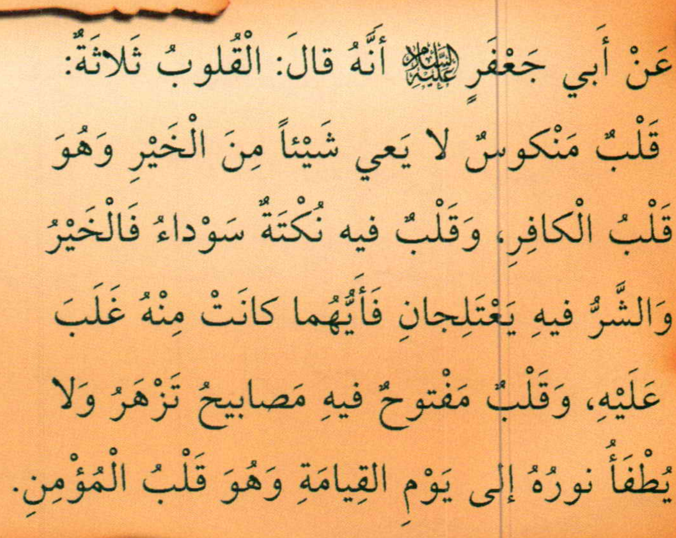
أَمّا الإمامُ عليه السلام فَكانَ قادِراً عَلى أَنْ يَنْهَلَ مِنَ الْعُلومِ النَّبَوِيَّةِ ما لا يَقْدِرُ غَيْرُهُ عَلى اسْتيعابِهِ وَحِفْظِهِ.

هَتَفَتْ زَهْراءُ: نَعَمْ يا عَمَّتي.. لَقَدْ أَوْصى النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْخِلافَةِ لِلإمامِ عَلِيٍّ عليه السلام لأَجْلِ ذلِكَ، وَمَنْ كانَ أَحَقَّ مِنْهُ فِي أَنْ يَكونَ خَليفَةً وَأَميراً لِلْمُؤْمِنينَ؟

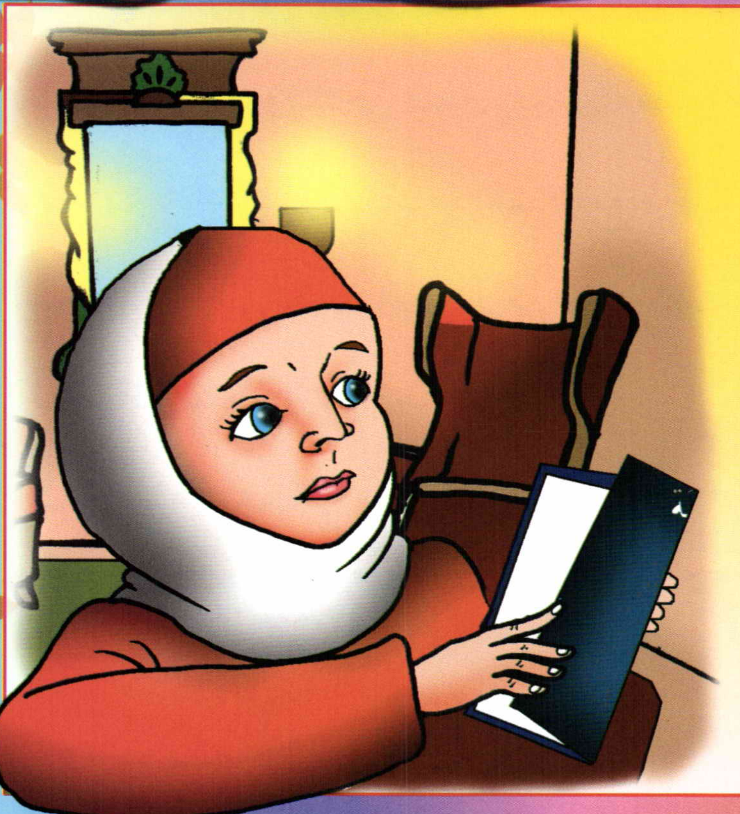
أَجابَتِ الْعَمَّةُ صَفِيَّةُ:لا أَحَدَ أَبَداً يا عَزيزَتي..

الْحَمْدُ لِلّهِ أَنَّنا عَليوِلايَةِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيٍّ عليه السلام وَآلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

الْحَديثُ الثَّلاثون: أقْسامُ القُلوبِ.

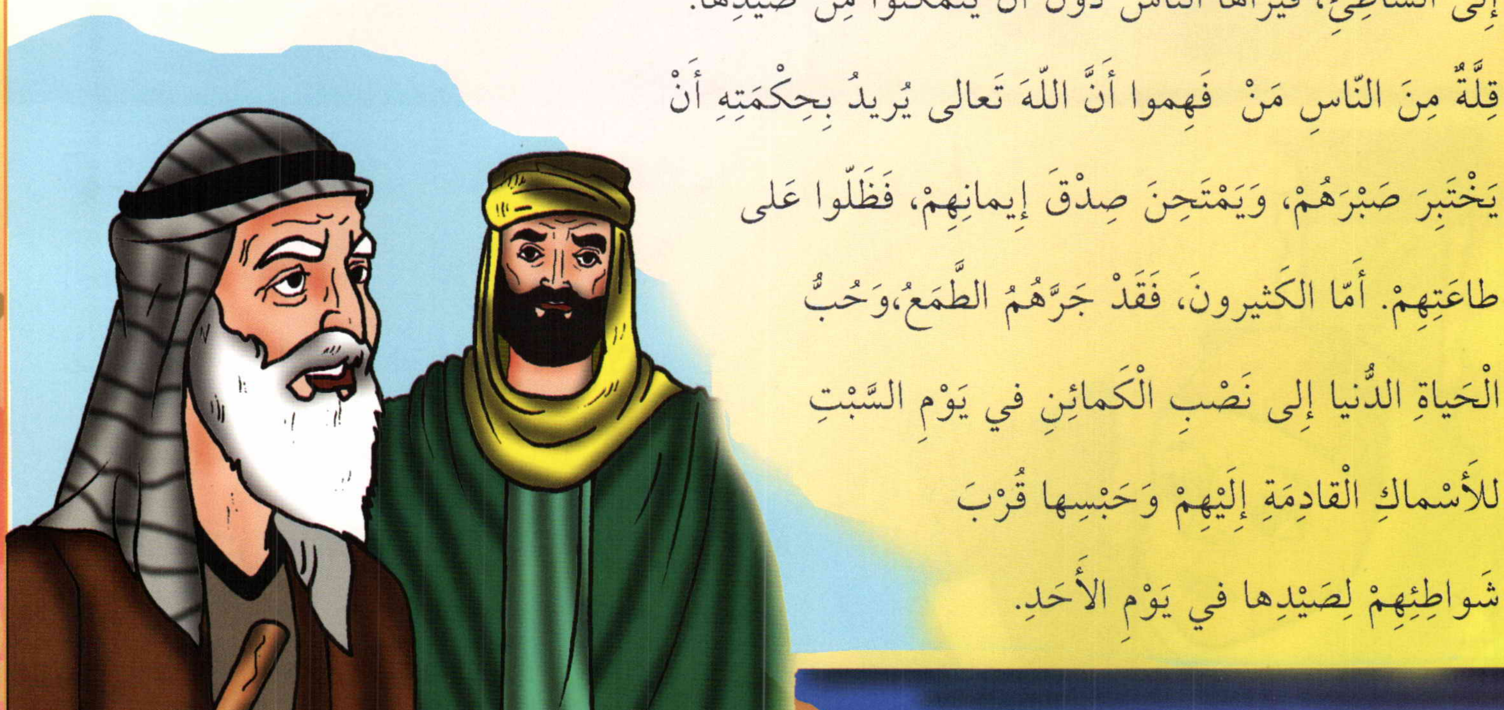


عَنْ أَبي جَعْفرٍ عليه السلام أَنَّهُ قالَ: الْقُلوبُ ثَلاثَةٌ:
قَلْبٌ مَنْكوسٌ لا يَعي شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ وَهُوَ
قَلْبُ الْكافِرِ، وَقَلْبٌ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ فَالْخَيْرُ
وَالشَّرُّ فيهِ يَعْتَلِجانِ فَأَيُّهُما كانَتْ مِنْهُ غَلَبَ
عَلَيْهِ، وَقَلْبٌ مَفْتوحٌ فيهِ مَصابيحُ تَزْهَرُ وَلا
يُطْفَأُ نورُهُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ وَهُوَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ.



أَنْهَتْ رَمْلَةُ قِراءَةَ الْقِصَّةِ الْجَميلَةِ الّتي أَهْدَتْها
إِلَيْها خالَتُها بُثَيْنَةُ أَمْسِ. لَمْ تَسْتَطِعْ مُغالَبَةَ
نَفْسِها في إِعادَةِ قِراءَةِ الْقِصَّةِ ثانِيَةً، فَالأَحْداثُ
فيها مُشَوِّقَةٌ لِلْغايَةِ وَتَسْتَحِقُّ مِنْها أَنْ تُعيدَ
قِراءَتَها مَرَّتَيْنِ وَأَكْثَرَ. كانَتِ الْقِصَّةُ تَرْوي حِكايَةَ
يَهودِ أَيْلَةَ.. أَيْلَةُ هذهِ قَرْيَةٌ بَحْرِيَّةٌ سَكَنَتْ فيها
جَماعَةٌ مِنَ الْيَهودِ في قَديمِ الزَّمانِ. وَجَعَلوا
الصَّيْدَ مِهْنَتَهُمُ الّتي كانوا يَعْتاشونَ مِنْها.

فِي كُلِّ يَوْمٍ كانوا يَخْرُجونَ إلى الْبَحْرِ لِيَصيدوا، ثُمَّ يَحْمِلوا صَيْدَهُمْ مِنَ الأَسْماكِ الطّازَجَةِ لِيَبيعوهُ في السّوقِ. أَرادَ اللّهُ تَعالى أَنْ يَخْتَبِرَ إيمانَ يَهودِ أَيْلَةَ، فَنَهاهُمْ عَنِ الصَّيْدِ في يَوْمِ السَّبْتِ، وَأَذِنَ لَهُمْ بِهِ في غَيْرِهِ مِنَ الأَيّامِ. في الْبَدْءِ أَطاعَ أَهْلُ أَيْلَةَ أَمْرَ اللّهِ تَعالى، وَفَعلوا ما أَمَرَهُمْ بِهِ.. لكِنَّ الْبَحْرَ ما كانَ يَزْدَهِرُ بِالأَسْماكِ إلاّ في يَوْمِ السَّبْتِ، بَعْدَ أَنْ لاحَظَتِ الأَسْماكُ أَنَّها في هذِهِ الأَيّامِ تَنْعَمُ بِالأَمانِ مِنْ شِباكِ الصَّيّادينَ، فَصارَتْ تَأْتي إِلى البَحْرِ الْقَريبِ حَتّى تَصِلَ إِلى الشّاطِئِ، فَيَراها النّاسُ دونَ أَنْ يَتَمَكَّنوا مِنْ صَيْدِها.



قِلَّةٌ مِنَ النّاسِ مَنْ فَهِموا أَنَّ اللّهَ تَعالى يُريدُ بِحِكْمَتِهِ أَنْ يَخْتَبِرَ صَبْرَهُمْ، وَيَمْتَحِنَ صِدْقَ إيمانِهِمْ، فَظَلّوا عَلى طاعَتِهِمْ. أَمّا الكَثيرونَ، فَقَدْ جَرَّهُمُ الطَّمَعُ، وَحُبُّ الْحَياةِ الدُّنيا إِلى نَصْبِ الْكَمائِنِ في يَوْمِ السَّبْتِ للأَسْماكِ الْقادِمَةِ إِلَيْهِمْ وَحَبْسِها قُرْبَ شَواطِئِهِمْ لِصَيْدِها في يَوْمِ الأَحَدِ.

وانْقَسَمَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ إِلى ثَلاثِ جَماعاتٍ:

الْجَماعَةُ الأولى وَهُمُ الْقَليلونَ لَمْ يَقْبَلوا بِمَعْصِيَةِ اللّهِ، كَما لَمْ يَسْكُتوا عَنِ الْعاصينَ، بَلْ حَذَّروهُمْ مِنَ اسْتِمْرارِهِمْ في الْخَطيئَةِ وَارْتِكابِ الذُّنوبِ، وَمِنَ الْعَذابِ الّذي سَيَحِلُّ بِهِمْ إِنْ لَمْ يَتَوَقَّفوا عَنْ فِعْلِهِمْ، وَلَمْ يَتوبوا. وَلَمْ يَلْبَثوا بَعْدَ أَنْ يَئِسوا مِنَ النّاسِ أَنْ هَجَروا الْقَرْيَةَ إِلى مَكانٍ قَريبٍ مِنْها كَيْ لا يَنالَهُمْ غَضَبُ اللّهِ مَعَ الْكافِرينَ.

الْجَماعَةُ الثّانِيَةُ مِنَ النّاسِ لَمْ يَقْتَرِفوا الْمَعْصِيَةَ، وَلكِنَّهُمْ سَكَتوا عَلى الْعاصينَ، وَلَمْ يَأْمُروهُمْ بِالْمَعْروفِ وَلَمْ يَنْهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَجاهَلوا أَفْعالَهُمْ.

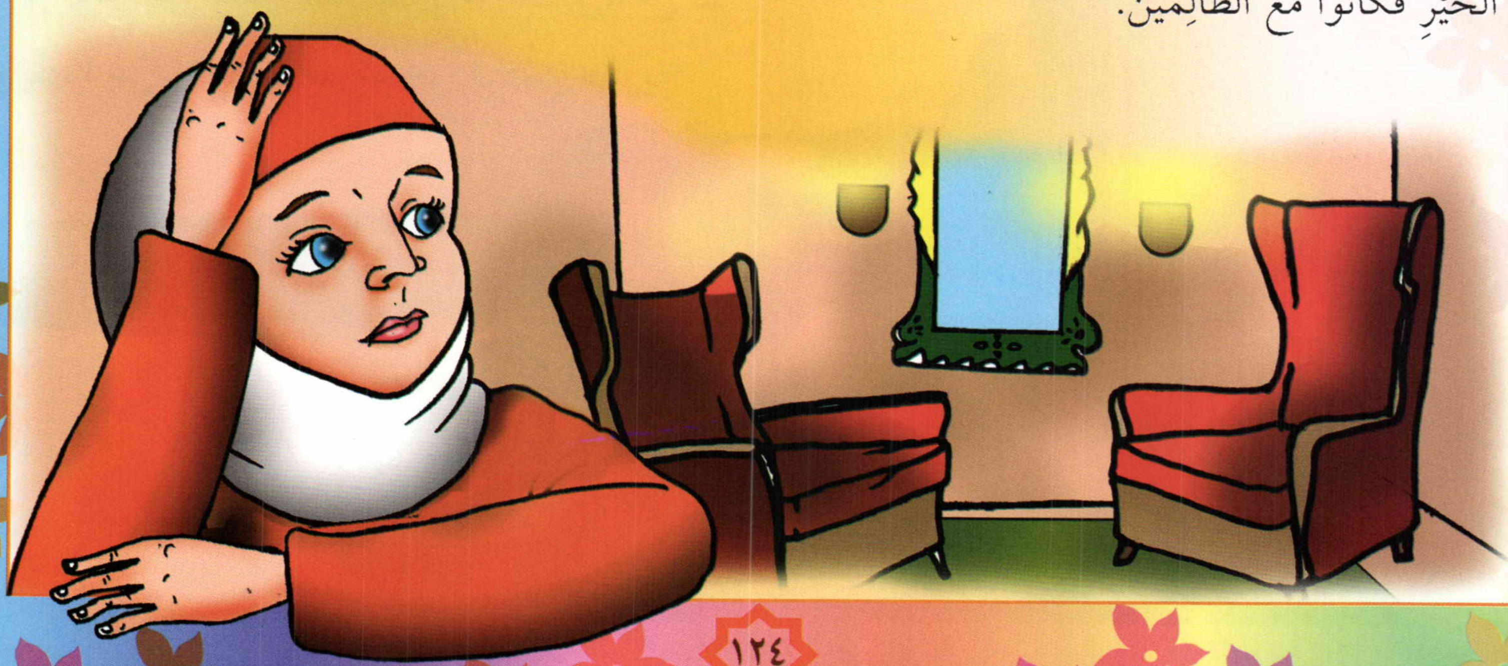
أَمّا الْجَماعَةُ الثّالِثَةُ فَهُمُ الّذينَ اجْتَرَؤوا عَلى الْمَعْصِيَةِ، وَلَمْ يُطيعوا أَمْرَ اللّهِ تَعالى، وَلَمْ يَسْمَعوا مِنَ النّاصِحينَ الْمُؤْمِنينَ.

عِنْدَما طَلَعَ الصَّباحُ، عادَ الْقَوْمُ الْمُؤْمِنونَ إِلى الْقَرْيَةِ، فَوَجَدوا مَنْ عَصَوْا اللّهَ تَعالى مِنَ النّاسِ،وَمَنْ لَمْ يَنْهوْا عَنْ مَعْصِيَتِهِ، قَدْ مُسِخوا قِرَدَةً وَخَنازيرا!

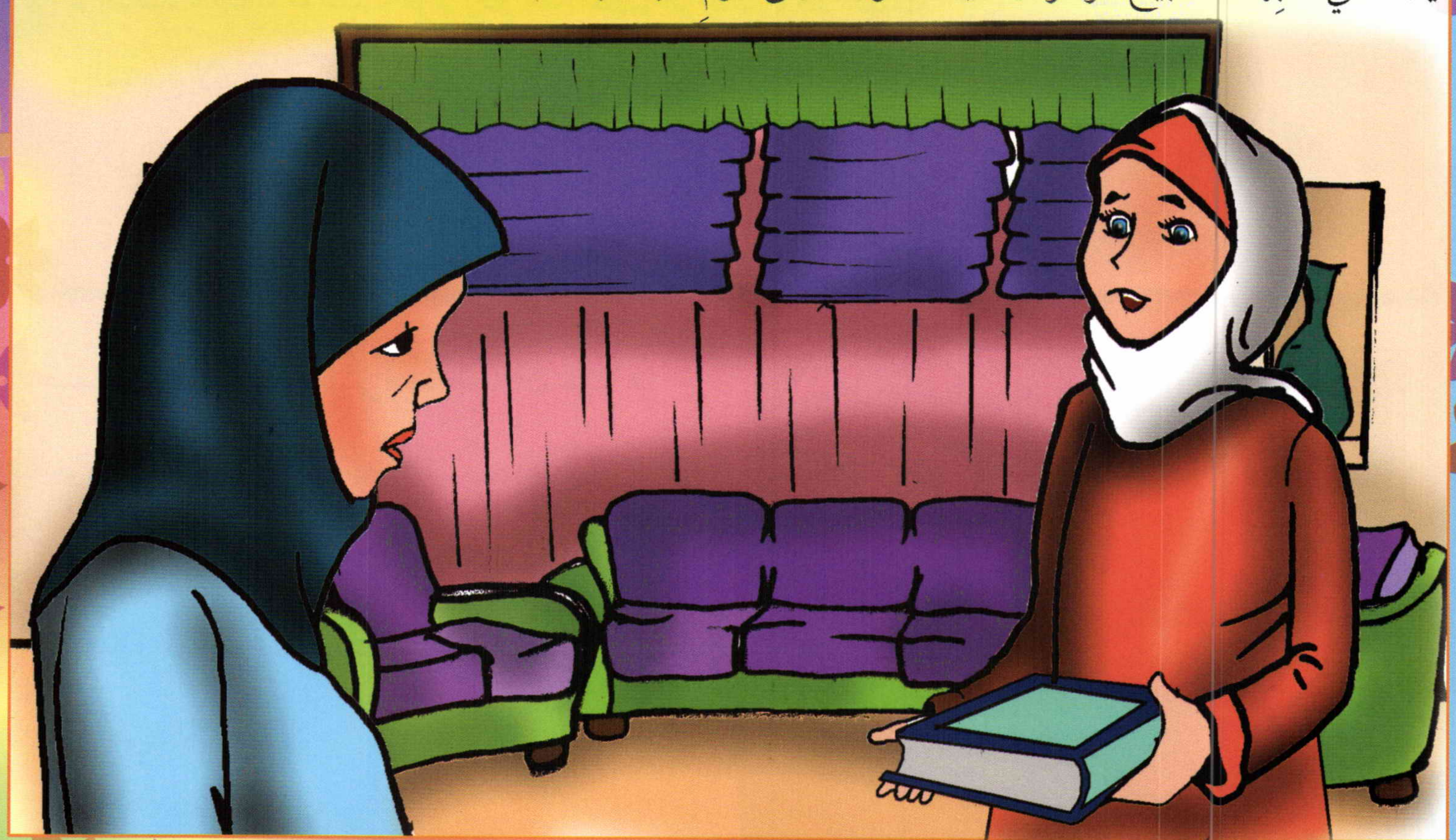


كانَتْ رَمْلَةُ تُريدُ أَنْ تَفْهَمَ سَبَبَ انْقِسامِ الْقَوْمِ،وَاخْتِلافِ مَواقِفِهِمْ.. فَتَذَكَّرَتْ حَديثَ الإِمامِ أَبي جَعْفَرٍ عليه السلام إِذْ قالَ: الْقُلوبُ ثَلاثَةٌ: قَلْبٌ مَنْكوسٌ لا يَعي شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ وَهُوَ قَلْبُ الْكافِرِ، وَقَلْبٌ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ فيهِ يَعْتَلِجانِ فَأَيُّهُما كانَتْ مِنْهُ غَلَبَ عَلَيْهِ، وَقَلْبٌ مَفْتوحٌ فيهِ مَصابيحُ تَزْهَرُ وَلا يُطْفَأُ نورُهُ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ وَهُوَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ. نَعَمْ، لَقَدْ كانَ أُولئِكَ الْعاصُونَ الّذينَ اجْتَرَؤوا عَلى المَعْصِيَةِ، مِنْ أَصْحابِ الْقُلوبِ الْمَنْكوسَةِ الّتي ما كانَتْ تَعي شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ،فَوَقَعَتْ في الإِثْمِ وَاسْتَحَقَّتِ الْعَذابَ.

أَمّا أُولئِكَ الّذينَ رَأَوْا النّاسَ يَرْتَكِبونَ الْمَعاصيَ، فَلَمْ يَأْمُروهُمْ بِالْمَعْروفِ، وَلَمْ يَنْهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَهُمْ مِمَّنْ كانَتْ في قَلْبِ الْواحِدِ مِنْهُمْ نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وَحينَ اعْتَلَجَ الْخَيْرُ مَعَ الشَّرِّ، غَلَبَ الشَّرُّ عَلى الْخَيْرِ فَكانوا مَعَ الظّالِمينَ.



لكِنَّ المُؤْمِنينَ الّذينَ كَرِهوا مَعْصِيَةَ اللّهِ تَعالى، وَظَلّوا يَنْصَحونَ العاصينَ، حَتّى يَئِسوا مِنْهُمْ، إِلى أَنِ اضْطُرّوا إِلى هِجْرَةِ الْقَرْيَةِ، كَيْ لا يَنالَهُمْ غَضَبُ اللّهِ مَعَ الْكافِرينَ، هؤُلاءِ كانوا أَصْحابَ الْقُلوبِ الْمَفْتوحَةِ، الّتي جَعَلَ اللّهُ فيها مَصابيحَ تَزْهَرُ وَلا يُطْفَأُ نورُها إلى يَوْمِ القِيامَةِ. هكَذا إِذاً يَكونُ الْمُؤْمِنُ بِقَلْبِهِ، لِيُؤْمِنَ بَعْدَ ذلِكَ بِفِعْلِهِ، وَيَسْتَحِقَّ ثَوابَ اللّهِ تَعالى. حَمَلَتْ رَمْلَةُ الْقِصَّةَ وانْطَلَقَتْ إِلى خالَتِها بُثَيْنَةَ تَرْوي لَها ما صارَتْ تَعْرِفُهُ عَنْ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَتَدْعُو اللّهَ أَنْ يَجْعَلَفي قَلْبِها مَصابيحَ تَزْهَرُ وَلا يُطْفَأُ نورُها إلى يَوْمِ القِيامَةِ.

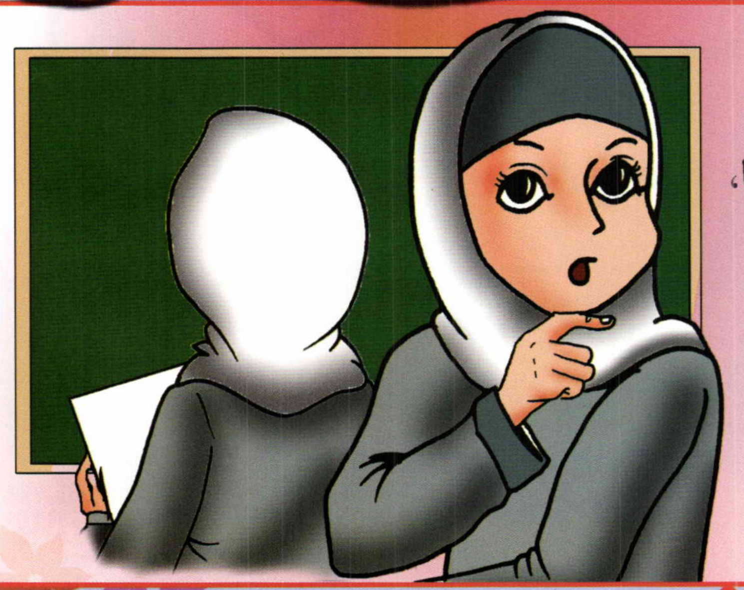


الحديث الحادي والثلاثون: إنّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يُوصَفُ

عَنْ أَبي جَعْفَرٍ (عليه السلام) أَنَّهُ قالَ: إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يوصَفُ، وَكَيْفَ يوصَفُ وَقالَ في كِتابِهِ: (وَما قَدَروا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)؟ فَلا يوصَفُ بِقَدَرٍ إِلاّ كانَ أَعْظَمَ مِنْ ذلِكَ. وَإِنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يوصَفُ، وَكَيْفَ يوصَفُ عَبْدٌ احْتَجَبَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِسَبْعٍ وَجَعَلَ طاعَتَهُ في الأَرْضِ كَطاعَتِهِ في السَّماءِ. فَقالَ: (وَما آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذوهُ، وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهوا.).

وَمَنْ أَطاعَ هذا فَقَدْ أَطاعَني، وَمَنْ عَصاهُ فَقَدْ عَصاني،وَفَوَّضَ إِلَيْهِ. وَإِنّا لا نوصَفُ، وَكَيْفُ يوصَفُ قَوْمٌ رَفَعَ اللّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَهُوَ الشَّكُّ.

وَالْمُؤْمِنُ لا يوصَفُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَلْقى أَخاهُ فَيُصافِحُهُ فَلا يَزالُ اللّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِما وَالذُّنوبُ تَتَحاتُّ عَنْ وُجوهِهِما كَما يَتَحاتُّ الْوَرَقُ عَنِ الشَّجَرِ.

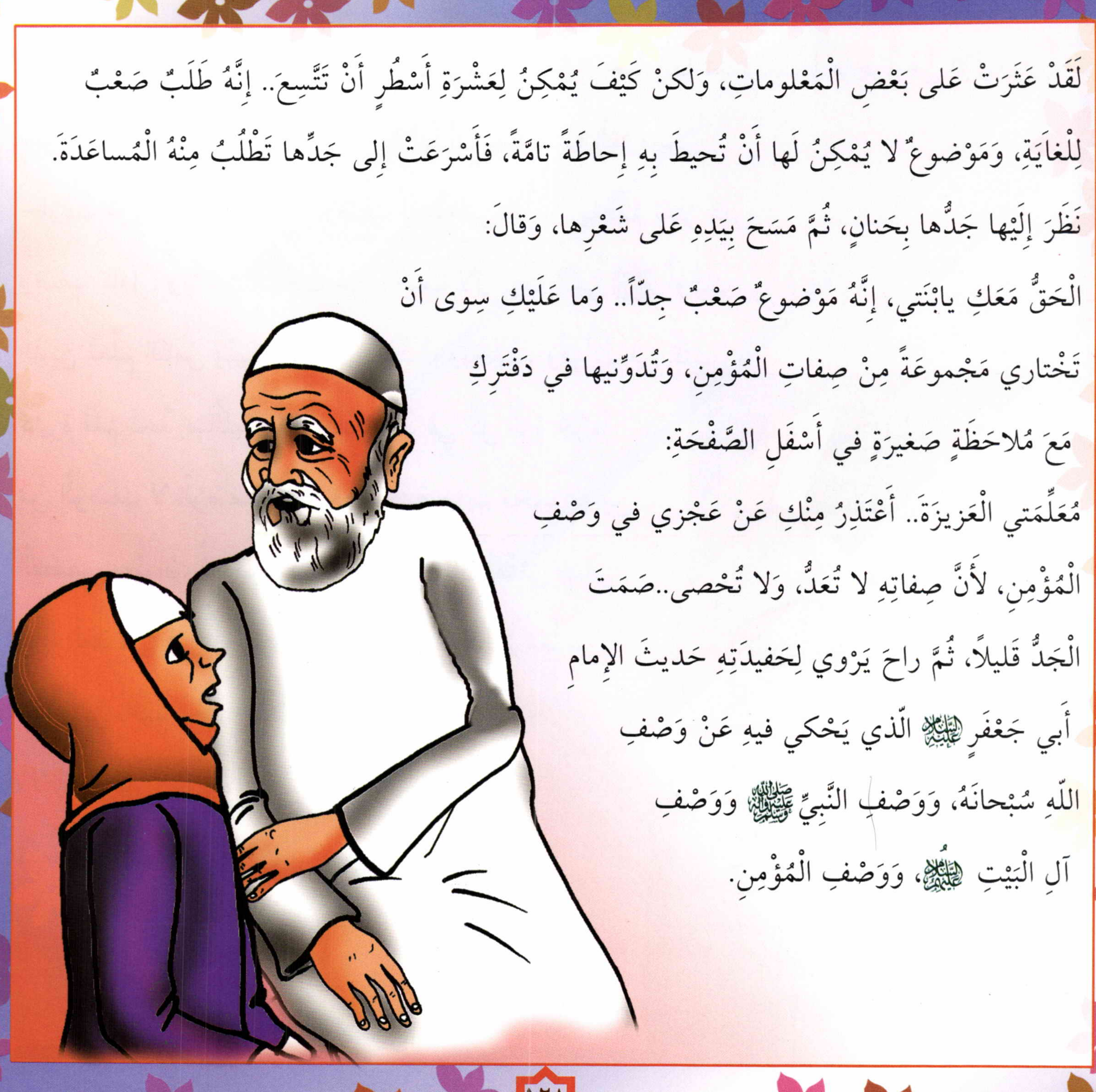


صِفِ الْمُؤْمِنينَ في عَشْرَةِ أَسْطُرٍ.كانَ هذا هُوَ الْمَوْضوعَ الّذي كَلَّفَتْ بِهِ الآنِسَةُ طاهِرَةُ تَلاميذَها، كَيْ يَكْتُبوهُ في يَوْمِ الْعُطْلَةِ. حارَتْ مَرْيَمُ في كِتابَةِ مَوْضوعِها. تَعْرِفُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لائِقٌ في كَلامِهِ،

نَظيفُ اللِّباسِ، مُهَذَّبٌ في تَعامُلِهِ مَعَ الآخَرينَ.. وَ.. وَ.. حَقّاً إِنَّها تَجِدُ نَفْسَها عاجِزَةً عَنِ الإِتْيانِ بِكُلِّ الصِّفاتِ الَّتي يُمْكِنُ لَها مِنْ خِلالِها أَنْ تَصِفَ بِها الْمُؤْمِنينَ.

حاوَلَتْ مَرْيَمُ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ وَصْفٍ لِلْمُؤْمِنينَ في كُتُبِها،فَلَمْ تَعْثُرْ على وَصْفٍ كامِلٍ. وَراحَتْ تَبْحَثُ عَنْ وَصْفٍ لآلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ أُولئِكَ الّذينَ تَعَلَّمَ النّاسُ مِنْهُمُ الإِيمانَ. بَحَثَتْ وَبَحَثَتْ، وَقَرَأَتْ في كُتُبٍ كَثيرَةٍ فَلَمْ تَجِدْ ضالَّتَها. بَلْ كانَتْ تَجِدُ في كُلِّ مَرَةٍ جُزْءاً مِنَ الْوَصْفِ لا الْوَصْفَ كُلَّهُ. في مَكْتَبَةِ مَرْيَمَ مَجْموعَةٌ مِنَ الْقِصَصِ بِعِنْوانِ: قِصَصِ الأَنْبِياءِ. حاوَلَتْ أَنْ تُفَتِّشَ ضِمْنَ هذِهِ الْقِصَصِ عَنْ وَصْفٍ لِلْمُؤْمِنينَ،فَالأَنْبِياءُ هُمْ مُعَلِّمو الْمُؤْمِنينَ.. فَلَمْ تَجِدْ وَصْفاً كامِلاً، لا لِلأَنْبِياءِ، وَلا لِلْمُؤْمِنينَ. غَريبٌ.. أَكُلُّ هذِهِ الْكُتُبِ لا تَتَّسِعُ لِوَصْفِ الْمُؤْمِنينَ؟!





لَقَدْ عثَرَتْ على بَعْضِ الْمَعْلوماتِ، وَلكنْ كَيْفَ يُمْكِنُ لِعَشْرَةِ أَسْطُرٍ أَنْ تَتَّسِعَ.. إِنَّهُ طَلَبٌ صَعْبٌ لِلْغايَةِ، وَمَوْضوعٌ لا يُمْكِنُ لَها أَنْ تُحيطَ بِهِ إِحاطَةً تامَّةً، فَأَسْرَعَتْ إِلى جَدِّها تَطْلُبُ مِنْهُ الْمُساعَدَةَ.

نَظَرَ إِلَيْها جَدُّها بِحَنانٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِيَدِهِ عَلى شَعْرِها، وَقالَ:

الْحَقُّ مَعَكِ يابْنَتي، إِنَّهُ مَوْضوعٌ صَعْبٌ جِدّاً.. وَما عَلَيْكِ سِوى أَنْ تَخْتاري مَجْموعَةً مِنْ صِفاتِ الْمُؤْمِنِ، وَتُدَوِّنيها في دَفْتَرِكِ مَعَ مُلاحَظَةٍ صَغيرَةٍ في أَسْفَلِ الصَّفْحَةِ:

مُعَلِّمَتي الْعَزيزَةَ.. أَعْتَذِرُ مِنْكِ عَنْ عَجْزي في وَصْفِ الْمُؤْمِنِ، لأَنَّ صِفاتِهِ لا تُعَدُّ، وَلا تُحْصى..صَمَتَ الْجَدُّ قَليلاً، ثُمَّ راحَ يَرْوي لِحَفيدَتِهِ حَديثَ الإِمامِ أَبي جَعْفَرٍ عليه السلام الّذي يَحْكي فيهِ عَنْ وَصْفِ اللّهِ سُبْحانَهُ، وَوَصْفِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَوَصْفِ آلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، وَوَصْفِ الْمُؤْمِنِ.

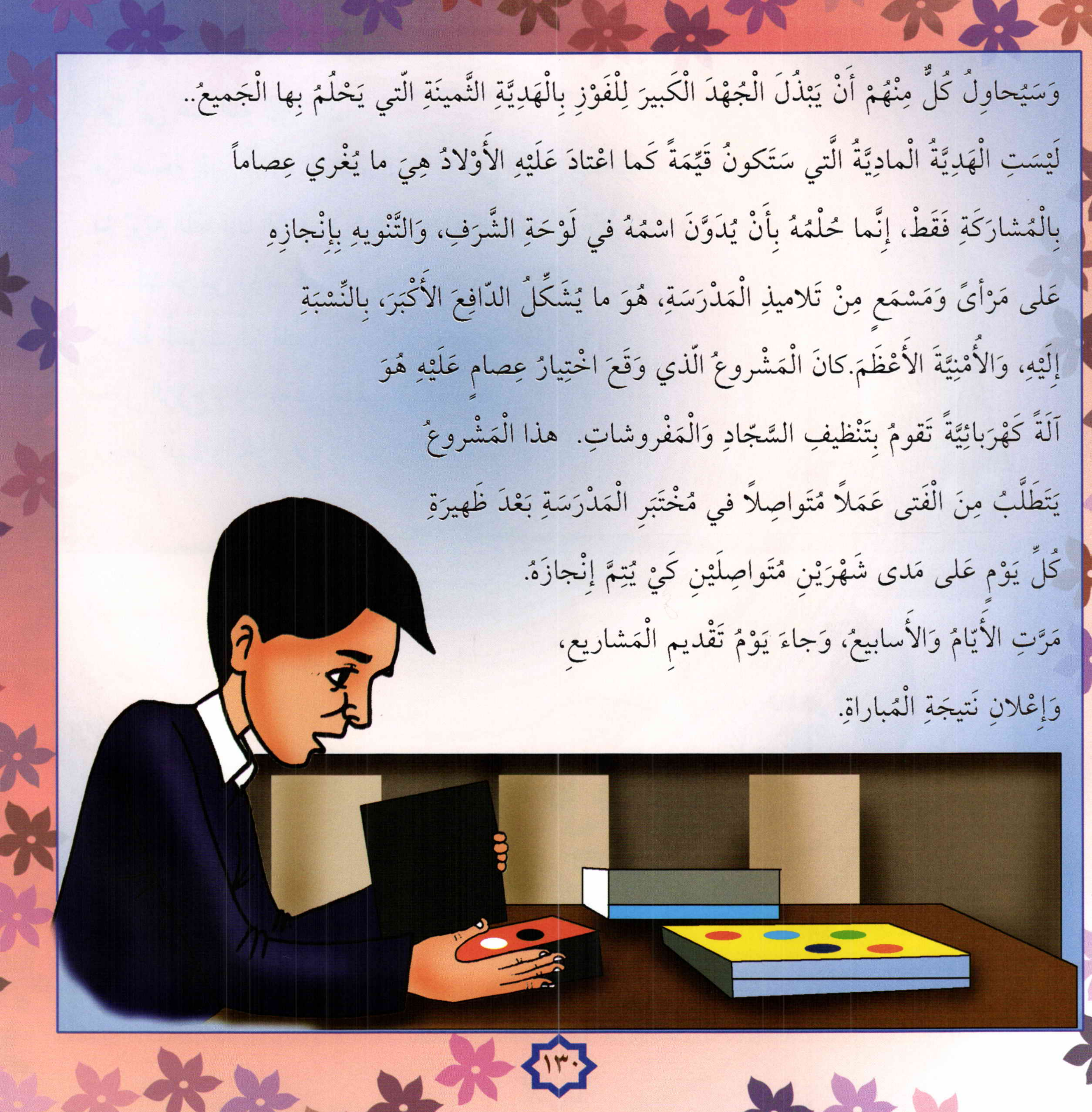
عَنْ أَبي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام قالَ:

مِنْ صِحَّةِ يَقينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ لا يُرْضي النّاسَ بِسَخَطِ اللّهِ، وَلا يَلومَهُمْ عَلى ما لَمْ يُؤْتِهِ اللّهُ، فَإِنَّ الرِّزْقَ لا يَسوقُهُ حِرْصُ حَريصٍ، وَلا يَرُدُّهُ كَراهِيَةُ كارِهٍ. وَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَما يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ، لأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَما يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ. ثُمَّ قالَ عليه السلام: إِنَّ اللّهَ بِعَدْلِهِ وَقِسْطِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالرّاحَةَ في الْيَقينِ وَالرِّضا، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ في الشَّكِّ وَالسَّخَطِ.



إِنّها مُسابَقَةُ العُلومِ الّتي انْتَظَرَها عِصامٌ طَويلاً.

في مُخْتَبَرِ الْعُلومِ سَيَبْدَأُ الْعَمَلَ وَمَعَهُ بَعْضُ الرُّفَقاءِ.. الآنِسَةُ غُفْرانُ سَتُوَزِّعُ عَلى الأَوْلادِ الأَعْمالَ الْمَطْلوبَةَ..



وَسَيُحاوِلُ كُلٌّ مِنْهُمْ أَنْ يَبْذُلَ الْجُهْدَ الْكَبيرَ لِلْفَوْزِ بِالْهَدِيَّةِ الثَّمينَةِ الّتي يَحْلُمُ بِها الْجَميعُ.. لَيْسَتِ الْهَدِيَّةُ الْمادِيَّةُ الَّتي سَتَكونُ قَيِّمَةً كَما اعْتادَ عَلَيْهِ الأَوْلادُ هِيَ ما يُغْري عِصاماً بِالْمُشارَكَةِ فَقَطْ، إِنَّما حُلْمُهُ بِأَنْ يُدَوَّنَ اسْمُهُ في لَوْحَةِ الشَّرَفِ، وَالتَّنْويهِ بِإِنْجازِهِ عَلى مَرْأىً وَمَسْمَعٍ مِنْ تَلاميذِ الْمَدْرَسَةِ، هُوَ ما يُشَكِّلُ الدّافِعَ الأَكْبَرَ، بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وَالأُمْنِيَّةَ الأَعْظَمَ. كانَ الْمَشْروعُ الّذي وَقَعَ اخْتِيارُ عِصامٍ عَلَيْهِ هُوَ آلَةً كَهْرَبائِيَّةً تَقومُ بِتَنْظيفِ السَّجّادِ وَالْمَفْروشاتِ. هذا الْمَشْروعُ يَتَطَلَّبُ مِنَ الْفَتى عَمَلاً مُتَواصِلاً في مُخْتَبَرِ الْمَدْرَسَةِ بَعْدَ ظَهيرَةِ كُلِّ يَوْمٍ عَلى مَدى شَهْرَيْنِ مُتَواصِلَيْنِ كَيْ يُتِمَّ إِنْجازَهُ.

مَرَّتِ الأَيّامُ وَالأَسابيعُ، وَجاءَ يَوْمُ تَقْديمِ الْمَشاريعِ، وَإِعْلانِ نَتيجَةِ الْمُباراةِ.



فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، كانَ أَيْمَنُ صَديقُ عِصامٍ قَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْمُعَلِّمَةِ بِمَشْروعِهِ الّذي عَمِلَ عَلَيْهِ كَما عَمِلَ صَديقُهُ عِصامٌ، ولكِنَّ الْمُفاجَأَةَ غَيْرَ الْمُنْتَظَرَةِ أَسْفَرَتْ عَنْ فَوْزِ أَيْمَنَ في الْمُباراةِ، وَرِبْحِهِ الْجائِزَةَ! وَلكِنْ كَيْفَ قابَلَ عِصامٌ النَّتيجَةَ؟ جَرى عِصامٌ نَحْوَ صَفِّهِ مُغالِباً دُموعَهُ. إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ إِخْفاءِ خَيْبَةِ أَمَلِهِ وَحُزْنِهِ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ. أَسْرَعَتِ الآنِسَةُ غُفْرانُ وَلَحِقَتْ بِهِ وَهِيَ تُحاوِلُ أَنْ تُهَدِّئَ مِنْ أَلَمِهِ، فَأَخْبَرَها أَنَّ ما يُؤْلِمُهُ هُوَ ما بَذَلَهُ مِنْ جُهودٍ، وَما لَحِقَ بِهِ مِنْ تَعَبٍ لِتَؤولَ الْجائِزَةُ إِلى سِواهُ! قالَتِ الآنِسَةُ غُفْرانُ: لا عَلَيْكَ يا بُنَيَّ! لَقَدْ بَذَلْتَ جُهْدَكَ كُلَّهُ، وَهذا صَحيحٌ.. لكِنَّ ما تَبَقّى هُوَ بِأَمْرِ اللّهِ تَعالى، وَهُوَ مُقَسِّمُ الأَرْزاقِ الّذي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ.

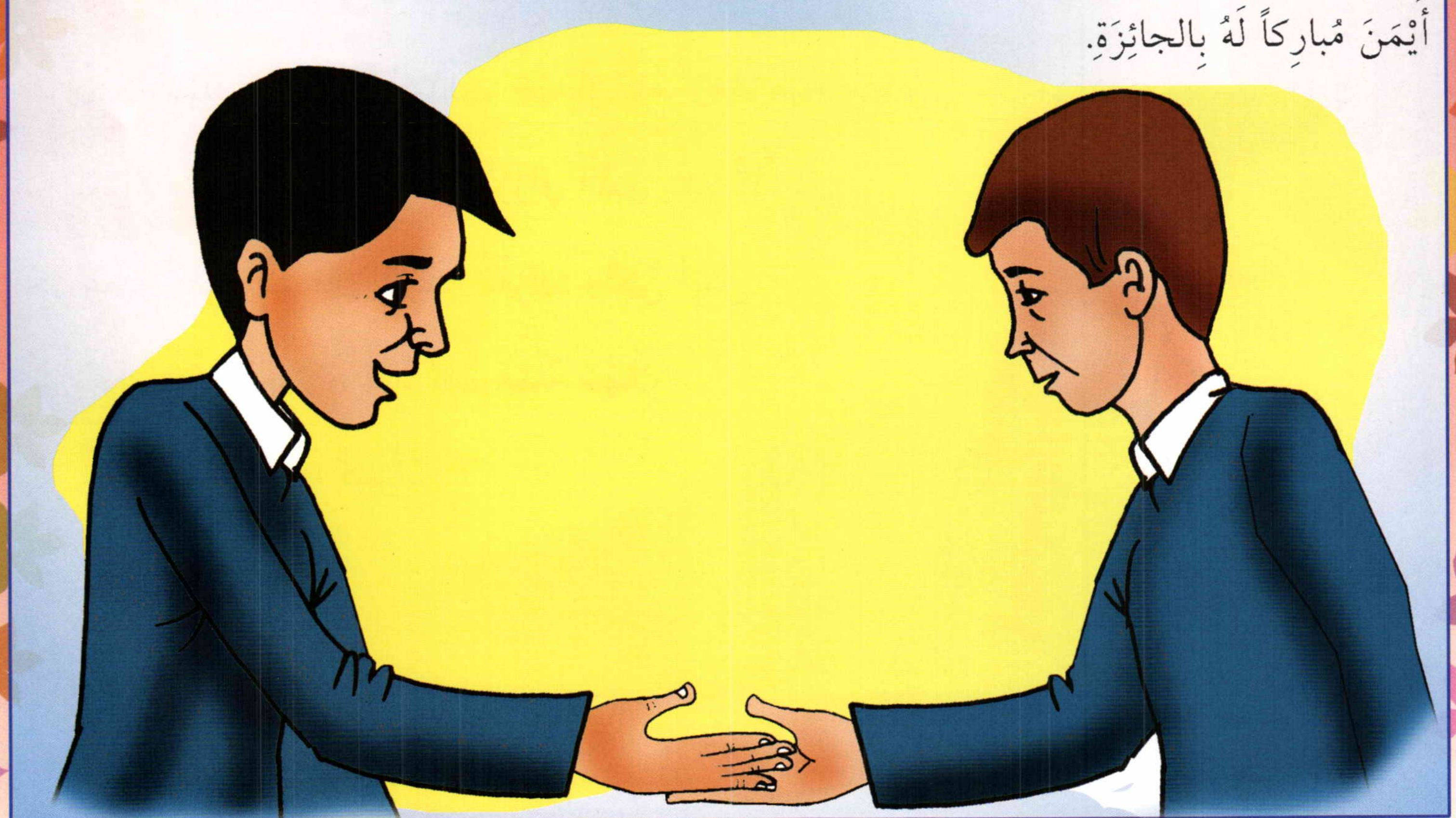
فَكَّرَ عِصامٌ قَليلاً، ثُمَّ قالَ للآنِسَةِ غُفْرانَ: ولكِنَّ أَيْمَنَ لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ الْجائِزَةَ، فَقَدْ كانَ عَمَلُهُ سَهْلاً، وَلَمْ يَتَطَلَّبْ مِنْهُ جُهْداً كَبيراً.

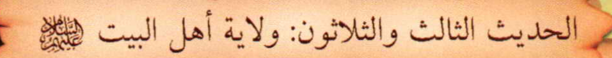
قالَتِ الآنِسَةُ غُفْرانُ: إِنَّ الرِّزْقَ يا وَلَدي يَتْبَعُ مَنْ قَسَمَهُ اللّهُ تَعالى لَهُ أَيْنَما ذَهَبَ، وَلا يُمْكِنُ لَنا أَنْ نَفِرَّ مِنْ رِزْقٍ كَتَبَهُ اللّهُ تَعالى لَنا أَبَداً.

ظَلَّ عِصامٌ حَزيناً، فَقالَتْ لَهُ الآنِسَةُ غُفْرانُ:

أَتَعْلَمُ يا بُنَيَّ أَنَّ يَقينَ الْمَرْءِ وَثِقَتَهُ بِاللّهِ يَمْنَحانِهِ الْقَناعَةَ بِما قَسَمَ.. قُلْ إِنَّ اللّهَ لَمْ يَقْسِمْ لَكَ الْجائِزَةَ، وَادْعُ اللّهَ أَنْ يُبارِكَ بِها لِصَديقِكَ، تَتَخَلَّصْ مِنَ الْحُزْنِ بِالرِّضا بِقِسْمَةِ اللّهِ.

شَعَرَ عِصامٌ بِالرّاحَةِ بَعْدَ ما سَمِعَهُ مِنَ الآنِسَةِ غُفْرانَ، ثُمَّ هَبَّ يُصافِحُ صَديقَهُ أَيْمَنَ مُبارِكاً لَهُ بِالجائِزَةِ.







قالَ الإمامُ أَبو جَعْفَر عليه السلام لِجابِرٍ (رض):

يا جابِرُ! لا تَذْهَبْ بِكَ الْمَذاهِبُ حَسْبَ الرَجُلِ أَنْ يَقولَ: أُحِبُّ عَلِيّاً وَأَتَوَلّاهُ ثُمَّ لا يَكونُ مَعَ ذلِكَ فَعّالاً؟ فَلَوْ قالَ إِنّي أُحِبُّ رَسولَ اللّهِ، فَرَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام ثُمَّ لا يَتْبَعُ سيرَتَهُ، وَلا يَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ ما نَفَعَهُ حُبُّهُ إِيّاهُ شَيْئاً.



الْيَوْمَ هُوَ عيدُ الْغَديرِ..

وَهُوَ الْعيدُ الأَكْبَرُ لَدى الْمُؤْمِنينَ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ طارِقٌ وَحُسامٌ اللَّذانِ يَسْتَعِدّانِ لِلْخُروجِ إِلى الْمَدْرَسَةِ حَيْثُ يَكونُ الاحْتِفالُ.. لا يَكونُ رِضا اللّهِ تَعالى عَلى الْعَبْدِ إِلاّ بِحُبِّ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم



قالَ أبو طارِقٍ لِوَلَدَيْهِ طارِقٍ وَحُسامٍ، وَهُوَ يُحَدِّثُهُما عَنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَنْ ضَرورَةِ التَّزَوُّدِ بِأَنْوارِهِمْ لِلسَّيْرِ في دُروبِ الْهُدى الصَّحيحَةِ والإيمانِ. طارِقٌ وَحُسامٌ يَعْرِفانِ أَنَّ آلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُمْ سَفينَةُ النَّجاةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنينَ، وَيَعْرِفانِ أَنَّ وِلايَتَهُمْ فَرْضٌ مِنْ فُروضِ الإِسْلامِ الْمُنْجِيَةِ مِنَ الْعِقابِ في يَوْمِ الْحِسابِ. وَلِذلِكَ شَعَرا بِالاطْمِئْنانِ وَالسَّكينَةِ وَهُما يُصْغِيانِ إلى حَديثِ أَبيهِما. غَريبٌ ذلِكَ الشَّبَهُ الّذي يَجْمَعُ بَيْنَ الْوَلَدَيْنِ.. لكِنَّهُ شَبَهٌ لا يَتَعَدّى الشَّكْلَ!إنَّهُما تَوْأَمانِ مُتَشابِهانِ بِالطّولِ وَالْجِسْمِ وَالْوَجْهِ وَالْمَلامِحِ، وَلا يُمْكِنُ التَّمْييزُ بَيْنَهُما إلاّ بِصُعوبَةٍ فائِقَةٍ.. وَلكِنْ مِنَ السَّهْلِ التَّمْييزُ بَيْنَهُما عِنْدَما يَتَكَلَّمانِ أَوْ يَمْشِيانِ أَوْ يَقومانِ بِأَيِّ عَمَلٍ..



طارِقٌ هادِئُ الطِّباعِ، لَبِقٌ في الْحَديثِ، يُحْسِنُ الإِصْغاءَ إِلى حَديثِ الآخَرينَ، وَلا يُحِبُّ التَّسَرُّعَ في الْعَمَلِ، وَلا يَغْضَبُ بِسُرْعَةٍ. أَمّا أَخوهُ حُسامٌ فَمُخْتَلِفٌ كُلَّ الاخْتِلافِ.. فَهُوَ سَريعُ الْغَضَبِ،عَصَبِيُّ الْمِزاجِ، لا يُحْسِنُ الإِصْغاءَ، وَكثيراً ما شَكاهُ رُفَقاؤُهُ وَمُعَلِّموهُ إِلى والِدِهِ، فَنَصَحَهُ بِتَغْييرِ سُلوكِهِ، وَلَكِنْ بِلا جَدْوى. بِمَ يَتَّفِقُ الْوَلَدانِ إِذاً؟يَتَّفِقانِ بِإيمانِهِما الْكَبيرِ بِاللّهِ تَعالى، وَرَغْبَتِهِما الدّائِمَةِ بِالْقِيامِ بِالأَعْمالِ الّتي يَرْضى عَنْها. وَإِنْ كانَ حُسامٌ لا يُوَفَّقُ في كُلِّ مَرَّةٍ، فَإِنَّهُ يَسْعى إِلى ذلِكَ، وَيُحاوِلُ الاعْتِذارَ إِنْ أَخْطَأَ مَعَ النّاسِ، وَالاسْتِغْفارَ إِنْ شَعَرَ بِأَنَّهُ قامَ بِعَمَلٍ لا يُرْضي اللّهَ تَعالى.

خَرَجَ الْوَلَدانِ مِنَ الْبَيْتِ بَعْدَ أَنْ وَدَّعا والِدَيْهِما.

في هذا الْيَوْمِ سَيُجَدِّدُ الأَوْلادُ في الصَّفِّ عُهودَ الأُخُوَّةِ فيما بَيْنَهُمْ، وَسَيَتَصافَحونَ في اللّهِ وَيَتآخَوْنَ،وَسَيُنْشِدونَ الأَناشيدَ وَيَتَناوَلونَ الْحَلْوى.



دَخَلَتِ الآنِسَةُ فاطِمَةُ إِلى الصَّفِّ، كانَتِ الآنِسَةُ فاطِمَةُ صائِمَةً، فَلَمْ تُشارِكِ الأَوْلادَ في تَناوُلِ الْحَلْوى.. الصِّيامُ في عيدِ الْغَديرِمُسْتَحَبٌّ يا أَبْنائي.

الأَوْلادُ في الصَّفِّ غَيْرُ مُكَلَّفينَ بِالصِّيامِ بَعْدُ فَمازالوا صِغاراً، وَمَعَ ذلِكَ تَمَنَّوْا أَنْ يَكونوا في الْعامِ الْمُقْبِلِ بَيْنَ الصّائِمينَ إِنْ شاءَ اللّهُ تَعالى.

لَمْ تَمْضِ سِوى لَحَظاتٍ حَتّى سَمِعَتِ الآنِسَةُ فاطِمَةُ في الصَّفِّ صِياحاً. إِنَّهُ الصِّياحُ الْمُعْتادُ، وَهُوَ صادِرٌ عَنْ طاوِلَةٍ مَعْروفَةٍ.. هِيَ طاوِلَةُ حُسامٍ.! يا لَكَ مِنْ مُشاغِبٍ يا حُسامُ! قالَتِ الآنِسَةُ فاطِمَةُ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلى حُسام الّذي تَشاجَرَ مَعَ رَفيقِهِ أَحْمَدَ. وَلِماذا؟

صاحَ حُسامٌ: كُلُّ الْحَقِّ عَلَيْهِ.. لَقَدْ أَخَذَ الْبالوناتِ كُلَّها وَلَمْ يَتْرُكْ لي مِنْها واحِداً.

قالَتِ الآنِسَةُ فاطِمَةُ: وَمَنْ أَحْضَرَ الْبالوناتِ إِلى الصَّفِّ يا حُسامُ؟

أَشارَ حُسامٌ إِلى أَحْمَدَ

وَقالَ: هُوَ مَنْ أَحْضَرَها!





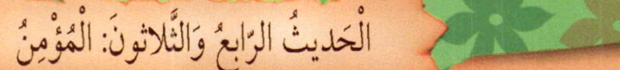
إذاً لا يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْها دونَ إِذْنِهِ..وَأَنْتَ يا أَحْمَدُ! لِمَ لَمْ تَسْمَحْ لَهُ بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْ بالوناتِكَ واحِداً؟ سَأَلَتِ الآنِسَةُ فاطِمَةُ فَأَجابَ أَحْمَدُ: لأَنَّهُ لَمْ يَطْلُبْها بِتَهْذيبٍ يا آنِسَةُ!

لَمْ تَسْتَغْرِبِ الآنِسَةُ فاطِمَةُ ذلِكَ، بَلْ نَظَرَتْ إِلى حُسامٍ بِعَتَبٍ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْها، بَلْ وَجَّهَ نَظَرَهُ إِلى الأَرْضِ،بِأَسَفٍ.. فَهِمَتِ الآنِسَةُ فاطِمَةُ أَنَّ حُساماً في طَريقِهِ إِلى الاعْتِذارِ مِنْ صَديقِهِ، فَسَرَّها نَدَمُهُ عَلى تَصَرُّفِهِ، ثُمَّ قالَتْ لَهُ: يا بُنَيَّ! أُقَدِّرُ أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ تَحْتَفِلَ مَعَ أَصْدِقائِكَ بِعيدِ الْغَديرِ، وَتُجَدِّدَ فيهِ وِلايَتَكَ لآلِ بَيْتِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وَلكِنَّني أَعْرِفُ كَما تَعْرِفُ، أَنَّ وِلايَةَ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام لا تَكونُ إِلاّ بِأَنْ نَتَحَلّى بِأَخْلاقِ الْمُؤْمِنينَ وَسُلوكِهِمْ.إِنَّ آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يَقْبَلونَ لَنا الْوِلايَةَ بِدونِ الْعَمَلِ الصّالِحِ الّذي يُرْضي اللّهَ تَعالى عَنّا.. فَهَلْ تُعاهِدُني الْيَوْمَ عَلى أَنْ تُواليَ آلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم الْوِلايَةَ الصَّحيحَةَ؟

ابْتَسَمَ حُسامٌ وَهَتَفَ: نَعَمْ يا آنِسَةُ.. نَعَمْ!

قالَتِ الآنِسَةُ فاطِمَةُ: إِذاً إِبْدَأْ بِمُصافَحَةِ أَخيكَ أَحْمَدَ.

أَقْبَلَ حُسامٌ يُصافِحُ أَحْمَدَ وَالْبَسْمَةُ تَعلو وَجْهَهُ.



عَنْ أَبي جَعْفَرٍ عليه السلام، قالَ: لَمّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قالَ: يا رَبِّ! ما حالُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَكَ؟ قالَ: يا مُحَمَّدُ! مَنْ أَهانَ لي وَلِيّاً فَقَدْ بارَزَني بِالْمُحارَبَةِ، وَأَنا أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلى نُصْرَةِ أَوْليائي، وَما تَرَدَّدْتُ في شَيْءٍ أَنا فاعِلُهُ كَتَرَدُّدي في وَفاةِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وأَكْرَهُ مَساءَتَهُ. وَإِنَّ مِنْ عِبادِيَ الْمُؤْمِنينَ مَنْ لا يُصْلِحُهُ إلاّ الْغِنى، وَلَوْ صَرَفْتُهُ إِلى غَيْرِ ذلِكَ لَهَلَكَ. وَإِنَّ مِنْ عِبادِيَ الْمُؤْمِنينَ مَنْ لا يُصْلِحُهُ إِلاّ الْفَقْرُ، وَلَوْ صَرَفْتُهُ إِلى غَيْرِ ذلِكَ لَهَلَكَ. وَما يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبادي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنّافِلَةِ حَتّى أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ إِذاً سَمْعَهُ الّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الّذي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسانَهُ الّذي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الّتي يَبْطِشُ بِها، إِنْ دَعاني أَجَبْتُهُ، وَإِنْ سَأَلَني أَعْطَيْتُهُ.

عادَ سالِمٌ مِنَ الْمَدْرَسَةِ واجِماً..

وَجْهُهُ يَبْدو حَزيناً عَلى غَيْرِ الْعادَةِ..

لَمْ تَتْعَبْ أُمُّهُ في الْبَحْثِ عَنْ سَبَبِ وُجومِ ابْنِها..

بِكُلِّ بَساطَةٍ سَأَلَتْهُ: كَيْفَ حالُ رَفيقِكَ سُهَيْلٍ؟

سالِمٌ مُعْتادٌ عَلى أَنْ يَكونَ صادِقاً مَعَ أُمِّهِ، وَقَدِ اخْتَبَرَ كِتْمانَها لِلأَسْرارِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فَوَجَدَها خَيْرَ مَنْ يُمْكِنُ ائْتِمانُهُ عَلَيْها.

قالَ سالِمٌ بِصَوْتٍ حَزينٍ: مِسْكينٌ صَديقي سُهَيْلٌ يا أُمّي! إِنَّهُ قَليلُ الْحَظِّ في الْحَياةِ.. تَصَوَّري أَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْمُشارَكَةِ في الرِّحْلَةِ الْمَدْرَسِيَّةِ الَّتي دَعَتْ إِلَيْها مَدْرَسَتُنا إِلى شاطِئِ الْبَحْرِ، لأَنَّ والِدَهُ لا يَمْلِكُ مِنَ الْمالِ إِلاّ ثَمَنَ الطَّعامِ وَالشَّرابِ..

سَأَلَتْ أُمُّ سالِمٍ وَلَدَها: وَمَنْ أَخْبَرَكَ بِذلِكَ؟

أَجابَ سالِمٌ: لَقَدْ أَخْبَرَني بِذلِكَ صَديقي عَلِيٌّ، فَهُوَ يَسْكُنُ في حَيِّ سُهَيْلٍ، وَقَدْ زارَهُ في بَيْتِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَعَرَفَ بِكُلِّ أَحْوالِهِ.

قالَتْ أُمُّ سالِمٍ: أَلا يُمْكِنُنا أَنْ نُساعِدَهُ يا وَلَدي؟

أَجابَ سالِمٌ: إِنَّهُ يَرْفُضُ كُلَّ مُساعَدَةٍ يا أُمّي! بَلْ إِنَّهُ لا يَعْتَرِفُ بِمُعاناتِهِ، وَيَتَأَلَّمُ إِنْ تَعامَلَ مَعَهُ الرُّفَقاءُ بِشَفَقَةٍ وَعَطْفٍ.

تَعَجَّبَتْ أُمُّ سالِمٍ، وَقالَتْ لِوَلَدِها: إِنَّ ما يَصْبِرُ عَلَيْهِ رَفيقُكَ سَيَكونُ لَهُ عِنْدَ اللّهِ تَعالى أَجْرٌ كَبيرٌ يا وَلَدي.. وَلكِنْ حاوِلْ أَنْ تَتَقَرَّبَ مِنْ صَديقِكَ، وَتُساعِدَهُ في بَعْضِ الأُمورِ الّتي يُمْكِنُ أَنْ يَقْبَلَ فيها الْعَوْنَ وَالْمُساعَدَةَ.

هَزَّ سالِمٌ بِرَأْسِهِ مُوافِقاً، ثُمَّ قالَ لأُمِّهِ وَقَدْ تَذَكَّرَ شَيْئاً: أُمّي.. لَقَدْ تَعَرَّضَ صَديقي سُهَيْلٌ الْيَوْمَ لِإهانَةٍ مِنْ أَحَدِ تَلاميذِ الصَّفِّ السّادِسِ في مَلْعَبِ الْمَدْرَسَةِ بِسَبَبِ حِذائِهِ الْمُهْتَرِئِ.

قالَتْ أُمُّ سالِمٍ مُسْتَنْكِرَةً: وَماذا فَعَلْتَ يا بُنَيَّ؟ هَلْ وَقَفْتَ تَتَفَرَّجُ عَلى إهانَةِ صَديقِكَ؟

أَجابَ سالِمٌ: بِالطَّبعِ لا يا أُمّي! فَقَدْ غَضِبْتُ لأَجْلِهِ كَثيراً، وَحاوَلْتُ أَنْ أَلْكُمَ الْفَتى الّذي أَهانَهُ، إلاّ أَنَّهُ كانَ أَكْبَرَ مِنّي سِنّاً.

قالَتْ أُمُّ سالِمٍ: أَخْطأْتَ في هذا يا وَلَدي.. فَفي الْمَدْرَسَةِ قانونٌ وَنِظامٌ وَمُعَلِّمونَ وَمُرَبّونَ.. كانَ عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَ الْمُعَلِّمَةَ بِما حَدَثَ وَاتْرُكْ لَها أَمْرَ مُعاقَبَةِ الْفاعِلِ، سَواءٌ أَكانَ أَكْبَرَ مِنْكَ سِنّاً أَمْ أَصْغَرَ..

قالَ سالِمٌ: هذا ما فَعَلْتُهُ يا أُمّي، لَقَدْ أَخبَرْتُ الآنِسَةَ صَفاءَ فَعاقَبَتِ الْفَتى الّذي سَخِرَ مِنْ سُهَيْلٍ وَأَهانَهُ.

قالَتْ أُمُّ سالِمٍ: هذا جَيِّدٌ يا بُنَيَّ. إذاً لِمَ تَشْعُرُ بَعْدُ بِالْحُزْنِ؟ أَجابَ سالِمٌ: لأَنَّ صَديقي سُهَيْلاً يَتَعَرَّضُ في كُلِّ يَوْمٍ لِمَواقِفَ مُزْعِجَةٍ لا يُمْكِنُني فيها أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً لأَجْلِهِ.



جَلَسَتْ أُمُّ سالِمٍ إِلى جِوارِ وَلَدِها، ثُمَّ قالَتْ لَهُ: إِسْمَعْ يا وَلَدي! إِنَّ فَقْرَ الْمُؤْمِنِ مِنْ مَشيئَةِ اللّهِ تَعالى، وَهُوَ الّذي يُقَسِّمُ الأَرْزاقَ بيْنَ الْعِبادِ، وَيَمْتَحِنُ الصّابِرينَ مِنْهُمْ.

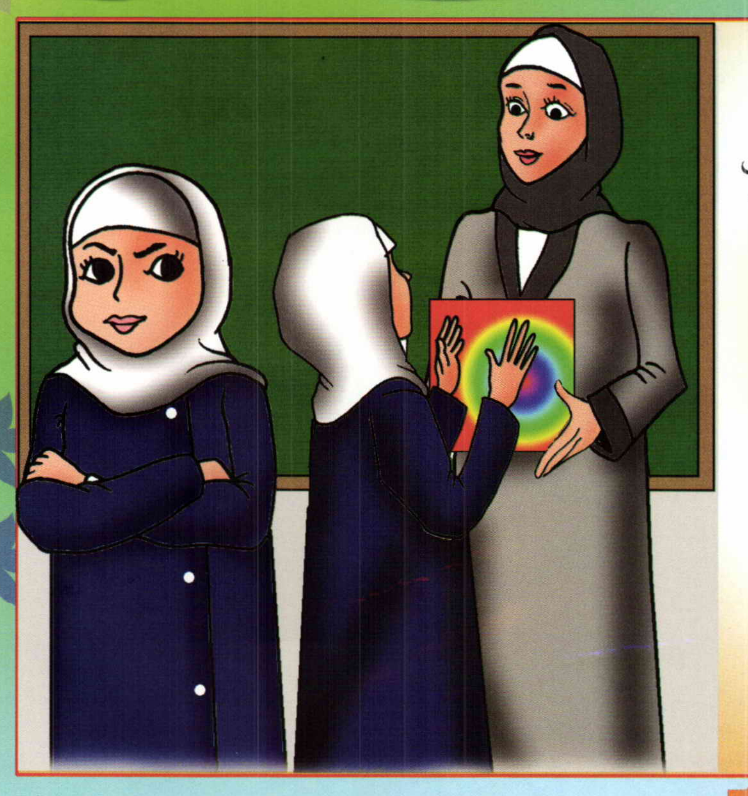
فاللّهُ يابُنَيَّ يَعْرِفُ ما يَصْلُحُ لآخِرَةِ الْعَبْدِ، وَيَخْتارُ لَهُ الأَحْسَنَ وَلَوْ كانَ شاقّاً وَمُتْعِباً وَمُرّاً.

صَمَتَتْ أُمُّ سالِمٍ قَليلاً، ثُمَّ قالَتْ: أَفَلا تَحْفَظُ ما قالَهُ النَّبِيُّ ﷺ لابْنَتِهِ الزَّهْراءِ عليها السلام حينَ رَآها مُتْعَبَةَ الْجِسْمِ شاحِبَةَ الْوَجْهِ؟ لَقَدْ قالَ لَها ﷺ: تَجَرَّعي يا فاطِمَةُ مَرارَةَ الدُّنْيا لِحلاوَةِ الآخِرَةِ.



قالَ أَبو الْحَسَنِ الرِّضا عليه السلام قالَ اللّهُ:

ياابْنَ آدَمَ! بِمَشيئَتي كُنْتَ أَنْتَ الّذي تَشاءُ لِنَفْسِكَ ما تَشاءُ، وَبِقُوَّتي أَدَّيْتَ فَرائِضي، وَبِنِعْمَتي قَويتَ عَلى مَعْصِيَتي. جَعَلْتُكَ سَميعاً بَصيراً قَوِيّاً، ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ، وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، وَذلِكَ أَنّي أَوْلى بِحَسَناتِكَ مِنْكَ،



رَسَمَتْ هُدى ابْتِسامَةً مُصْطَنَعَةً عَلى وَجْهِها كَيْ لا توحي لِصَديقاتِها بِما تَشْعُرُ بِهِ، مِنْ غَضَبٍ وَغَيْرَةٍ، في اللَّحْظَةِ الّتي رَأَتْ فيها الْمُعَلِّمَةَ تُقَدِّمُ جائِزَةً لِصَديقَتِها رَوانَ. هُدى تَغارُ مِنْ رَوانَ بِسَبَبِ تَفَوُّقِها في الرِّياضِيّاتِ، وَتَقَدُّمِها عَلى جَميعِ التِّلْميذاتِ في الصَّفِّ.. وَهِيَ تُفَكِّرُ في طَريقَةٍ يُمْكِنُ لَها مِنْ خِلالِها أَنْ تَسْبِقَها وَتَتَفَوَّقَ عَلَيْها.

طوالَ النَّهارِ ظَلَّتْ هُدى تُفكِّرُ، وَتُفكِّرُ.. وَأَخيراً بَدا لَها أنَّ تَراجُعَ صَديقَتِها أَسْهَلُ مِنْ تَقَدُّمِها..

وَلكِنْ كَيْفَ؟ نَعَمْ إِنَّها أَحْسَنُ فِكْرَةٍ.. وَلَنْ يَخْطُرَ في بالِ أَحَدٍ اكْتِشافُها.

إِنْتَظَرَتْ هُدى أُسْبوعاً كامِلاً لِتُنَفِّذَ خِطَّتَها. كانَتِ الْفَتَياتُ في الْمَلْعَبِ حينَ تَسَلَّلَتْ هُدى إِلى الصَّفِّ خِلْسَةً. ثُمَّ أَغْلَقَتْ خَلْفَها الْبابَ ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْ حَقيبَةِ صَديقَتِها هُدى بِحَذَرٍ، وَقَدِ ازْدادَتْ طَرَقاتُ قَلْبِها حَتّى أَنَّها كادَتْ تَسْمَعُها مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ والاضْطِراب.

كانَتْ هُدى عازِمَةً عَلى أَنْ تَسْتَبْدِلَ الإِجاباتِ الصَّحيحَةَ بِإِجاباتٍ خاطِئَةٍ في كِتابِ صَديقَتِها، كَيْ لا تَتَمَكَّنَ مِنْ حَلِّ تَمارينِ الْحِسابِ بِالشَّكْلِ الصَّحيحِ، وَمِنْ ثُمَّ تَتَراجَعُ في الامْتِحانِ.

وَما أَنْ أَمْسَكَتْ بِالْكِتابِ بَيْنَ يَدَيْها، وَراحَتْ تَمْحو الإِجاباتِ لِتَسْتَبْدِلَها حَتّى حَدَثَ أَمْرٌ غَيْرُ مُتَوَقَّعٍ: لَقَدْ دَخَلَتِ الآنِسَةُ سَناءُ إِلى الصَّفِّ لِسَبَبٍ لا تَعْرِفُهُ، وَأَبْصَرَتْها وَهِيَ تَفْتَحُ حَقيبَةَ صَديقَتِها، وَتَعْبَثُ بِكِتابِها!لَمْ يَنْقَضِ الأَمْرُ عَلى خَيْرٍ، فَإِنَّ هُدى مَدْعُوَّةٌ لِلْمُثولِ بَيْنَ يَدَيْ مُرَبِّيَةِ الصَّفِّ الآنِسَةِ وَعْدَ، وَعَلَيْها أَنْ تَشْرَحَ بِالتَّفْصيلِ ما حَدَثَ..

الْجَيِّدُ في الأَمْرِ كُلِّهِ أَنَّ الآنِسَةَ سَناءَ وَالآنِسَةَ وَعْدَ تَكْتُمانِ الأَسْرارَ، وَسَوْفَ تُصْغِيانِ إِلَيْها، لِفَهْمِ دَوافِعِها.. وَلكِنْ ماذا تَقولُ الْفَتاةُ، وَقَدِ انْغَلَقَتْ في وَجْهِها كُلُّ الأَبْوابِ لِلْخُروجِ مِنْ ذلِكَ الْمَوْقِفِ الْمُخْزي؟ لَمْ تَجِدْ هُدى مُنْقِذاً لَها إِلاّ الصِّدْقَ! فَالصِّدْقُ وَحْدَهُ سَيَمْنَحُها باباً لِلْخُروجِ.. وَقَفَتْ هُدى أَمامَ الْمُعَلِّمَتَيْنِ مُعْتَذِرَةً باكِيَةً وَشَرَحَتْ كُلَّ شَيْءٍ..

قالَتِ الآنِسَةُ وَعْدُ: أَلَمْ تَشْعُري يابْنَتي أَنَّكِ بِعَمَلِكِ هذا اسْتَعْمَلْتِ ما مَنَحَكِ إِيّاهُ اللّهُ تَعالى لِفِعْلِ الْخَيْرِ في المَعْصِيَةِ وَالشَّرِّ؟

لَقَدْ مَنَحَكِ اللّهُ يَدَيْنِ وَعَيْنَيْنِ كَيْ لا تَنْظُري إِلى الآخَرينَ بِحَسَدٍ، وَلا تَلْمَسي أَشْياءَهُمْ بِدونِ إِذْنٍ، وَلا تُؤْذي وَلا تَرْتَكِبي الْحَرامَ.. لَقَدْ أَعْطانا اللّهُ الْحَسَناتِ، فَلِماذا نَفْعَلُ السَّيِّئاتِ؟





شَعَرَتْ هُدى بِالْخَجَلِ وَالأَسَفِ، وَتَرَقْرَقَتْ في عَيْنَيْها الدُّموعُ، فَوَعَدَتِ الْمُعَلِّمَتَيْنِ بِأَنْ تَتوبَ إِلى اللّهِ تَعالى مِمّا فَعَلَتْ، وَتَبْدَأَ عَهْداً جَديداً بِالْعَمَلِ الصّالِحِ الّذي لا يَقْرَبُهُ الشَّيْطانُ، وَلا تَرْتَكِبُ فيهِ الْمَعاصيَ.

وَقالَتْ: بَلى.. إِنَّ اللّهَ تَعالى لا يُريدُ لَنا إِلاّ الْخَيْرَ، وَلِهذا خَلَقَ لَنا أَعْضاءَنا. ولكِنَّنا أَطَعْنا الشَّيْطانَ وَارْتَكَبْنا السَّيِّئاتِ.. أَسْتَغْفِرُ اللّهَ الْعَظيمَ وَأَتوبُ إِلَيْهِ. كانَ ذلِكَ الْيَوْمُ لا يُنْسى في حَياةِ هُدى، لأَنَّها تَغَيَّرَتْ بَعْدَهُ كَثيراً، وَصارَتِ الْبِنْتَ الّتي تَنالُ التَّفَوُّقَ بِجِدِّها وَاجْتِهادِها.

قالَ الإمامُ الصّادِقُ عليه السلام: لَوْ أَنَّ قَوْماً عَبَدوا اللّهَ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَقاموا الصَّلاةَ، وَآتَوْا الزَّكاةَ، وَحَجُّوا الْبَيْتَ، وَصاموا شَهْرَ رَمَضانَ، ثُمَّ قالوا لِشَيْءٍ صَنَعَهُ اللّهُ أَوْ صَنَعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: أَلا صَنَعَ خِلافَ الّذي صَنَعَ؟ أَوْ وَجَدوا ذلِكَ في قُلوبِهِمْ لَكانوا بِذلِكَ مُشْرِكينَ. ثُمَّ تَلا عليه السلام هذِهِ الآيَةَ: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنونَ حَتّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّموا تَسْليماً).

أَجْمَلُ الأَوْقاتِ عِنْدَ سارَةَ هِيَ الأَوْقاتُ الّتي تَقْضيها مَعَ الخالَةِ مُنى، تُصْغي إِلى أَحادِيثِها الشَّيِّقَةِ، وَتَتَعَلَّمُ مِنْها كَثيراً مِنَ الأَشْياءِ الّتي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُها سابِقاً.



أُمُّها فَخورَةٌ بِها، وَكَذلِكَ أَبوها الّذي يُصْغي إِلى ما تَعَلَّمَتْهُ، وَما حَفِظَتْهُ بِاهْتِمامٍ كَبيرٍ، وَرُبَّما طَلَبَ مِنْها أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أَنْ تَسْرُدَ بَعْضَ الْقِصَصِ عَلى إِخْوَتِها لِيَتَعَلَّموا مِمّا تَعَلَّمَتْ.

كانَتِ الخالَةُ مُنى تَحْفَظُ الْكَثيرَ مِنَ قِصَصِ الأَنْبِياءِ والأَئِمَّةِ عليهم السلام أُولئِكَ الّذينَ حَفَلَتْ سِيَرُهُمْ بِما يُعَلِّمُ النّاسَ عَلى مَدى الأَيّامِ وَيُهَذِّبُ سُلوكَهُمْ.

وَها هِيَ الآنَ تَرْوي لابْنَةِ أُخْتِها سارَةَ واحِدَةً مِنْ تِلْكَ الْقِصَصِ الّتي تُعَرِّفُ الْفَتاةَ بِصِفاتِ اللّهِ تَعالى، فَقالَتْ: غالِيَتي الصَّغيرَةَ! اسْمَعي هذِهِ الْقِصَّةَ الّتي حَدَثَتْ في زَمَنِ الإِمامِ الصّادِقِ عليه السلام يَوْمَ كانَ في مِنى، وَاقْتَرَبَ مِنْهُ سائِلٌ يَطْلُبُ الصَّدَقَةَ. كانَ مَعَ الإِمامِ في ذلِكَ الْوَقْتِ بَعْضُ الْعِنَبِ، فَقَدَّمَ لِلرَّجُلِ عُنْقوداً. لَمْ يُعْجِبِ الْعَطاءُ السّائِلَ، فَقالَ للإِمامِ عليه السلام: لَمْ أَكُنْ بِحاجَتِهِ، لَوْ أَعْطَيْتَني مالاً. فَقالَ لَهُ الإِمامُ عليه السلام: وَسَّعَ اللّهُ عَلَيْكَ. وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئاً آخَرَ.

وَفيما الإِمامُ عليه السلام يُكْمِلُ سَيْرَهُ، صادَفَهُ سائِلٌ آخَرُ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ طالِباً الصَّدَقَةَ، فَأَعْطاهُ الإِمامُ عليه السلام ثَلاثَ حَبّاتٍ مِنَ الْعِنَبِ ، فَأَخَذَها السّائِلُ بِرِضاً، وَقالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمينَ الّذي رَزَقَني.

فَقالَ الإِمامُ (عليه السلام): مَكانَكَ! وَأَعْطاهُ كَفَّيْنِ مِنَ الْعِنَبِ. فَأَخَذَهُما السّائِلُ وَشَكَرَ اللّهَ تَعالى مَرَّةً ثانِيَةً.

فَقالَ لَهُ الإِمامُ (عليه السلام): مَكانَكَ! وَقالَ لِغُلامِهِ: كَمْ لَدَيْكَ مِنَ الْمالِ؟ فَقَدَّمَ الْغُلامُ ما مَعَهُ مِنَ الْمالِ إِلى الإِمامِ (عليه السلام)، فَأَعْطاهُ لِلسّائِلِ، وَكانَ حَوالَيْ عِشْرينَ دِرْهَماً.

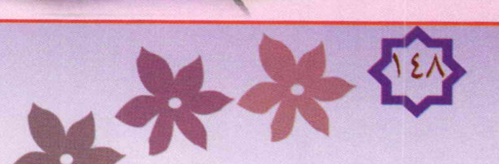
أَخَذَ السّائِلُ الْمالَ مِنَ الإِمامِ، وَقالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمينَ! هذا مِنْكَ وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ!

فَقالَ الإِمامُ (عليه السلام): مَكانَكَ! ثُمَّ أَحْضَرَ ثَوْباً وَأَعْطاهُ إِيّاهُ، وَقالَ: إِلْبَسْهُ!

لَبِسَ السّائِلُ الثَّوْبَ بِفَرَحٍ وَرِضاً، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلى الإِمامِ (عليه السلام) بِقَوْلِهِ: يا عَبْدَ اللّهِ! جَزاكَ اللّهُ خَيْرَالْجَزاءِ. ثُمَّ انْصَرَفَ. كانَ أَحَدُ الْمُؤْمِنينَ حاضِراً في ذلِكَ الْوَقْتِ، وشاهَدَ وَسَمِعَ، فَقالَ: ظَنَنْتُ لَوْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلى الإِمامِ (عليه السلام)،وَحَمِدَ اللّهَ فَقَطْ لَواصَلَ الإِمامُ (عليه السلام) لَهُ الْعَطاءَ.



كانَتْ سارَةُ تُصْغي إِلى الْقِصَّةِ بِانْتِباهٍ، لأَنَّ في أَحْداثِها عِبْرَةً يُريدُ مِنْ خِلالِها الإِمامُ (عليه السلام) أَنْ يُعَلِّمَنا إِيّاهَا. راحَتْ تُخْبِرُ خالَتَها بِما فَهِمَتْهُ، وَما تَعَلَّمَتْهُ: إِنَّ الإِمامَ (عليه السلام) يُريدُ لَنا أَنْ نَتَوَكَّلَ على اللّهِ تَعالى في رِزْقِنا،



وَأَنْ لا نُشْرِكَ في الطَّلَبِ غَيْرَهُ، وَلا نُشْرِكَ في الْحَمْدِ سِواهُ. سُرَّتِ الْخالَةُ مُنى مِنْ فَهْمِ بِنْتِ أُخْتِها،

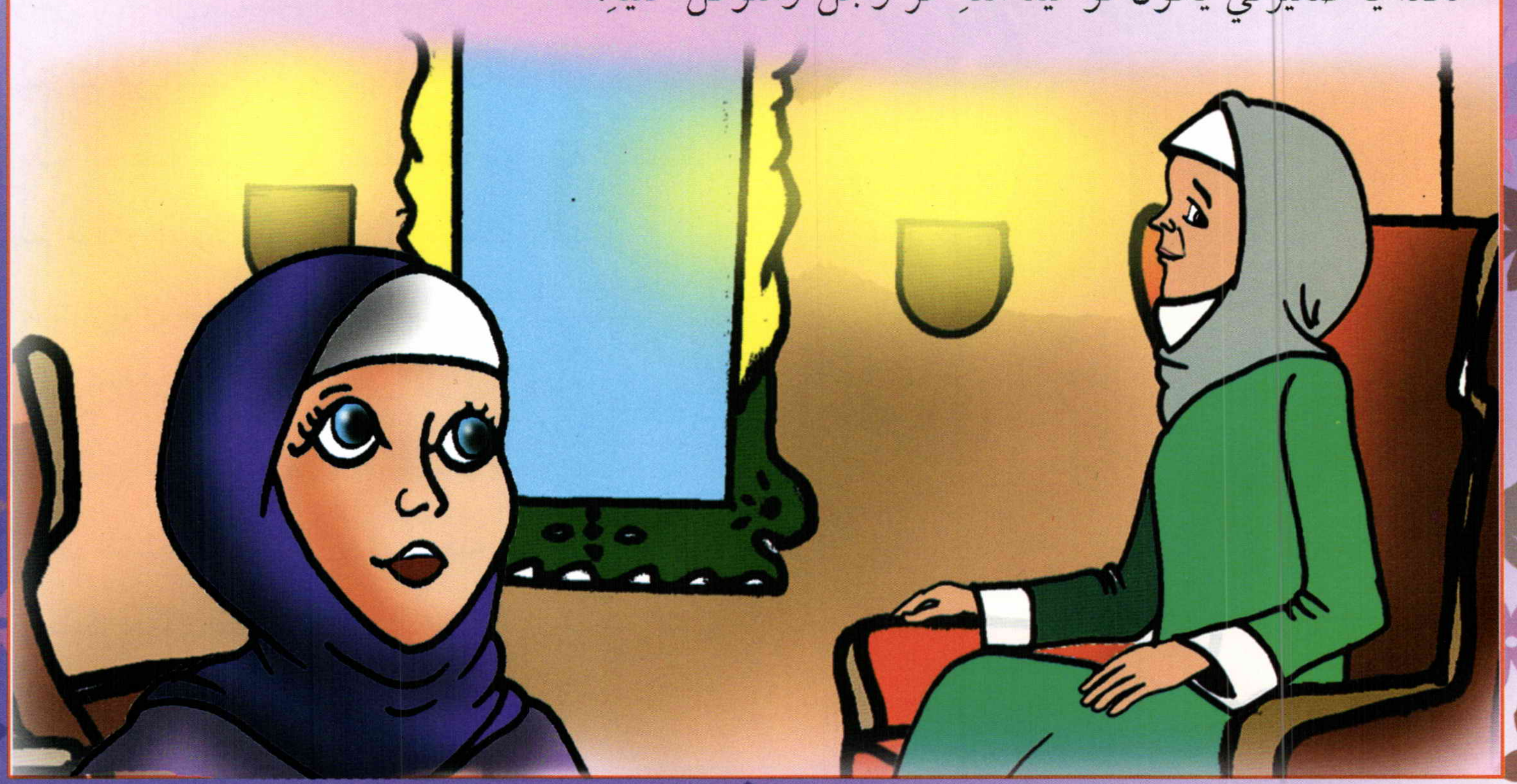
فَقالَتْ: نَعَمْ يا حَبيبَتي.. لَقَدْ سُئِلَ أَبوعَبْدِ اللّهِ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِ اللّهِ تَعالى:

(إِلاّ مَنْ أَتى اللّهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ.)

فَقالَ: الْقَلْبُ السَّليمُ الّذي يَلْقى رَبَّهُ وَلَيْسَ فيهِ أَحَدٌ سِواهُ.

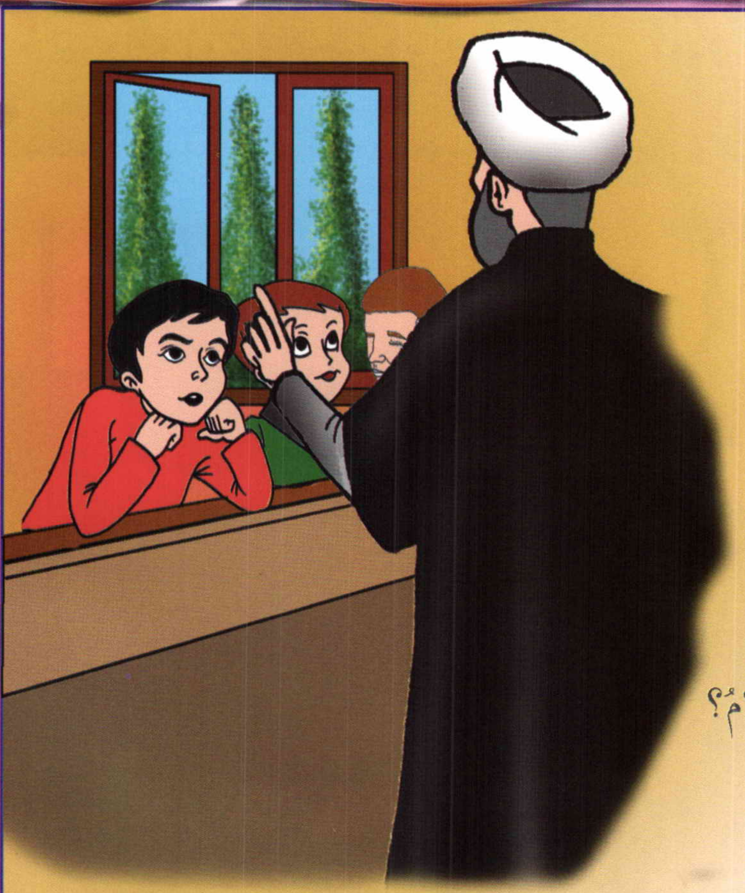
وَقالَ أَيْضاً: لا يَمْحَضُ رَجُلٌ الإِيمانَ بِاللّه (يَجْعَلُهُ خالِصاً) حَتّى يَكونَ اللّهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَبيهِ وَأُمِّهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمالِهِ وَمِنَ النّاسِ كُلِّهِمْ.

هكَذا يا صَغيرَتي يَكونُ تَوْحيدُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ.





قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام: إِعْرِفوا اللّهَ بِاللّهِ، وَالرَّسولَ بِالرِّسالَةِ، وَأُولي الأَمْرِ بِالأَمْرِ بِالْمَعْروفِ وَالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ.



جَلَسَ مُحَمَّدٌ في الصَّفِّ مَعَ رُفَقائِهِ أَعْضاءِ نادي الْقُرْآنِ الْكَريم يَنْتَظِرونَ الشَّيْخَ عامِراً مُعَلِّمَهُمْ.

لَمْ يَتَأَخَّرِ الشَّيْخُ، فَهُوَ كَعادَتِهِ يَدْخُلُ الصَّفَّ لَحْظَةَ بَدْءِ الْحِصَّةِ بِابْتِسامَتِهِ الْمَعْهودَةِ وَوَجْهِهِ الْبَشوشِ.

لَمْ يَحْزَرِ الأَوْلادُ اسْمَ السّورَةِ الْمُبارَكَةِ الّتي سَيَتَدَرَّبونَ عَلى تِلاوَتِها وَتَفْسيرِها الْيَوْمَ.

وَلكِنَّ الأَسْئِلَةَ الّتي طَرَحَها الشَّيْخُ عامِرٌ في بِدايَةِ الْحِصَّةِ أَعْطَتْ خَيْطاً مِنْ خُيوطِ الْمَعْرِفَةِ.

سَأَلَ الشَّيْخُ عامِرٌ: ما الّذي نَفْعَلُهُ عِنْدَما يَحُلُّ الظَّلامُ؟

أَجابَ سامِرٌ: نُضيءُ الْمَصابيحَ في بُيوتِنا.

سَأَلَ الشَّيْخُ: وَإِنِ انْقَطَعَ تَيّارُ الْكَهْرَباءِ. ماذا نَفْعَلُ؟ قالَ بَشيرٌ: نُضيءُ الْقَناديلَ.

سَأَلَ الشَّيْخُ: وَإِنْ نَفَدَ الزَّيْتُ مِنَ الْقِنْديلِ وَانْطَفَأَ؟

ظَلَّ الأَوْلادُ يُجيبونَ عَلى أَسْئِلَةِ الشَّيْخِ عامِرٍ، حَتّى سَأَلَهُمْ في الْخِتامِ: إِنَّ كُلَّ الأَنْوارِ الّتي نُضيئُها يُمْكِنُ أَنْ تَنْطَفِئَ يا أَحِبَّتي. فَهَلْ هُناكَ نورٌ لا يَنْطَفِئُ أَبَداً، دونَ أَنْ نُزَوِّدَهُ بِالزَّيْتِ أَوِ الْكَهْرَباءِ؟

هَتَفَ مُحَمَّدٌ: إِنَّهُ نورُ اللّهِ تَعالى الّذي يُعْطي النّورَ لِلْكَوْنِ كُلِّهِ، دونَ زَيْتٍ وَلا وَقودٍ!.

قالَ الشَّيْخُ عامِرٌ: أَحْسَنْتَ يا مُحَمَّدُ!.. فَاسْتَمِعوا الآنَ إِلى سورَةِ النّورِ الّتي تَحْكي عَنْ نورِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ. قالَ الشَّيْخُ عامِرٌ ذلِكَ، ثُمَّ راحَ يَتْلو بِصَوْتٍ خاشِعٍ آيَةً مِنْ سورَةِ النّورِ تَقولُ:

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمانِ الرَّحيمِ. (اللّهُ نورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ في زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نورٌ عَلى نورٍ يَهْدي اللّهُ لِنورِهِ مَنْ يَشاءُ، وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثالَ لِلنّاسِ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ).

أَنْهى الشَّيْخُ تِلاوَةَ الآيَةِ، ثُمَّ راحَ يُحاوِرُ الأَوْلادَ، فَسَأَلَ: ما صِفاتُ اللّهِ تعالى الّتي بِتْنا نَعْرِفُها يا أَحِبَّتي؟ أَجابَ رَبيعٌ: إِنَّ أَوَّلَها في سورَةِ التَّوْحيدِ يا مَوْلانا، حينَ قالَ اللّهُ تَعالى عَنْ نَفْسِهِ: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمانِ الرَّحيمِ. قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ. اللّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ. صَدَقَ اللّهُ الْعَظيمُ. إِذاً. اللّهُ تَعالى لا شَبيهَ لَهُ وَلا وَلَدَ لَهُ وَلا شَريكَ، وَلا نَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ إِلاّ بِهِ وَحْدَهُ..أَمّا الرّسولُ فَكَيْف نَعْرِفُهُ؟ سَأَلَ الشَّيْخُ عامِرٌ، فَأَجابَ أَحْمَدُ: نَعْرِفُهُ بِما أَوْدَعَهُ اللّهُ تعالى مِنْ أَسْرارِ الرِّسالَةِ وَما أَيَّدَهُ بِهِ مِنْ كَراماتٍ وَمُعْجِزاتٍ. أَحْسَنْتَ! قالَ الشَّيْخُ عامِرٌ، ثُمَّ سَأَلَ: وَكَيْفَ نَعْرِفُ أُولي الأَمْرِ فينا؟

قالَ بَشيرٌ: مِنْ أَخْلاقِهِمْ وَسيرَتِهِمْ وَأَفْعالِهِمُ الَّتي تَدُلُّ عَلَيْهِمْ.

قالَ الشَّيْخُ عامِرٌ: وَأَفْضَلُ الأَخْلاقِ يا أَحِبَّتي الّتي تَدُلُّ على أُولي الأَمْرِ وَهُمُ الأَئِمَّة إِنَّما هِيَ: الأَمْرُ بِالْمَعْروفِ وَالْعَدْلُ وَالإِحْسانُ،هذا ما قَرَأْناهُ وَسَمِعْنا عَنْهُ في سِيَرِ الأَئِمَّةِ الطّاهِرينَ.



الحديث الثامن والثلاثون: إِنَّ اللّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلى صورَتِهِ

سُئِلَ الرِّضا (عليه السلام): يابْنَ رَسولِ اللّهِ!

إِنَّ النّاسَ يَرْوونَ أَنَّ رَسولَ اللّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) قالَ: إِنَّ اللّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلى صورَتِهِ.

فَقالَ (عليه السلام): قاتَلَهُمُ اللّهُ! لَقَدْ حَذَفوا

أَوَّلَ الْحَديثِ! إِنَّ رَسولَ اللّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مَرَّ بِرَجُلَيْنِ يَتَسابّانِ،

فَسَمِعَ أَحَدَهُما يَقولُ لِصاحِبِهِ: قَبَّحَ اللّهُ وَجْهَكَ، وَوَجْهَ

مَنْ يُشْبِهُكَ. فَقالَ (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عَبْدَ اللّهِ! لا تَقُلْ هذا

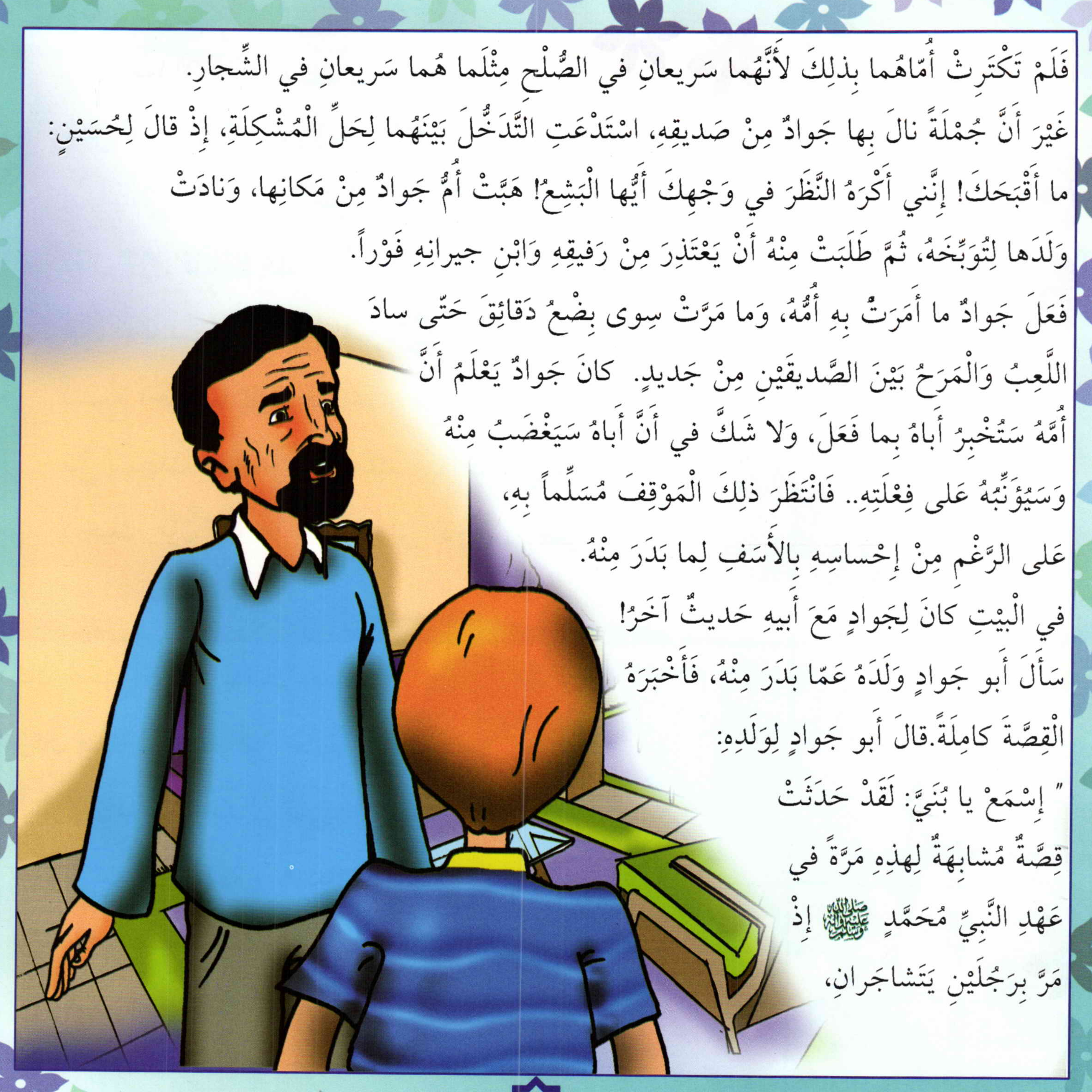
لأَخيكَ، فَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلى صورَتِهِ.



كانَ حُسَيْنٌ وَجَوادٌ يَلْعَبانِ مَعاً.

وَكانَ صِياحُهُما يَعْلو مِنْ حَديقَةِ الْمَنْزِلِ وَأُمّاهُما جالِسَتانِ عَلى الشُّرْفَةِ تَشْرَبانِ الْقَهْوَةَ وَتَسْمَعانِ.

فَجْأَةً عَلا شِجارُ الْوَلَدَيْنِ، وَكانَتْ تِلْكَ عادَتَهُما!..



فَلَمْ تَكْتَرِثْ أُمّاهُما بِذلِكَ لأَنَّهُما سَريعانِ في الصُّلْحِ مِثْلَما هُما سَريعانِ في الشِّجارِ.

غَيْرَ أَنَّ جُمْلَةً نالَ بِها جَوادٌ مِنْ صَديقِهِ، اسْتَدْعَتِ التَّدَخُّلَ بَيْنَهُما لِحَلِّ الْمُشْكِلَةِ، إِذْ قالَ لِحُسَيْنٍ: ما أَقْبَحَكَ! إِنَّني أَكْرَهُ النَّظَرَ في وَجْهِكَ أَيُّها الْبَشِعُ! هَبَّتْ أُمُّ جَوادٌ مِنْ مَكانِها، وَنادَتْ وَلَدَها لِتُوَبِّخَهُ، ثُمَّ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَعْتَذِرَ مِنْ رَفيقِهِ وَابْنِ جيرانِهِ فَوْراً.

فَعَلَ جَوادٌ ما أَمَرَتْ بِهِ أُمُّهُ، وَما مَرَّتْ سِوى بِضْعُ دَقائِقَ حَتّى سادَ اللَّعِبُ وَالْمَرَحُ بَيْنَ الصَّديقَيْنِ مِنْ جَديدٍ. كانَ جَوادٌ يَعْلَمُ أَنَّ أُمَّهُ سَتُخْبِرُ أَباهُ بِما فَعَلَ، وَلا شَكَّ في أَنَّ أَباهُ سَيَغْضَبُ مِنْهُ وَسَيُؤَنِّبُهُ عَلى فِعْلَتِهِ.. فَانْتَظَرَ ذلِكَ الْمَوْقِفَ مُسَلِّماً بِهِ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ إِحْساسِهِ بِالأَسَفِ لِما بَدَرَ مِنْهُ.

في الْبَيْتِ كانَ لِجَوادٍ مَعَ أَبيهِ حَديثٌ آخَرُ!

سَأَلَ أَبو جَوادٍ وَلَدَهُ عَمّا بَدَرَ مِنْهُ، فَأَخْبَرَهُ الْقِصَّةَ كامِلَةً.قالَ أَبو جَوادٍ لِوَلَدِهِ:

" إِسْمَعْ يا بُنَيَّ: لَقَدْ حَدَثَتْ قِصَّةٌ مُشابِهَةٌ لِهذِهِ مَرَّةً في عَهْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم إِذْ مَرَّ بِرَجُلَيْنِ يَتَشاجَرانِ،

فَسَبَّ أَحَدُهُما الآخَرَ، وَقالَ: قَبَّحَ اللّهُ وَجْهَكَ، وَوَجْهَ مَنْ يُشْبِهُكَ. فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: يا عَبْدَ اللّهِ لا تَقُلْ هذا لأَخيكَ! فَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلى صورَتِهِ.

صَمَتَ الأَبُ قَليلاً، ثُمَّ قالَ لِوَلَدِهِ: إِنَّ آدَمَ عليه السلام أَوَّلُ بَشَرٍ خَلَقَهُ اللّهُ تَعالى في أَحْسَنِ تَقْويمٍ، ثُمَّ خَلَقَ الْبَشَرَ كُلَّهُمْ عَلى شَبَهٍ مِنْهُ، فَهَلْ يَجوزُ أَنْ نَسُبَّ صورَةً تُشْبِهُ صُوَرَ الأَنْبِياءِ يا وَلَدي؟

أَدْرَكَ جَوادٌ خَطَأَهُ مِنْ جَديدٍ، فَاعْتَذَرَ مِنْ أَبيهِ وَأُمِّهِ، مِثْلَما اعْتَذَرَ مِنْ صَديقِهِ حُسَيْنٍ.

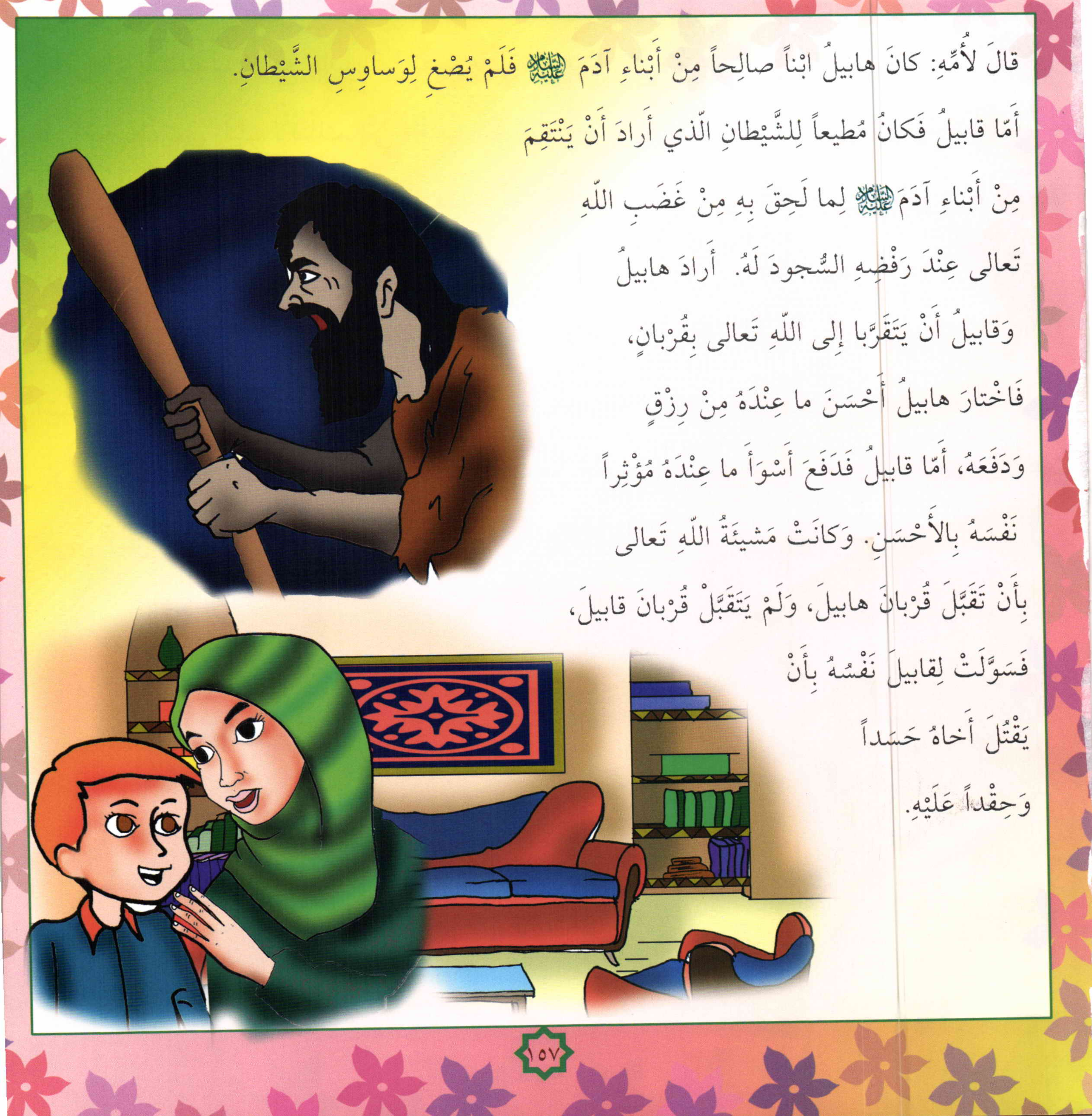


الْحَديثُ التّاسِعُ وَالثَّلاثونَ: الْخَيْرُ

قالَ أَبو عَبْدِ اللّهِ عليه السلام: إِنَّ مِمّا أَوْحى اللّهُ إِلى موسى عليه السلام وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ في التَّوْراةِ: أَنّي أَنا اللّهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنا، خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الْخَيْرَ وَأَجْرَيْتُهُ عَلى يَدَيْ مَنْ أُحِبُّ، فَطوبى لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلى يَدَيْهِ، وَأَنا اللّهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنا، خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الشَّرَّ وَأَجْرَيْتُهُ عَلى يَدَيْ مَنْ أُريدُهُ، فَوَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلى يَدَيْهِ.



ما القِصَّةُ الّتي تَحْمِلُها فِي يَدِكَ يا حَسَنُ؟ سَأَلَتْ أُمُّ حَسَنٍ وَلَدَها الّذي كانَ شَغوفاً بِقِراءَةِ الْقِصَصِ، فَأَجابَها دونَ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ عَنْ قِصَّتِهِ: إِنَّها قِصَّةُ قابيلَ وَهابيلَ يا أُمّي! قالَتْ أُمُّ حَسَنٍ: إِنَّها قِصَّةٌ قَديمَةٌ جِدّاً يا بُنَيَّ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُها في الْقُرْآنِ الْكَريمِ.. إِرْوِها لي حينَ تُنْهي قِراءَتَها. قالَ حَسَنٌ: إِنْ شاءَ اللّهُ يا أُمّي، سَأَفْعَلُ ذلِكَ. مَرَّتْ نِصْفُ ساعَةٍ، حَمَلَ حَسَنٌ قِصَّتَهُ بَعْدَها وَراحَ يَسْرُدُ عَلى أُمِّهِ حِكايَةَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مُنْذُ بَدْءِ الدُّنْيا..

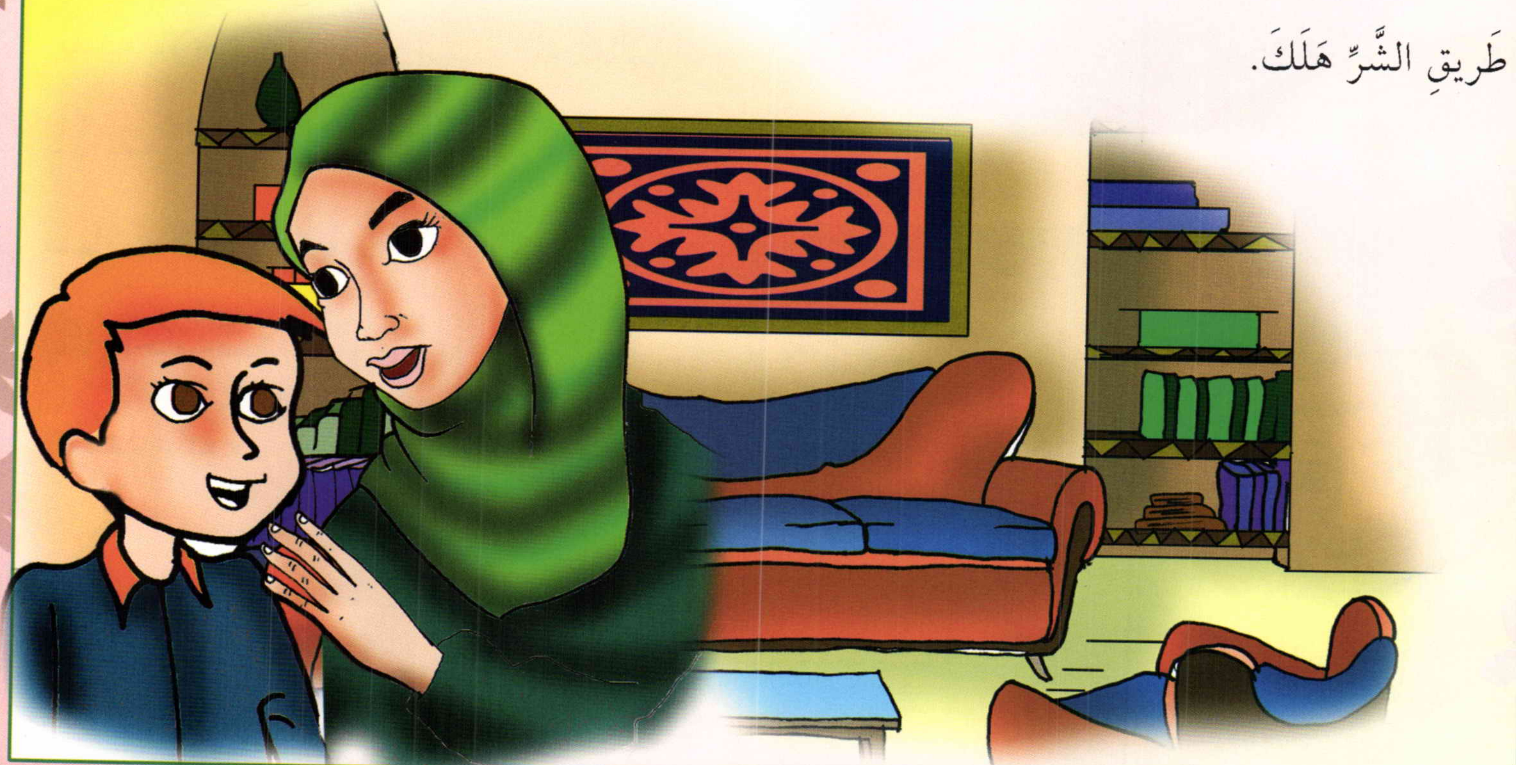


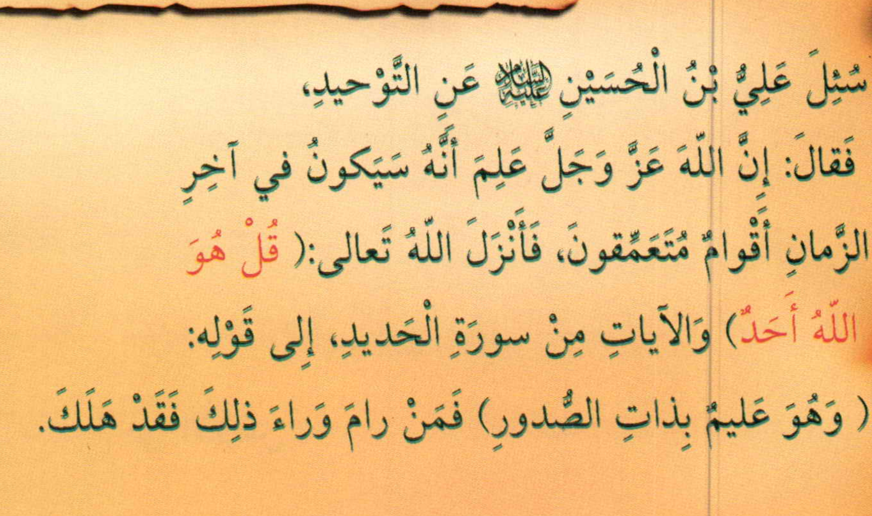
قالَ لأُمِّهِ: كانَ هابيلُ ابْناً صالِحاً مِنْ أَبْناءِ آدَمَ عليه السلام فَلَمْ يُصْغِ لِوَساوِسِ الشَّيْطانِ.

أَمّا قابيلُ فَكانَ مُطيعاً لِلشَّيْطانِ الّذي أَرادَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ أَبْناءِ آدَمَ عليه السلام لِما لَحِقَ بِهِ مِنْ غَضَبِ اللّهِ تَعالى عِنْدَ رَفْضِهِ السُّجودَ لَهُ. أَرادَ هابيلُ وَقابيلُ أَنْ يَتَقَرَّبا إِلى اللّهِ تَعالى بِقُرْبانٍ، فَاخْتارَ هابيلُ أَحْسَنَ ما عِنْدَهُ مِنْ رِزْقٍ وَدَفَعَهُ، أَمّا قابيلُ فَدَفَعَ أَسْوَأَ ما عِنْدَهُ مُؤْثِراً نَفْسَهُ بِالأَحْسَنِ. وَكانَتْ مَشيئَةُ اللّهِ تَعالى بِأَنْ تَقَبَّلَ قُرْبانَ هابيلَ، وَلَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبانَ قابيلَ، فَسَوَّلَتْ لِقابيلَ نَفْسُهُ بِأَنْ يَقْتُلَ أَخاهُ حَسَداً وَحِقْداً عَلَيْهِ.

وَحينَ هَمَّ بذلِكَ، لَمْ يُدافِعْ هابيلُ عَنْ نَفْسِهِ بِقَتْلِ أَخيهِ، بَلْ قالَ لَهُ: لَئِنْ بَسَطْتَ يَدَكَ إِلَيَّ لِتَقْتُلَني، ما أَنا بِباسِطٍ يَدي إِلَيْكِ لأَقْتُلَكَ. إنّي أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمينَ. ورَغْمَ ذلِكَ، قَضى قابيلُ على أَخيهِ، بَعْدَ أَنْ تَمَكَّنَ الشَّيْطانُ مِنْ نَفْسِهِ، فَضَيَّعَ نَفْسَهُ وَأَجْرى الشَّرَّ عَلى يَدَيْهِ، وَباءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّه تَعالى.

صَمَتَ حَسَنٌ، فَقالَتْ لَهُ أُمُّهُ: إِنَّها قِصَّةٌ مُفيدَةٌ جِدّاً يا وَلَدي. فَما الْعِبْرَةُ الّتي اسْتَخْلَصْتَها مِنْها؟ قالَ حَسَنٌ: عَلَيْنا أَنْ نَفْعَلَ كُلَّ ما يُبْعِدُ عَنّا وَساوِسَ الشَّيْطانِ يا أُمّي، لِكَيْ نَتْبَعَ طَريقَ الْخَيْرِ. فاللّهُ تَعالى خَلَقَ الْخَيْرَ وَخَلَقَ الشَّرَّ.وَمَنْ مَضى في طَريقِ الْخَيْرِ نَجا، وَمَنْ مَضى في طَريقِ الشَّرِّ هَلَكَ.





سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَنِ التَّوْحيدِ،

فَقالَ: إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ أَقْوامٌ مُتَعَمِّقونَ، فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعالى:(قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ) وَالآياتِ مِنْ سورَةِ الْحَديدِ، إِلى قَوْلِهِ: (وَهُوَ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ) فَمَنْ رامَ وَراءَ ذلِكَ فَقَدْ هَلَكَ.

هَلْ تَعْلَمُ يا بُنَيَّ أَنَّ ما يَقْرَأُهُ الْمُؤْمِنُ في سورَةِ التَّوْحيدِ، وَفي سورَةِ الْحَديدِ، لَيَكْفيهِ في فَهْمِ مَعْنيتَوْحيدِ اللّهِ تَعالى؟ قالَ الشَّيْخُ عامِرٌ لإِبْراهيمَ عِنْدَما سَأَلَهُ عَنْ مَعاني التَّوْحيدِ. إِنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ اللّهَ تَعالى واحِدٌ لا شَريكَ لَهُ وَلا شَبيهَ، وَلكِنَّهُ يُريدُ أَنْ يَفْهَمَ مَعْنى الصَّمَدِ، وَغَيْرِها مِنَ الْمَعاني الّتي مَرَّتْ في سورَةِ التَّوْحيدِ وَفي سورَةِ الْحَديدِ. قالَ الشَّيْخُ عامِرٌ: إِنَّ كَلِمَةَ الصَّمَدِ يا بُنَيَّ لَفْظَةٌ تَنْزيهِيَّةٌ لا تَصِفُ إِلاّ اللّهَ تَعالى، وَهِيَ مِنْ أَسْمائِهِ الّتي تُعادِلُ في مَعْناها أَلْفاظاً أُخْرى: لَمْ يَلِدْ، لَمْ يُولَدْ، لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ.

وَإذا أَرَدْتَ أَنْ تَفْهَمَ مَعانيَ تَوْحيدِ اللّهِ تَعاليبِشَكْلٍ أَفْضَلَ، فاسْمَعْ هذِهِ الآياتِ الْمُبارَكَةَ مِنْ سورَةِ الْحَديدِ: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمانِ الرَّحيمِ* سَبَّحَ لِلّهِ ما في السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ* لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ يُحْيي وَيُميتُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ* هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالْباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ* هُوَ الّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ في سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلى الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فيها وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ وَاللّهُ بِما تَعْمَلونَ بَصيرٌ* لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَإِلى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمورُ* يولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ في اللَّيْلِ وَهُوَ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ*)

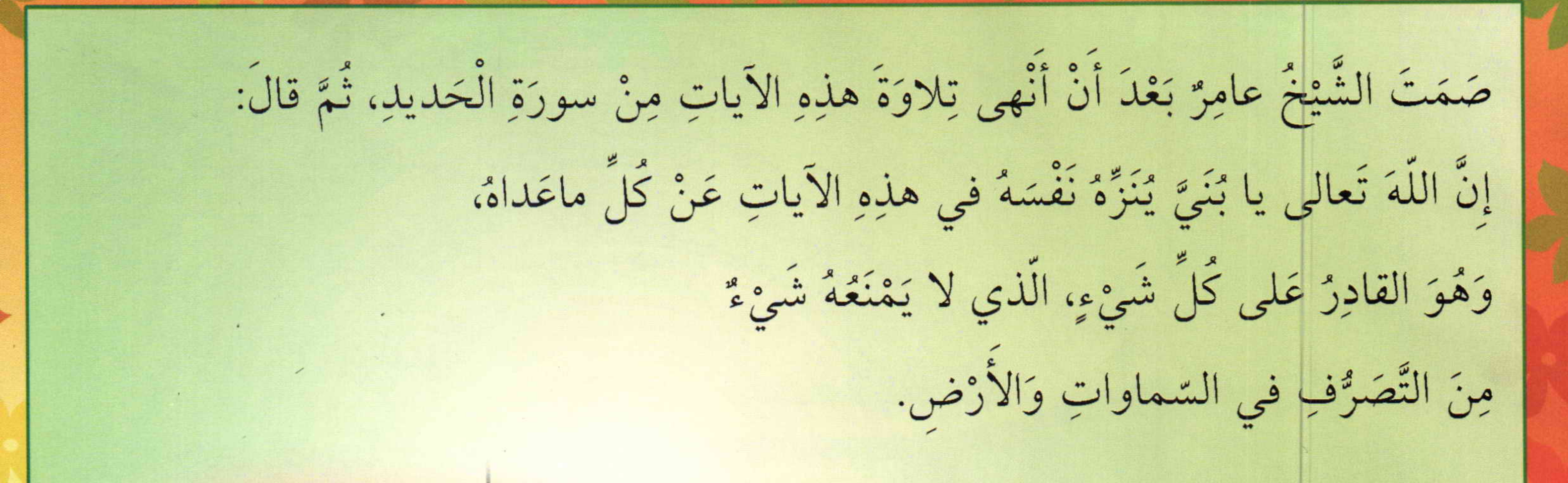


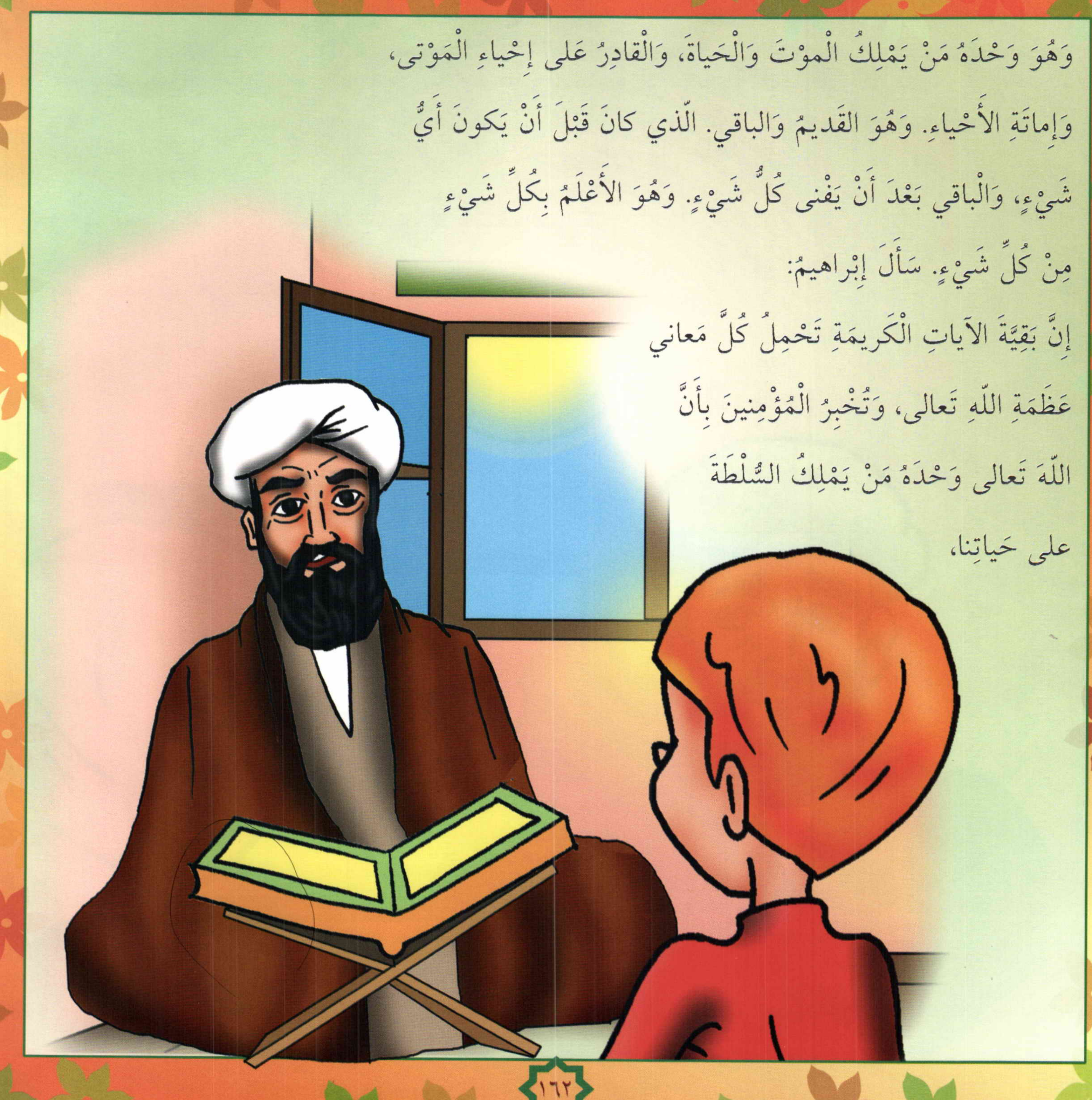
صَمَتَ الشَّيْخُ عامِرٌ بَعْدَ أَنْ أَنْهى تِلاوَةَ هذِهِ الآياتِ مِنْ سورَةِ الْحَديدِ، ثُمَّ قالَ:

إِنَّ اللّهَ تَعالى يا بُنَيَّ يُنَزِّهُ نَفْسَهُ في هذِهِ الآياتِ عَنْ كُلِّ ماعَداهُ،

وَهُوَ القادِرُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ، الّذي لا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ

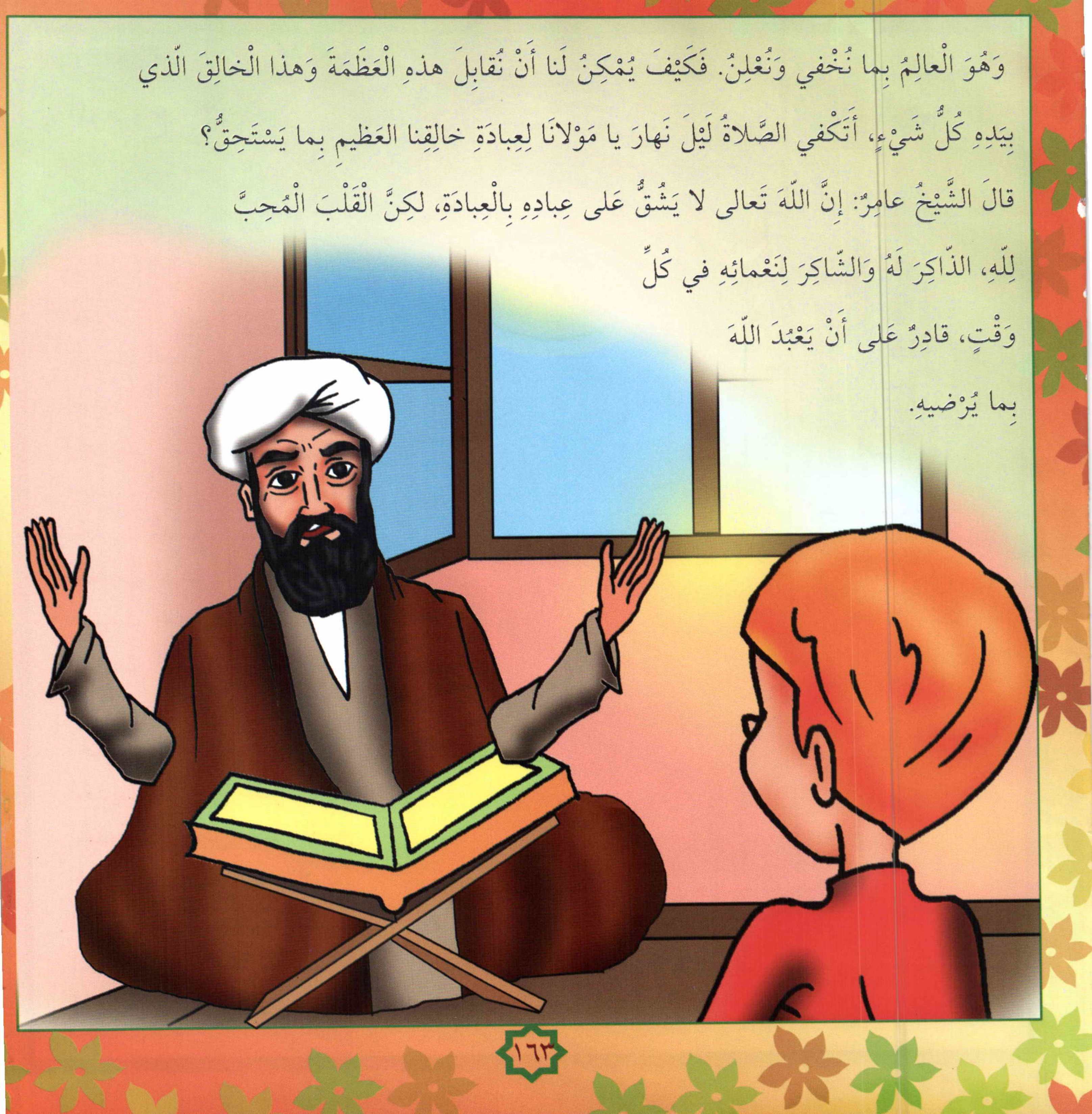
مِنَ التَّصَرُّفِ في السّماواتِ وَالأَرْضِ.





وَهُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَمْلِكُ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ، وَالْقادِرُ على إِحْياءِ الْمَوْتى، وَإِماتَةِ الأَحْياءِ. وَهُوَ القَديمُ وَالباقي. الّذي كانَ قَبْلَ أَنْ يَكونَ أَيُّ شَيْءٍ، وَالْباقي بَعْدَ أَنْ يَفْنى كُلُّ شَيْءٍ. وَهُوَ الأَعْلَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. سَأَلَ إِبْراهيمُ:

إِنَّ بَقِيَّةَ الآياتِ الْكَريمَةِ تَحْمِلُ كُلَّ مَعاني عَظَمَةِ اللّهِ تَعالى، وَتُخْبِرُ الْمُؤْمِنينَ بِأَنَّ اللّهَ تَعالى وَحْدَهُ مَنْ يَمْلِكُ السُّلْطَةَ على حَياتِنا،



وَهُوَ الْعالِمُ بِما نُخْفي وَنُعْلِنُ. فَكَيْفَ يُمْكِنُ لَنا أَنْ نُقابِلَ هذهِ الْعَظَمَةَ وَهذا الْخالِقَ الّذي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ، أَتَكْفي الصَّلاةُ لَيْلَ نَهارَ يا مَوْلانَا لِعِبادَةِ خالِقِنا العَظيمِ بِما يَسْتَحِقُّ؟

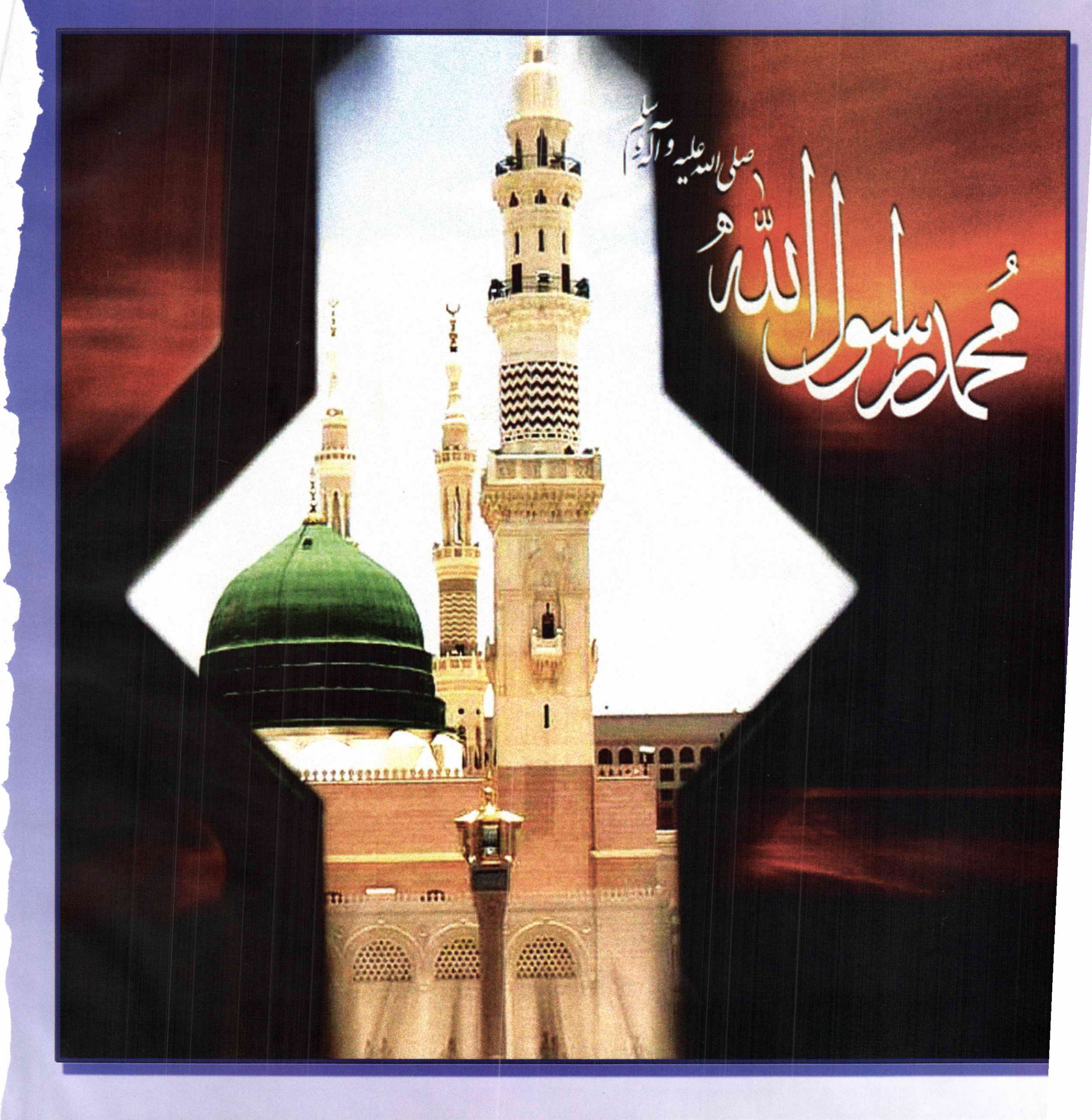
قالَ الشَّيْخُ عامِرٌ: إِنَّ اللّهَ تَعالى لا يَشُقُّ عَلى عِبادِهِ بِالْعِبادَةِ، لكِنَّ الْقَلْبَ الْمُحِبَّ لِلّهِ، الذّاكِرَ لَهُ وَالشّاكِرَ لِنَعْمائِهِ في كُلِّ وَقْتٍ، قادِرٌ عَلى أَنْ يَعْبُدَ اللّهَ بِما يُرْضيهِ.

الموضوع	الرقم

الموضوع	الرقم


صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ


محمد
رسول الله
صلی الله علیه و آله وسلم


محمد رسول اللہ
صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم